

جواهر الإتقان في علوم القرآن

في

علوم القرآن

تأليف

الفقير فيصال عبد الله

طبق ما قرره

المعهد العالي واليندو الفكالونجاني

في دراسة تخصص القرآن وعلومه

الجزء الأول





| mahadalywalindo



Jauhar al-Itqan fi Ulum al-Qur'an

تأليف:

فيصال عبد الله

الناشر:

ترس ميديا غرافيكا

(Trussmedia Grafika)

سيغاسارين - باغونتافان - بانتول, جوكجاكرتا - إندونيسيا

الهاتف: 8689 923 222 62+

البريد الألكتروني:trussmedia2310@gmail.com

الطبعة الأولى: ٢٠٢٤ م/ ١٤٤٦هـ

ISBN: 978-623-8443-23-9

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى جعل الاسلام خاتمة الرسالات الالهية الى العالم فى الارض, فقال تعالى ﴿اَلْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَاَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِيْ وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْاِسْلَامَ دِيْنًا﴾ (المائدة : ٣), وأرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.

والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد ﷺ الذى أنزل عليه القرآن بلسان عربى مبين, ليبلغه الى العالمين كما جاء فى قوله تعالى ﴿ وما ارسلنك الا رحمة للعالمين ﴾ (الانبياء : ١٠٧). صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحابته والتابعين وتابعى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد, فإنّ القرآن الكريم خاتمة الكتب الإلهية الى الأرض, وهو المعجزة الكبرى لسيّدنا محمد ﷺ, وهو يشمل العقائد والعبادات والحكم والاحكام والاداب والاخلاق والقصص والمواعظ والعلوم التى نقلت العالم من الظلمات الى النور الهدى اليقين.

ولقد أفرد العلماء كل ناحية من هذه النواحي بالبحث والتأليف ووضعوا من أجلها العلوم ودوّنوا الكتب وتبادروا فى هذا الميدان الواسع أشواطا بعيدة حتى زخرت المكتبة الاسلامية بتراث مجيد من آثار سلفنا الصالح وعلمائنا الاعلام.

وهكذا أطلع بين أيدينا الآن مصنفات متنوعة وموسوعة القيامة فيما نسميه علم القراآت وعلم التجويد وعلم النسخ العثمانى وعلم التفسير وعلم الناسخ والمنسوخ وعلم غريب القرآن وعلم إعجاز القرآن وعلم إعراب القرآن وماشاكل ذلك من العلوم القرآنية.

فهذه أبواب فى علوم القرآن لخصناها من كتاب الامام السيوطى رحمه الله تعالى الذى سماه الاتقان فى علوم القرآن برتبة الأبواب كما في اصله مع بعض تحقيقات للسهولة عند المبتدئين, وسماه " جوهر الاتقان فى علوم القرآن" نسأل الله تعالى أن ينفع به كما نفع بأصل كتابه وجعله عملا صالحا مقبولا لوجهه الكريم آمين.

فكالونجان فى :

ذوالحجّة ١٤٤٥

الفقير فيصال عبدالله

الباب الأول

فى معنى علوم القرآن وبيان نشأته

العلوم هو جمع علم, والعلم فى اللغة مصدر يرادف الفهم والمعرفة ويرادف الجزم أيضا فى رأي العلم عند العلماء إصطلاحات مختلفة :

١. فالحكماء يذهبون به صورة الشيء الحاصلة فى العقل, أو حصول الصورة فى العقل, أو تعلق النفس بالشيء على جهة انكشاف.
٢. والمتكلمون يُرّفون العلم بأنّه صفة يتجلّى بها الأمر لمن قامت به.
٣. والمديون يزعمون أنّ العلم ليس إلاّ خصوص اليقينية التى تستند الى الحس وحده.
٤. وقال الغزالي فى الإحياء : قد كان العلم يطلق على العلم بالله تعالى وآياته وبأفعاله فى عباده وخلقه.

وأما لفظ القرآن فى اللغة فمصدر مرادف للقراءة, ومنه قوله تعالى ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ و ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ (القيامة : ١٧-١٨) أو أنه مشتقّ من قرن الشيئ بالشيئ, أو أنّه موضوع من أول الأمر عَلما على الكلام المعجز المنزّل, غير مهموز ولا مجرد من ال.

وأنّ القرآن فى الإصطلاح هو كلام الله وأنّ كلام الله غير كلام البشر ما فى ذلك ريب ومعجزة الإسلام الخالدة التى لايزيدها التقدّم العلمي إلّا رسوخا فى الإعجاز, الذى أنزله الله على رسولنا محمد ﷺ ليخرج الناس من الظلمات الى النور ويهديهم الى الصراط المستقيم.

ومعنى علوم القرآن جمع العلوم تتّصل بالقرآن وشمول كل علم يخدم القرآن أو يستند اليه. وينتظم ذلك علم أسباب النزول, و علم التفسير, وعلم القراءات

وعلم الرسم العثماني وعلم إعجاز القرآن, وعلم الناسخ والمنسوخ وعلم إعراب القرآن وعلم غريب القرآن وعلوم الدين واللغة إلى غير ذلك. [1]



[1] مناهل العرفان في علوم القرآن (١ : ١٩).

الباب الثانى

المكىّ والمدنىّ

معرفة هذا الفن أمر ضروري للمفسر, أورد الجلال السيوطي به في نوع أول كتابه الإتقان لمهمته. وبدأ قول أبى القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري في فضل علوم القرآن : من أشرف العلوم القرآن علم نزوله وجهاته, وترتيب ما نزل بمكة والمدينة, و ما نزل بمكة وحكمه مدنيّ, وما نزل بالمدينة وحكمه مكي, وما نزل بمكة فى اهل المدينة, وما نزل بالمدينة فى اهل مكة, وما يشبه نزول المكىّ فى المدنيّ وما يشبه نزول المدنيّ فى المكىّ, وما نزل بالجحفة, وما نزل بيت المقدس, وما نزل بالطائف, وما نزل بالحديبية, وما نزل ليلا, وما نزل نهارا, وما نزل مشيّعا, ومϑا نزل مفردا, والآيات المدنيات في السور المكيّة, والآيات المكيّات في السور المدنية, وما حمل من مكة الى المدينة, وما حمل من المدينة الى مكة, وما حمل من المدينة الى أرض الحبشة, وما نزل مجملا, وما نزل مفسّرا, وما اختلفوا فيه, فقال بعضهم : مدينيّ, و بعضهم : مكيّ, فهذه خمسة وعشرون وجها من لم يعرفها ويميّز بينها لم يحلّ له أن يتكلم فى كتاب الله تعالى. انتهى, (أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوريّ فى كتاب التنبيه).

تعريف المكيّ والمدنيّ :

اعلم أنّ للناس فى المكيّ والمدنيّ اصطلاحات ثلاثة :

الأول : أنّ المكيّ ما نزل قبل الهجرة, والمدنيّ ما نزل بعدها, سواء نزل ب مكة أم بالمدينة, عام الفتح أو عام حجّة الوداع, أم بسفر من الأسفار.

الثانى : أنّ المكيّ ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة, والمدنيّ ما نزل بالمدينة, وعلى هذا تثبت الواسطة, فما نزل بالأسفار لا يطلق عليه مكيّ ولا مدنيّ.

الثالث : أنّ المكيّ ما وقع خطابا لأهل مكة, والمدنيّ ما وقع خطابا لأهل المدينة.

قال القاضى أبو بكر في الانتصار : انما يرجع فى معرفة المكيّ والمدنيّ الى حفظ الصحابة والتابعين, ولم يرد عن النبى ﷺ فى ذلك قول, لأنه لم يؤمر به, ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة, وانّ وجب فى بعضه على أهل العلم معرفة تارخ الناسخ والمنسوخ, فقد يعرفه ذلك بغير نصّ الرسول. انتهى.

معرفة المكيّ والمدنيّ من السّور والآيات وبيان الفرق بينهما :

قال الجعبري : لمعرفة المكي والمدني طريقان[٢] :

١. طريقة السماعي النقلي يستند الى الرواية الصحيحة عن الصحابة الذين عاصروا الوحي, وشاهدوا نزوله, أو عن التابعين الذين تلقوا عن الصحابة.
٢. و طريقة القياسي الاجتهادي يستند الى خصائص المكي و خصائص المدني.

من علامة السور المكية :

الأول : كلّ ما يفيد من الآيات قصة آدم مع ابليس هو مكيّ سوى البقرة وآل عمران لأنها مدنية.

والثانى : كان فيه ﴿احرف التهجي﴾ مثلها آلم, كهيعص, آلر, كلها مكية سوى البقرة وآل عمران فانهما مدنية.

والثالث : كان فيه ﴿كَلَّا﴾ هو كلمة زجر فى الغالب سوى سورة البقرة وآل عمران والرعد.

والرابع : كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية كلها مكيّة.

---

[٢] مناع القطان فى المباحث (٦٠-٦١)

والخامس : ما كان في القرآن ﴿ياايّها الناس﴾ أو ﴿يا بني آدم﴾ فانّه مكيّ الّا ما كان فيه فى سورة البقرة و سورة النساء.

والسادس : كل سورة فيها سجدة.

أما من ناحية المميزات الموضوعية وخصائص الأسلوب فيمكن إجمالها فيما يأتي:

١ -الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله وحده، وإثبات الرسالة، وإثبات البعث والجزاء، وذكر القيامة وهولها، والنار وعذابها، والجنة ونعيمها، ومجادلة المشركين بالبراهين العقلية، والآيات الكونية.

٢ -وضع الأسس العامة للتشريع والفضائل الأخلاقية التي يقوم عليها كيان المجتمع، وفضح جرائم المشركين في سفك الدماء، وأكل أموال اليتامى ظلمًا، ووأد البنات، وما كانوا عليه من سوء العادات.

٣ -ذكر قصص الأنبياء والأمم السابقة زجرًا لهم حتى يعتبروا بمصير المكذبين قبلهم، وتسلية لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى يصبر على أذاهم ويطمئن إلى الانتصار عليهم.

٤ -قصر الفواصل مع قوة الألفاظ، وإيجاز العبارة، بما يصخ الآذان، ويشتد قرعه على المسامع، ويصعق القلوب، ويؤكد المعنى بكثرة القَسَم، كقصار المفصَّل إلا نادرًا.

من علامة السور المدنية :

الأول : كلما به في القرآن من السور ذكرالمنافقين سوى سورة العنكبوت كلها مدنيّة.

والثانى : كل سورة فيها الفروض والحدود فهي مدنيّة.

والثالث : ما كان فيه من السور﴿يا ايّها الذين آمنوا﴾, سوى سورة الحجّ فهي مدنيّة.

والرابع : كل سورة فيها مجادلة أهل كتاب.[٣]

أما من ناحية المميزات الموضوعية وخصائص الأسلوب فيمكن إجمالها فيما يأتي:

١ –بيان العبادات، والمعاملات، والحدود، ونظام الأسرة، والمواريث، وفضيلة الجهاد، والصلات الاجتماعية، والعلاقات الدولية في السلم والحرب، وقواعد الحكم، ومسائل التشريع.

٢ –مخاطبة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ودعوتهم إلى الإسلام، وبيان تحريفهم لكتب الله، وتجنيهم على الحق، واختلافهم من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم.

٣ –الكشف عن سلوك المنافقين، وتحليل نفسيتهم، وإزاحة الستار عن خباياهم، وبيان خطرهم على الدين.

٤ –طول المقاطع والآيات في أسلوب يقرر الشريعة ويوضح أهدافها ومراميها.

فائدة

نزل بالمدينة ثلاثون سورة. البقرة, وآل عمران, والنساء, والمائدة, والانفال, والتوبة, والرعد والحج والنور والأحزاب و محمد والفتح والحجرات والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والصف والجمعة – والمنافقون والتغابون والطلاق والتحريم والقيامة والزلزلة والقدر والنصر والكوثر والمعوذتان.

[٣] مناع القطان فى المباحث (١:٦٤)

وسائر ذلك نزل بمكة وهو اربع وثمانون سورة. اذ سور القرآن كلها مئة واربع عشرة[٤].



[٤] الشيخ محمّد محفوظ الترمسي في فتح الخبير (١ : ٨٨).

الباب الثالث

الحضري والسفري

الحضري ما نزل فى حضري المكة أو المدينة واكثر القرآن نزل فيهما. والسفري ما نزل فى أسفاره ﷺ للغزوة أو للحج أو للعمرة.

واما السفرى فله امثلة :

١. قوله تعالى ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِيْمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة : ١٢٥), نزلت بمكة عام حجة الوداع.

٢. قوله تعالى ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا...﴾ الاية (البقرة : ١٨٩), و قوله تعالى ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ (البقرة : ١٩٦), انها نزلت بمكة فى عمرة و قوله تعالى ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ﴾ الاية (البقرة : ١٩٦) نزلت بمكة فى الحديبية.

٣. قوله تعالى ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ...﴾ الاية (البقرة : ٢٨١), انها نزلت بمنى عام حجة الوداع.

٤. قوله تعالى ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ...﴾ الاية (البقرة : ٢٨٥) انها نزلت يوم فتح مكة. قاله الجلال البلقينى.

٥. قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ...﴾ الاية (آل عمران : ١٧٢), انها نزلت بحمراء الأسد.

٦. آية التيمم فى النساء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ...﴾ الاية, (النساء : ٤٣) انها نزلت فى بعض أسفار النبيّ ﷺ. وقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ... ﴾ الاية (المائدة : ٦) انها نزلت بالبيداء أو بذات الجيش.

٧. آية الأداء للأمانات قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا...﴾ الاية (النساء : ٥٨) انها نزلت يوم الفتح فى جوف الكعبة.

٨. قوله تعالى ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ...﴾ الاية (النساء : ١٠٢), انها نزلت بعسفان بين الظهر والعصر فى شأن صلاة الخوف.

٩. قوله تعالى ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِ ...﴾ الاية (النساء : ١٧٦), نزلت فى مسير كان فيه ﷺ واصحابه.

١٠. أول المائدة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ...﴾ الاية ,نزلت فى مسير رسول الله ﷺ الى حجة الوداع بمنى.

١١. قوله تعالى ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ... ﴾ الاية (المائدة : ٣), انها نزلت عشية عرفة يوم الجمعة عام حجة الوداع.

١٢. قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ...﴾ الاية (المائدة : ١١), انها نزلت على رسول الله ﷺ وهو ببطن حديقة النخل فى غزوة السابعة.

١٣. قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ الاية (المائدة : ٦٧) , انها نزلت فى غزوة ذات الرقاع بأعلى نخل فى غزوة بنى أنمار.

١٤. أول الانفال ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِ... ﴾ الاية, و قوله تعالى ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ...﴾ الاية (الانفال : ٩) وكل منهما نزلت فى غزوة البدر.

١٥. قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ... ﴾ الاية التوبة : ٣٤, و قوله تعالى ﴿لَوۡ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا... ﴾ الاية (التوبة : ٤٢), مع قوله تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُ﴾ (التوبة : ٦٥), ذلك الايات نزلت فى غزوة تبوك.

١٦. قوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ...﴾ الاية (التوبة : ١١٣), انها نزلت فى مسير عمرة النبي ﷺ وهبط من ثنيّة عسفان, فزار قبر أمّه, واستأذن فى الاستغفار لها.

١٧. أخير سورة النخل اي قوله تعالى ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ... ﴾ الاية انها نزلت بأحد والنبي نظر الى حمزة بعد ما قتل.

١٨. قوله تعالى ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ (الاسراء : ٧٦) انها نزلت فى تبوك.

١٩. قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ.. ﴾ الاية (الحج : ١-٢) انها نزلت فى مسيره فى غزوة بني المصطلق.

٢٠. قوله تعالى ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمْ...﴾ الاية (الحج : ١٩)انها نزلت فى المتبارزين يوم بدر.

٢١. قوله تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ...﴾ الاية (الحج : ٣٩) انها نزلت هذه الاية بالطائف فى سفر الهجرة, لما اخرج النبي ﷺ من مكّة.

٢٢. قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾(القصص : ٨٥) انها نزلت بالجحفة فى سفرة الهجرة.

٢٣. أول الروم اي قوله تعالى﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ...﴾ الى قوله تعالى ﴿بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ (الروم : ١-٥) انها نزلت فى غزوة بدر.

٢٤. قوله تعالى﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ...﴾ الاية (الزخروف : ٤٥) انها نزلت فى بيت المقدس ليلة الاسراء.

٢٥. قوله تعالى ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً...﴾ الاية (محمد : ١٣) انها نزلت فى سفر الهجرة.

٢٦. سورة الفتح من اولها الى آخرها انها نزلت بين المكة والمدينة فى شأن الحديبية.

٢٧. قوله تعالى ﴿أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ...﴾ الاية (الحجرة : ١٣) انها نزلت بمكة يوم الفتح.

٢٨. قوله تعالى ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ...﴾ الاية (القمر: ٤٥) انها نزلت يوم بدر.

٢٩. قوله تعالى ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ (الوقعة : ١٣) و قوله تعالى ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ (الوقعة : ٨١) انها نزلتا فى سفره الى المدينة.

٣٠. قوله تعالى ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (الوقعة : ٨٢) انها نزلت فى غزوة تبوك.

٣١. آية الامتحان اي قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ... ﴾ الاية (الممتحنة : ١٠) انها نزلت بأسفل الحديبية.

٣٢. سورة المنافقون, انها نزلت ليلة فى غزوة تبوك.

٣٣. سورة المرسلات, انها نزلت فى غار بمنى.

٣٤. سورة المطففين او بعضها انها نزلت فى سفر الهجرة.

٣٥. أوّل سورة العلق اي قوله تعالى ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ (العلق : ١-٥). انها نزلت بغار حراء.

٣٦. سورة الكوثر انها نزلت يوم الحديبية .

٣٧. سورة النصر انها نزلت فى حجة الوداع.



الباب الرابع

النهاري والليلي

النهاري ما نزل فى النهاري وامثلته كثيرة قال ابن حبيب : نزل أكثر القرآن نهارا. واما الليلى ما نزل فى الليلى فله امثلة :

١. آية تحويل القبلة اي قوله تعالى ﴿قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ...﴾ الاية (البقرة : ١٤٤).

٢. قوله تعالى ﴿ اِنَّ فِيْ خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَاخْتِلَافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَاٰيٰتٍ لِّأُوِلِى الْاَلْبَابِۙ ﴾ (آل عمران : ١٩٠).

٣. قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ (المائدة : ٦٧).

٤. سورة الأنعام انها نزلت بمكة ليلة جملة.

٥. قوله تعالى ﴿ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ الاية (التوبة : ١١٨).

٦. سورة مريم, انها نزلت ليلة جملة.

٧. أول سورة الحج نزلت فى سفر النبي ﷺ ليلا.

٨. آية الاذن فى خروج النسوة اي قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾ الاية (الاحزاب : ٥٩).

٩. قوله تعالى ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ (الزخروف : ٤٥) انها نزلت ليلة الاسراء.

١٠. أول سورة الفتح اي قوله تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾.

١١. سورة المنافقين انها نزلت ليلة فى غزوة تبوك .

١٢. سورة المرسلات انها نزلت فى ليلة "الجن" بحراء.

١٣. المعوذتان اي سورة الفلق والناس بتمامهما.

١٤. آية التيمم فى المائدة اي قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ الاية (المائدة : ٦).

١٥. قوله تعالى﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ (آل عمران : ١٢٨).



الباب الخامس

الصيفي والشتائى

تعريف الصيفي والشتائى من القرآن

والمراد بالصيفي: ما نزل على الرسول ﷺ صيفا، ويدخل فيه الربيع مدة حلول الشمس في البروج الشمالية الستة، وهي: (الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة).

والمراد بالشتائيّ، ويدخل فيه الخَريف مدة حلول الشمس في البرود الجنوبية الستة، وهي: (الميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت) فجملة فصول السنة أربعة (الصيف، والربيع، والشتاء، والخريف). وجملة البروج اثنى عشر، وهي التي ذكرناه، ستة شمالية وستة جنوبية

امثلة الصيفي من القرآن :

١. اية الكلالة التى فى آخر سورة النساء اي قوله تعالى ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ...﴾ الاية (النساء : ١٧٦).
٢. وقوله تعالى ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ... ﴾ الاية (المائدة : ٣).
٣. وقوله تعالى ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ... ﴾ الاية (البقرة : ٢٨١).
٤. اية الدين اي قوله تعالى﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ... ﴾ الاية (البقرة : ٢٨٢).
٥. سورة النصر اي قوله تعالى ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ (النصر : ١).
٦. قوله تعالى ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى...﴾ الاية (التوبة :٤٩).
٧. قوله تعالى ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ (التوبة : ٨١).

امثلة الشتائ من القرآن :

١. قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ...﴾ الى قوله : (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (النور : ١١-٢٦).

٢. الايات التى فى غزوة الخندق من سورة الاحزاب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ ...﴾ الاية (الاحزاب : ٩).



الباب السادس

الفراشي والنومي

امثلة الفراشي فى القرآن :

١. قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ (المائدة : ٦٧).

٢. و قوله تعالى ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ...﴾ الاية (التوبة : ١١٨)

أنها نزلت وقد بقي من الليل ثلثه ، وهو – صلى الله عليه وسلم – عند أم سلمة.[٥]

واما النومي من القرآن : سورة الكوثر جملة. روى مسلم، عن أنس قال : بينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بين أظهرنا إذ غفا إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسما، فقلنا : ما أضحك رسول الله ؟ فقال : أنزل علي آنفا سورة[٦], فقرأ سورة الكوثر.



[٥] رواه البخاري في صحيحه (٤٤٠٠) عن عبد الله بن كعب.

[٦] رواه مسلم (٤٠٠).

الباب السابع

الأرضي والسمائي

قال الامام ابن العربي : نزل القرآن بين مكة والمدينة الا ست آيات, تقدم قول ابن العربي إن من القرآن سمائيا وأرضيا وما نزل بين السماء والأرض وما نزل تحت الأرض في الغار قال وأخبرنا أبو بكر الفهري قال أنبأنا التميمي أنبأنا هبة الله المفسر قال نزل القرآن بين مكة والمدينة إلا ست آيات نزلت لا في الأرض ولا في السماء اي السماء والارض لعله أراد في الفضاء بين السماء والأرض.

والسمائي امثلته :

١. قوله تعالى ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (الصفات : ١٦٤-١٦٦) الآيات الثلاث.

٢. قوله تعالى ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ (الزخرف : ٤٥)

٣. قوله تعالى ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ... ﴾ الى قوله تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا... ﴾ الاية (البقرة : ٢٨٥-٢٨٦)

أما ما نزل تحت الأرض فهو سورة المرسلات.



الباب الثامن

أول ما نزل وآخره

معرفة اول ما نزل :

اختلف في أول ما نزل من القرآن على أقوال :

١. قوله تعالى ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ (العلق : ١).

٢. سورة المدّثّر

٣. سورة الفاتحة

٤. بسم الله الرّحمن الرّحيم

أول ما أنزل الله من القرآن بمكة :**اقرأ باسم ربك**، ثم **ن والقلم**، ثم **ياأيها المزمل** ثم **ياأيها المدثر** ثم **الفاتحة**، ثم **تبت يدا أبي لهب**، ثم **إذا الشمس كورت**، ثم **سبح اسم ربك الأعلى**، ثم **والليل إذا يغشى**، ثم **والفجر**، ثم **والضحى**، ثم **ألم نشرح**، ثم **والعصر**، ثم **الكوثر**، ثم **ألهاكم**، ثم **أرأيت الذي يكذب**، ثم **الكافرون**، ثم **ألم تر كيف**، ثم **قل أعوذ برب الفلق**، ثم **قل أعوذ برب الناس**، ثم **قل هو الله أحد**، ثم **والنجم**، ثم **عبس**، ثم **إنا أنزلناه**، ثم **والشمس وضحاها**، ثم **البروج**، ثم **والتين**، ثم **لإيلاف**، ثم **القارعة**، ثم **القيامة**، ثم **ويل لكل همزة**، ثم **والمرسلات**، ثم **ق**، ثم **البلد**، ثم **الطارق**، ثم **اقتربت الساعة**، ثم **ص**، ثم **الأعراف**، ثم **الجن**، ثم **يس**، ثم **الفرقان**، ثم **الملائكة**، ثم **كهيعص**، ثم **طه** ثم **الواقعة**، ثم **الشعراء**، ثم **طس سليمان**، ثم **طسم القصص**، ثم **بني إسرائيل**، ثم **التاسعة – يعني يونس –** ثم **هودا**، ثم **يوسف**، ثم **الحجر**، ثم **الأنعام**، ثم **الصافات**، ثم **لقمان**، ثم **سبأ**، ثم **الزمر**، ثم **حم المؤمن**، ثم **حم السجدة**، ثم **حم الزخرف**، ثم **حم الدخان**، ثم **حم الجاثية** ثم **حم الأحقاف** ثم **الذاريات**، ثم

الغاشية، ثم **الكهف**، ثم **حم عسق**، ثم **تنزيل السجدة**، ثم **الأنبياء**، ثم **النحل أربعين وبقيتها بالمدينة**، ثم **إنا أرسلنا نوحا**، ثم **الطور**، ثم **المؤمنون**، ثم **تبارك**، ثم **الحاقة**، ثم **سأل**، ثم **عم يتساءلون** ، ثم **(والنازعات)** ، ثم **إذا السماء انفطرت**، ثم **إذا السماء انشقت**، ثم **الروم** ، ثم **العنكبوت**، ثم **ويل للمطففين** .

وأول ما انزل الله من القرآن بالمدينة :**سورة البقرة**، ثم **آل عمران**، ثم **الأنفال**، ثم **الأحزاب**، ثم **المائدة**، ثم **الممتحنة**، ثم **إذا جاء نصر الله ثم الحج**، ثم **المنافقون**، ثم **المجادلة**، ثم **التحريم**، ثم **الجمعة**، ثم **التغابن**، ثم **سبح الحواريين**، ثم **الفتح**، ثم **التوبة**، ثم خاتمة القرآن.

معرفة اخر ما نزل :

اختلف في أخر ما نزل من القرآن على أقوال :

١. اخر سورة النساء وهو اية كلالة اي قوله تعالى ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ...﴾ الاية (النساء : ١٧٦).
٢. اية ربا اي قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ...﴾ الاية (البقرة : ٢٧٨).
٣. وقوله تعالى ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ...﴾ الاية (البقرة : ٢٨١).
٤. وقوله تعالى ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ...﴾ الاية (التوبة : ١٢٩).
٥. آخر سورة البرأة اي قوله تعالى ﴿ لقد جائكم...﴾الى اخر سورة.
٦. سورة النصر
٧. سورة المائدة اية ٣ قوله تعالى ﴿ حرمت...﴾ الاية

٨. وقوله تعالى ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ...﴾ الاية (النساء : ٩٣).

٩. وقوله تعالى ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ...﴾ الى اخرها ال (عمران: ١٩٥) و قوله تعالى ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ... ﴾ الاية (النساء: ٣٢) وقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾ الاية (الاحزاب : ٣٥).

١٠. قوله تعالى ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الاية (التوبة: ٥).

١١. قوله تعالى (قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا...) الاية (الانعام : ١٤٥).



الباب التاسع

علم اسباب النزول

علم اسباب النزول هو احد العلوم الاسلامية المهتمة بمعرفة اسباب نزول آيات القرآنية والقضايا والحوادث المتعلقة بها وكذلك وقت ومكان نزول الاية وذلك بغرض معرفة تفسيرها وفهمها فهما صحيحا, ومعرفة الحكمة من الاحكام القرآنية لذا فيتعبّر احد فروع علم التفسير القرآن.

فوائد علم اسباب النزول :

١. معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم.
٢. تخصيص الحكم بصورة السبب لمن يقول ان العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ.
٣. معرفة انّ سبب النزول لايخرج عن حكم الآية اذا ورد مخصص له.
٤. فهم كلام الله تعالى على وجه الصحيح, وازالة ما قد يقع من الاشكال او الالتباس فى فهم بعض الآيات.
٥. دفع توهّم الحصر, عما يفيد بظاهر الحصر
٦. معرفة اسم النازل فيه الآيات وتعيين المبهم فيها.
٧. بيان انّ القرآن نزل من عند الله.
٨. بيان عناية الله تعالى برسوله.
٩. ظهور عناية الله تعالى بعباده فى تفريج قربهم والتخفيف عنهم

كيفية الاعتماد فيما اذا تعدد الاسباب :

١. اذا اتى الذّاكرون لأسباب متعددة, وطريق الاعتماد فى ذلك ان ينظر الى العبارة الواقعة فان عبّر واحد بقوله : (نزلت فى كذا) وصرّح الآخر بذكر

سبب خلافه فهو المعتمد, وذاك استنباط. مثله ما اخرجه البخارى عن ابن عمر, قال انزلت ﴿نساءكم حرث لكم﴾ (البقرة :٣ ٢٢) فى اتيان النساء فى أدبارهنّ. وورد عن جابر التصريح بذكر سبب خلافه, فالمعتمد حديث جابر لأنه نقل و قول ابن عمر استنباط منه.[٧]

٢. واذا ذكر واحد سببا وآخر سببا غيره, فان كانا احدهما دون الآخر فالصحيح المعتمد. مثله قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة :١١٥) .[٨]

٣. وان كان اعتدالا بان يستوي الاسنادان فى الصحّة والحسن فيرجّح احدهما بكون راويه حاضر القصة, او نحو ذلك من وجوه الترجيحات. مثاله ما فى البخاري عن ابن مسعود قال كنت أمشي مع النبي ﷺ بالمدينة وهو يتوكأ على عسيب, فمرّ بنفر من اليهود, فقال بعضهم : لو سألتموه, فقالوا : حدّثنا عن الروح, فقام ساعة ورفع رأسه, فعرفت أنه يوحى اليه, حتّى صعد الوحى, ثم قال : ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الاسرأ : ٨٥) [٩]

٤. ان يمكن نزولها ان أسبابا متعددة متقاربة المعنى بان لا تكون معلومة التباعد فأهم نزول الآيات على انّها نزلت فى جميع تلك الاسباب. مثله ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ

---

[٧] رواه البخارى(٤٥٢٨)ومسلم(١١٧و١٤٣٥)

[٨] الشيخ محمّد محفوظ الترماسي في فتح الخبير (١١٦:١)

[٩] رواه البخارى فى صححه (١٢٥)

بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ (النور:٦), فى حد قذف هلال بن أمية, و قصة عويمر. [١٠]

٥. ان لا يمكن الحمل على الكلّ فأحمل على تعدّد النزول وتكرّره. مثاله : ما تقدّم فى نزول قوله تعالى آخر النحل ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ (النحل : ١٢٦) الى آخر سورة, ففى الحديث : انّها نزلت فى أحد, وفى آخر : فى مكّة يوم الفتح, وفى آخر فى مكة قبل الهجرة مع السورة. قال ابن حصر ويجمع بانه نزلت اوّلا بمكّة قبل الهجرة مع سورة لانّها مكيّة, ثمّ ثنيا بأحد, ثمّ ثليثا يوم الفتح تذكيرا لانّ الله تعالى لعباده وقد أشرت الى هذا ثمّة. [١١]

٦. ان تذكر سببا واحدا فى نزول الآيات المتعددة لأنها قد نزل فى الواقة الواحدة آية عديدة. ومن امثلته ما رواه الترمذى والحكيم عن أم سلمة قال يا رسول الله لا أسمع ذكر النساء فى الهجرة بشيء, فانزل الله تعالى سورة ال عمران اي قوله تعالى ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ...﴾ (ال عمران : ١٩٥) ورواه الحكيم عنها ايضا كنت يا رسول الله تذكر الرجال ولا تذكرالنساء فانزلت ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ...﴾ الاية (الاحزاب : ٣٥) وانزلت ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ...﴾ الاية (ال عمران : ١٩٥) .

❁❁❁

[١٠] رواه البخاري فى صحيحه(٤١٣) و(٤٤٧٠), فتح البارى (٨: ٥٣١).

[١١] الشيخ محمّد مخفوظ الترمسي (١١٨-١١٧).

الباب العاشر

ما نزل من القرآن على لسان بعض الصحابة

القرآن الكريم نزل كله من عند الله تعالى سواء بسبب أو بدون سبب, ولكن هناك ورد شيء من القرآن موفقا على لسان بعض اصحاب رسول الله ﷺ أو ما فى معناه .

ومن ذلك ما جاء موفقا لقول عمر ابن الخطاب رضى الله عنه :

١. قال عمر ابن خطاب رضى الله عنه : يا رسول الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة آية: ١٢٥).[١٢]

٢. قال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه : يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البرّ والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن. فنزلت آية الحجاب اي قوله تعالى ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ (التحريم : ٥).

٣. وافق قول عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فى نزول هتان الآيتان . ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ (المؤمنون: ١٢) وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ (المؤمنون:١٤). [١٣]

---

[١٢] رواه الترمذى (٣٦٨٢)

[١٣] تفسير ابن حاتم (١١٨:١)

٤. وافق قول عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فى هذه الآية ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة : ٩٨)[١٤]

ومن ذلك ما جاء موافقا لقول الصحابة الآخر :

١. أنّ سعد بن معاذ لما سمع ما قيل فى أمر عائشة قال :﴿ سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ (النور: ١٦)[١٥]

٢. وافق قول النساء الانصارى فى هذه الآية ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ (ال عمران : ١٤٠)[١٦]

٣. وافق قول مصعب بن عمير يوم أحد فى هذه الآية ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ (ال عمران : ١٤٤)[١٧]

۞۞۞

[١٤] تفسير ابن حاتم (١٨٢:١)

[١٥] اي قصة الافك

[١٦] تفسي ابى حاتم (٧٧٤:٣)

[١٧] ضعيف : ابن سعد فى الطبقات (١٢٠:٣)

الباب الحادى عشر

ما تكرّر ونزوله

هذا بيان ما تكرّر نزوله من القرآن قد صرّح جماعة من المتقدمين والمتأخرين تذكيرة وموعضة للمؤمنين. ومنها امثلة :

١. خواتم سورة النحل
٢. أول سورة الروم[١٨]
٣. آية الروح
٤. قوله تعالى﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾(هود : ١١٤) [١٩]
٥. سورة الفاتحة[٢٠]
٦. قال بعض العلماء قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ (التوبة : ١١٣).
٧. سورة الاخلاص انّها جواب للمشركين بمكة وجواب لاهل الكتاب بالمدينة.[٢١]

❁❁❁

[١٨] قول ابن الحصار فى الاتقان

[١٩] قول ابن كثير فى الاتقان والزركشي فى البرهان

[٢٠] السخاوي فى جمال القراء

[٢١] قول الزركشي فى البرهان

الباب الثانى عشر

ما تأخر حكمه عن نزوله وما تأخر نزوله عن حكمه

ماتأخر حكمه عن نزوله :

١. ذكر الزّركشيّ فى البرهان : قد يكون النزول سبقا على الحكم, كقوله ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ الى قوله تعالى ﴿ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ (الاعلى : ١٤-١٥) انها نزلت فى زكاة الفطر.[٢٢] للأنّها هذه سورة مكيّة ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة ولا صوم.

٢. وقال البغاوى فى تفسيره قاله تعالى ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ الى قوله تعالى ﴿ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ (البلد : ١-٢) فسورة مكية وظهر أثر الحلّ يوم فتح مكة.

٣. وقال ابن ابى حاتم عن ابن ابى مسعود : قاله تعالى ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ (السباء : ٤٩) وقوله تعالى ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (الاسراء : ٨١) ,والآية مكية متقدمة على فرض القتال.[٢٣]

٤. وقال ابن الحصّار : قاله تعالى ﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ (الانعام : ١٤١), و قاله تعالى ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ (المزمل : ٢٠). ذكر الله الزكاة فى السور المكيات كثيرا, تصريحا وتعريضا و لم تؤخذ الزكاة الا بالمدينة بلا خلاف.

---

[٢٢] رواه البيهاقى فى السنن الكبرى (٧٧٦١)

[٢٣] اخرج البخارى (٢٤٧٩) و مسلم (١٧٨١)

٥. آية الأذان : اي قاله تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ (فصلة : ٣٣), فقد قالت عائشة, وابن عمر, وعكرمة, وجماعة: انها نزلت فى المؤذّنين, والآية مكية, ولم يشرع الأذان الا بالمدينة.

ما تأخر نزوله عن حكمه :

١. آية الوضوئ اي قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ الى ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (المائدة : ٦) . فالآية مدنية اجماعا, وفروض الوضوء كان بمكة مع فرض الصلاة.

٢. آية الجمعة اي قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ ﴾ الاية (الجمعة : ٩),فانها مدنية, والجمعة فرضت بمكة.[٢٤]

٣. قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ ﴾ الاية (التوبة : ٦٠), فانها نزلت سنة تسع, وقد فرضت الزكاة قبلها فى أوائل الهجرة.



[٢٤] رواه ابن مجّاه (١٠٧٢)

الباب الثالث عشر

ما نزل مفرّقا وما نزل جمعا

ما نزل مفرّقا :

اكثر القرآن نزل مفرّقا. ومن امثلته فى السور القصّار:

١. قوله تعالى ﴿ ٱقْرَأْ ﴾ الى قوله تعالى ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق : ١-٥).

٢. و قوله تعالى ﴿ وَٱلضُّحَىٰ﴾ الى قوله تعالى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ (الضحى : ١-٥).

ما نزل جمعا :

١. سورة الفاتحة, والاخلاص, والكوثر, وتبّت, ولم يكن والنصر, والمعوذتان.

٢. وما نزل جمعا فى السور الطوّل : سورة المرسلات (قال ابن مسعود فى المستدرك عند الحاكم).[٢٥]

٣. سورة الصف كما مرّ فى النوع الاول فى عبد الله بن سلام عند الحاكم.

٤. سورة الانعام, نزلت سورة الانعام ليلا جملة, حولها سبعون الف ملك.[٢٦]



[٢٥] أخرجه الحاكم (٢٩٤٨)

[٢٦] رواه الطبرانى فى المعجم الكبير (١٢٩٣٠)

الباب الرابع عشر

ما نزل مشيّعا وما نزل مفردا

قال ابن حبيب النيسابورى وتبعه ابن النقيب : من القرآن ما نزل مشيّعا وهو سورة الانعام شيّعها سبعون الف ملك, وكذا سورة الكهف شيّعها سبعون الف ملك, سورة الفاتحة نزلت و معها ثمانون الف ملك, وسورة يس وآية ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾ (الزخرف : ٤٥), وآية الكرسي شيّعهنّ ثلاثون الف ملك. وسائر القرآن نزل به جبريل مفردا بلا تشييع.

تنبيه : وتوقّف الجلال السيوطى فى التوفيق بين قول ابن حبيب وبينما قال ابن الحاتم بيند صحيح, عن سعيد بن جوبير قال : ما جاء جبريل بالقرآن الى النبي ﷺ الا ومعه أربعة من الملائكة حفظة. امكن التوفيق بينهما بأنّ مراد ابن حبيب بقوله مفردا بلا تشييع اي زيدة على هذه اربعة من الملائكة[٢٧].



[٢٧] الشيح محمد مخفوظ الترماسي (١: ١٣٠)

الباب الخامس عشر

ما أنزل منه على بعض الأنبياء

وما لم ينزل منه على أحد قبل النبي ﷺ

ما أنزل منه على بعض الأنبياء:

ومن القرآن ما انزل لبعض الأنبياء المتقدّمين عليهم والصلاة والسلام :

١. سورة الاعلى كلها فى صحف ابراهيم وموسى وسورة النّجم اي قوله تعالى ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ الى﴿ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلۡأُولَىٰٓ﴾ (النّجم : ١-٥٦), نزلت هذه سورة فى صحف ابراهيم وموسى .كما قال سعيد بن منصر.

٢. انزل الله على ابراهيم : قال الله تعالى :﴿ التَائِبُوْنَ الْعَابِدُوْنَ﴾ إلى قوله ﴿ وَبَشّرِ الْمُؤْمِنِيْنَ ﴾ (التوبة : ١١٢) و ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمثؤْمِنُوْنَ ﴾إلى قوله : ﴿فِيْهَا خَالِدُوْنَ﴾ (المؤمنون :١ — ١١) و ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمَات﴾ الآية. (الأحزاب : ٣٥)، والتي في " سأل " : ﴿الَّذِيْنَ هُمْ عَلىَ صَلَاتِهِمْ دَائِمُوْنَ﴾ إلى قوله ﴿قَائِمُوْنَ﴾ (المعارج : ٢٣ — ٣٣) فلم يف بهذه السهام إلا إبراهيم ومحمد —صلى الله عليه وسلم.[٢٨]

٣. قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾(الأحزاب : ٤٥) بيان صفت النبى فى القرآن كما فى توارة موسى. [٢٩]

٤. فاتحة توراة فاتحة الانعام خاتمة التوراة خاتمة هود.

---

[٢٨] رواه الحاكم فى المستدرك (٢ : ٢٥٧)

[٢٩] رواه البخارى(٢: ٦٠٠)

٥. اول ما انزل فى التورة عشر ايات من الاية : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ (الأنعام : ١٥١) إلى آخرها.

٦. انزل الله على سليمان بن دود من ما انزل على محمد قوله تعالى : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ).[٣٠]

٧. اول سورة الجمعة مكتوبة في التوراة بسبعمائة آية : يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم أول سورة الجمعة .

وما لم ينزل منه على أحد قبل النبي ﷺ :

١. الفاتحة وآية الكرسي وخاتمة البقرة.

٢. السبع الطوال لم يعطهنّ احد الى النبي واعطى موسى واثنتين.[٣١]

٣. قوله تعالى : ﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا اِلَيْهِ رَاجِعُوْنَ﴾ (البقرة : ١٥٦), اؤتي محمد هذه الاية لم يعطها احد من الامم عند المصيبة [٣٢].



[٣٠] اخرجه الارقطنى (١: ٣١٠)

[٣١] رواه البيهقى فى شعب الايمان (٢: ٤٦٨)

[٣٢] رواه الطبرى فى المعجم الكبير (١٢: ٤١١)

الباب السادس عشر
فى كيفية انزاله

اختلف في كيفية إنزاله من اللوح المحفوظ على ثلاثة أقوال:

القول احدها : وهو الأصح الأشهر : أنه نزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك منجما في عشرين سنة، أو ثلاثة وعشرين، أو خمسة وعشرين، على حسب الخلاف في مدة إقامته – صلى الله عليه وسلم – بمكة بعد البعثة.

القول الثاني : أنه نزل إلى سماء الدنيا في عشرين ليلة قدر، أوثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين، في كل ليلة ما يقدر الله إنزاله في كل السنة ، ثم أنزل بعد ذلك منجما في جميع السنة.

القول الثالث : أنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك منجما في أوقات مختلفة من سائر الأوقات.

والسرّ فى انزاله منجما :

١. أن المقصود منه التعبد بلفظه والإعجاز به فلا يقدر أحد أن يأتي بلفظ يقوم مقامه.
٢. وأن تحت كل حرف منه معاني لا يحاط بها كثرة، فلا يقدر أحد أن يأتي بدله بما يشتمل عليه.
٣. والتخفيف على الأمة حيث جعل المنزل إليهم على قسمين : قسم يروونه بلفظه الموحى به، وقسم يروونه بالمعنى، ولو جعل كله مما يروى باللفظ لشق، أو بالمعنى لم يؤمن التبديل والتحريف, فتأمّل.

إن الله تعالى – ألهم كلامه جبريل وهو في السماء، وهو عال من المكان ، وعلمه قراءته، ثم جبريل أداه في الأرض وهو يهبط في المكان. وفي التنزيل طريقان :

١. أن النبي – صلى الله عليه وسلم – انخلع من صورة البشرية إلى صورة الملكية وأخذه من جبريل .
٢. أن الملك انخلع إلى البشرية حتى يأخذه الرسول منه والأول أصعب الحالَين

وقد ذكر العلماء للوحي كيفيات :

١. أنْ يَأتيه الْملك في مثْل صلْصلة الجْرس ، كما في الصحيحِ.[٣٣]
٢. أن ينفث في روعه الكلام نفثا ، كما قال – صلى الله عليه وسلم " –إن روح القدس نفث في روعي"[٣٤] أخرجه الحاكم. وهذا قد يرجع إلى الحالة الأولى أو التي بعدها، بأن يأتيه في إحدى الكيفيتين وينفث في روعه.
٣. أن يأتيه في صورة الرجل فيكلمه ، كما في الصحيح : "وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول" [٣٥] .زاد أبو عوانة في صحيحه : " وهو أهونه علي"[٣٦].
٤. أن يأتيه الملك في النوم، وعد من هذا قوم سورة الكوثر، وقد تقدم ما فيه.
٥. أن يكلمه الله إما في اليقظة كما في ليلة الإسراء، أو في النوم، كما في حديث معاذ : "أتاني ربي فقال : فيم يختصم الملأ الأعلى .." . الحديث

---

٢٩ رواه البخاري (٢), ومسلم (٨٧ : ٢٣٣)

[٣٤] رواه القضاعى في مسنده (١١٥١) عن ابن مسعود. وابو نعيم في الحلية (٢٦:١٠) عن ابي امامة.

٣١ رواه البخاري (٢).

[٣٦] رواه الحميد فى المنده (٢٥٨)

الباب السابع عشر

فى معرفة أسمائه وأسماء السور

القرآن له أسماء كثيرة ,اشهرها : الكتاب والقرآن. سمّي كتابا لجمعه انواع العلوم والقصص والأخبار على ابلغ وجه. والكتاب لغة الجمع. واما القرآن فاختُلف فيه, فقال جماعة : هو اسم علم غير مشتق، خاص بكلام الله. فهو غير مهموز، وبه قرأ ابن كثير، وهو مروي عن الشافعي رضي الله عنه.

أخرج البيهقي والخطيب وغيرهما عنه : أنه كان يهمز قراءة، ولا يهمز القرآن ويقول : القران اسم وليس بمهموز ولم يؤخذ من قرأ ولكنه اسم لكتاب الله، مثل التوراة والإنجيل.

واما القائلون بأنه مهموز : فقال قوم منهم اللحياني :هو مصدر لقرأت، كالرجحان والغفران، سمي به الكتاب المقروء، من باب تسمية المفعول بالمصدر.

قال الجلال السيوطى بعد ان حكّى اقوالا بأنّه مشتق واختلاف من قائليه فى المشتقّ منه ,واختلاف قائليه مهموز : والمختار عند فى هذه المسئلة ما نصّ عليه الشّلفعى رضي الله عنه.

وقال أبو المعاني عزيزي بن عبد الملك المعروف بشيذلة —بضم عين عزيزي— في كتاب البرهان : اعلم أن الله سمى القرآن بخمسة وخمسين اسما: سماه كتابا ومبينا (الدخان:١-٢), وقرآنا وكريما (الواقعة: ٧٧), وكلاما (التوبة:٦), ونورا(النساء:١٧٤), وهدى ورحمة (يونس: ٥٧), وفرقانا(الفرقان :١), وشفاء (الاسراء : ٨٢), وموعظة (يونس : ٥٧), وذكراومباركا (الانبياء:٥٠) وعليا (الزخروف:٤), وحكمة (القمر:٥) وحكيما (ينوس:١), ومهيمنا (المائدة:٤٨),

وحبلا (آل عمران : ١٠٣), وصراطامستقيما (الأنعام : ١٥٣), وقيّما (الكهف : ٢), وقولا وفصلا (الطارق : ١٣),ونبأ عظيما (النَّبَأِ : ١ — ٢) وأحسن الحديث، ومتشابها، ومثاني (الزُّمَرِ : ٢٣) وتنزيلا (الشُّعَرَاءِ : ١٢٩) وروحا (الشُّورَى : ٥٢) ووحيا (الْأَنْبِيَاءِ : ٤٥) وعربيا (يُوسُفَ : ٢) وبصائر(الْأَعْرَافِ : ٢٠٣) وبيانا (آلِ عِمْرَانَ : ١٣٨) وعلما (الْبَقَرَةِ : ١٤٥) وحقا (آلِ عِمْرَانَ : ٦٢) وهديا (الْإِسْرَاءِ : ٩) وعجبا (الجن : ١) وتذكرة (الْحَاقَّةِ: ٤٨), والعروة الوثقى (الْبَقَرَةِ: ٢٥٦) وصدقا (الزُّمَرِ : ٣٣) وعدلا (الْأَنْعَامِ: ١١٥) وأمرا (الطَّلَاقِ : ٥) ومناديا (آلِ عِمْرَانَ : ١٩٣) وبشرى (النَّمْلِ : ٣) ومجيدا (الْبُرُوجِ : ٢١), وزبورا (الْبُرُوج: ٢١), وبشيرا ونذيرا (فُصِّلَتْ : ٣-٤), وعزيزا (فُصِّلَتْ : ٤١) وبلاغا (إِبْرَاهِيمَ : ٥٢) وقصصا (عبس : ١٣-١٤).

اسماء السور هي قد ثبت جمع هذه الأسماء بالتوقيف والأحادث والآثار وقد يكون اسم واحد وهو كثير

١. الفاتحة : فاتحة الكتاب, فاتحة القرآن, أم الكتاب, وأم القرآن, القرآن العظيم, السبع المثاني, الوافية, الكنز, الكافية, الأساس, النور, سورة الحمد، وسورة الشكر, سورة الحمد الأولى, وسورة الحمد القصرى, الرقية، والشفاء، والشافية, سورة الصلاة, الصلاة, سورة الدعاء, سورة السؤال, سورة تعليم المسألة, سورة المناجاة, سورة التفويض.
٢. سورة البقرة : فسطاط القرآن, وفسطاط المدينة, سنام القرآن, سنام كل شيء : أعلاه.
٣. سورة آل عمران : سورة بدر.

٤. سورة براءة : التوبة[٣٧] والفاضحة, والمقشقشة, والمنقرة, والحافرة, والمثيرة.
٥. النحل : سورة النعم
٦. سورة الإسراء: سورة (سبحان) وسورة بني إسرائيل
٧. سورة الكهف : سورة أصحاب الكهف
٨. سورة طه: سورة الكليم
٩. سورة الشعراء: بسورة الجامعة
١٠. سورة النمل: سورة سليمان .
١١. سورةالسجدة:المضاجع.
١٢. سورة فاطر: سورة الملائكة
١٣. سورة يس : سماها – صلى الله عليه وسلم – قلب القرآن أخرجه :الترمذي من حديث أنس.
١٤. سورة الزمر : سورة الغرف.
١٥. سورة غافر : سورة الطول، والمؤمن [٣٨].
١٦. سورة فصلت: سورة السجدة، وسورة المصابيح.
١٧. الجاثية : سورة الشريعة، وسورة الدهر.
١٨. سورة محمد: سورة القتال.
١٩. سورة ق: سورة الباسقات.
٢٠. سورة اقتربت : سورة القمر.

---

[٣٧] ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾ (التوبة : ١١٧).

[٣٨] ﴿ وقال رجل مؤمن ﴾ (غافر : ٢٨)

٢١. سورة الرحمن : سميت في حديث : عروس القرآن أخرجه البيهقي, عن علي مرفوعا.

٢٢. سورة المجادلة : سورة الظهار

٢٣. سورة الحشر: سورة بني النضير .

٢٤. سورة الممتحنة : سورة الامتحان, وسورة المودّة.

٢٥. سورةالصف:سورةالحواريين

٢٦. سورة الطلاق : سورة النساء القصرى.

٢٧. سورة التحريم : سورةالمتحرم وسورةلم تحرم.

٢٨. سورة تبارك : سورة الملك .

٢٩. سورة سأل: سورة المعارج والواقع.

٣٠. سورة عم : سورة النبأ والتساؤل والمعصرات.

٣١. لم يكن: سورة أهل الكتاب، وسورة البينة وسورة القيامة وسورة البرية وسورة الانفكاك.

٣٢. سورة أرأيت : سورة الدين، وسورة الماعون.

٣٣. سورة الكافرون : سورة المقشقشة وسورة العبادة

٣٤. سورة النصر: سورة التوديع.

٣٥. سورة تبت : سورة المسد.

٣٦. سورة الإخلاص : سورة الأساس

٣٧. سورة والفلق ، والناس: يقال لهما المعوذتان.

فائدة في إعراب أسماء السور :

ما سمي منها بجملة تحكَى نحو ((قل أوحى)) و ((أتى أمر الله)) أو بفعل لا ضمير فيه =أُعرب إعرابَ ما لا ينصرف إلا ما في أوله همزة وصل, فتقطع ألفُه وتُقلبُ تاؤه هاءً في الوقف, ويكتب بهاء على صورة الوقف, فتقول: قرأت (اقتربت) وفي الوقف (اقتربه). أما الإعراب: فلأنها صارت أسماء, والأسماء معربة إلا لموجب بناء, وأما قطع همزة الوصل: فلأنها لا تكون في الأسماء إلا في ألفاظ محفوظة لا يقاس عليها, وأما قلب تائها هاءً: فلأن ذلك حكم تاء التأنيث التي في الأسماء, وأما كتبها هاءً: فلأن الخط تابع للوقف غالبا.

وما سمي منها باسم فإن كان من حروف الهجاء وهو حرف واحد وأضفت إليه سورة =فعند ابن عصفور أنه موقوف لا إعراب فيه. وعند الشلوبين يجوز فيه وجهان: الوقف والإعراب. أما الأول -ويعبر عنه بالحكاية- فلأنها حروف مقطعة تحكى كما هي. وأما الثاني فعلى جعله اسما لحروف الهجاء, وعلى هذا يجوز صرفه بناء على تذكير الحرف, ومنعه بناء على تأنيثه, وإن لم تضف إليه سورة لا لفظا ولا تقديرا =فلك الوقف والإعراب مصروفا وممنوعا.

وإن كان (أكثر من حرف) فإن وزان الأسماء الأعجمية كـ(طس) و(حم) وأضيفت إليه سورة أم لا, فلك الحكاية والإعراب ممنوعا لموازنة قابيل وهابيل, وإن لم يوازن فإن أمكن فيه التركيب كطاسين ميم وأضيفت إليه سورة فلك الحكاية والإعراب إما مركبا مفتوح النون كحضرموت, أو معرب النون مضافا لما بعده مصروفا وممنوعا على اعتقاد التذكير والتأنيث, وإن لم تضف إليه سورة فالوقف على الحكاية, والبناء كخمسة عشر, والإعراب ممنوعا, وإن لم يمكن التركيب فالوقف ليس إلا, أضفت إليه سورة أم لا, نحو (كهيعص) و(حم عسق)

ولا يجوز إعرابه؛ لأنه لا نظير له في الأسماء المعربة, ولا تركيبه مزجا؛ لأنه لا يركب, كذلك أسماء كثيرة, وجوز يونس {هو ابن حبيب} إعرابه ممنوعا.

وما سمّي منها باسم غير حرف هجاء: فإن كان فيه ال انجرَّ, نحو الأنفال, والأعراف, والأنعام, وإلا منع الصرف إن لم يضف إليه سورة, نحو هذه هود ونوح, وقرأت هودَ ونوحَ, وإن أضفت بقي على ما كان عليه قبلُ. فإن كان فيه ما يوجب المنع مُنع, نحو: قرأت سورة يونس. وإلا صرف نحو سورة نوحٍ وسورة هودٍ.



الباب الثامن عشر

فى جمع القرآن وترتيبه

القول فى جمع القرآن ثلاث مرّة :

١. جمع القرآن على عهد النبي.[٣٩]

٢. جمع القرآن فى عهد ابى بكر.[٤٠]

٣. جمع القرآن فى عهد عثمان بن عفان.[٤١]

اختلاف العلماء فى عدد المصاحف التى ارسل بها عثمان الى الآفاق:

١. كان عددها سبعة. ارسلت الى : مكة, والشام, والبصرة, والكوفة, واليمن, والبحرين, والمدينة.

٢. كان عددها اربعة, العراقي, والشامي, والمصري, والمصحف الامام, او الكوفي, والمبصري, والشامي, والمصحف الامام.

٣. كان عددها خمسة, وذهب السيوطى الى هذاهو المشهور.

الاجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي, لاشبهة فى ذلك. وامّا فى ترتيب سور ففيه الخلاف بين علماءه, هل هو توقيفيّ ايضا ؟ او هو باجتهاد من الصحابة .والراجح فيه أنّه توقيفيّ ايضا. قال اللجلال السيوطى : ومما يدلّ عليه كون الحواميم رتيب ولاء أي متتالية وكذا الطواسين ولم ترتب المسبحات أي السور التى بدأت بتسبيح الله عز وجل ولاء, بل فصل بين سورها

[٣٩] رواه الحاكم فى المستدرك (٢: ٢٤٩)

[٤٠] اخرج البخارى فى (فضائل القرآن / ٤٩٨٦)

[٤١] رواه البخارى فى (فضائل القران / ٤٩٨٨،٤٩٨٧)

وفصل بين طسم الشعراء وطسم القصص وبطس مع أنّها أقصر منهما ولو كان الترتيب اجتهاديا لذكرت المسبحات ولاء وأخرت طس عن القصص.

والذى ينشرح له الصدر ما ذهب اليه البيهقي وهو ان جميع السور ترتيبها توقيفي الا براءة والانفال. لا ينبغى ان يستدل بقرائته صلى... سورا ولاء على أن ترتيبها كذلك.

أقسام سور القرآن أربعة :

١. الطوال.

الطوال سبع : البقرة, وآل عمران, والنساء, والمائدة, والأنعام, والأعراف, والسابعة, قيل : هي الأنفال وبراءة معا لعدم الفصل بينهما بالبسملة. وقيل : هي يونس.

٢. المئون.

المئون : التي تزيد آياتها على مائة أوتقريبها.

٣. المثاني.

المثاني : هي التي تليها فى عدد الآيات.

٤. المفصّل.

المفصّل : قيل : من أول سورة "ق", وقيل : من أول الحجرات.

وعدد السورة : مائة وأربع عشرة سورة, وقيل : وثلاث عشرة يجعل الأنفال وبراءة سورة واحدة. أما عدد الآيات فستة آلاف ومائتا آية, واختلفوا فيما زاد عن ذلك. وأطول الآيات آية الدين, وأطول السور سورة البقرة.



الباب التاسع عشر

فى عدد سوره وايته وكلمته وحروفه

عدد سور القرآن : مائة وأربع عشرة سورة بإجماع من يعتد به. وقيل : وثلاث عشرة, بإدخال الأنفال و " براءة " سورة واحدة. وشبهة قائل به اشتباه الطرفين وعدم البسملة بينهما. ويرده تسمية النبي ﷺ كُلاًّ منهما. واما عدم البسملة بينهما فلأنّ جبريل لم ينزل بها. قال علي كرم الله وجهه : لأنّ البسملة أمان ، و " براءة " نزلت بالسيف.

وأما عدد الآيته : ستة آلف آية ومائتا آية وست عشرة آية.[٤٢] وروى الحافظ الدانىّ : الأجمعوا على انّ عدد آيات القرآن : ستة آلاف آية ، ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك فمنهم من لم يزد، ومنهم من قال : ومائتا آية وأربع آيات , وقيل : وأربع عشرة, وقيل : وتسع عشرة, وقيل : وخمس وعشرون, وقيل : وست وثلاثون.

وأمّا عدد كلمات القرآن : سبعة وسبعين ألف كلمة، وتسعمائة وأربعا وثلاثين كلمة[٤٣]. وقيل : وأربعمائة وسبعا وثلاثين، ومائتان وسبع وسبعون, وقيل : غير ذلك. وقيل : وسبب الاختلاف في عد الكلمات :أن الكلمة لها حقيقة ومجاز ولفظ ورسم، واعتبار كل منها جائز، وكل من العلماء اعتبر أحد الجوائز.

وأمّا عدد حروف القرآن :

---

[٤٢] أخرجه الديلمى (٣٠٦٤).

[٤٣] أخرجه ابو يعلى (٨٣٦)

قال ابن عبّاس : (جميع حروف القرآن ثلاثمائة ألف حرف, وثلاثة وعشرون ألف حرف, وستمائة حرف و واحد وسبعون حرفا) رواه ابن الضُوريس.[٤٤]وفيه قول آخر, وعن عمررضي الله عنه مرفوعا : (القرآن ألف ألف حرف، فمن قرأه صابرا محتسبا كان له بكل حرف زوجة من الحور العين).[٤٥]



[٤٤] الشيح محمد مخفوظ الترماسي (١: ١٤٧).

[٤٥] رواه الطبراني فى المعجم الأوسط (٦٦١٦).

الباب العشرون

فى معرفة حفاظه ورواته

تعريف حفاظه :

روى البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: خذوا القرآن من أربعة : من عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبي بن كعب[٤٦] أي : تعلموا منهم. والأربعة المذكورون : اثنان من المهاجرين، وهما المبتدأ بهما، واثنان من الأنصار .وسالم : هو ابن معقل مولى أبي حذيفة، ومعاذ : هو ابن جبل .

فالظاهرأنه أمر بالأخذ عنهم في الوقت الذي صدر فيه ذلك القول، ولا يلزم من ذلك أن لا يكون أحد في ذلك الوقت شاركهم في حفظ القرآن، بل كان الذين يحفظون مثل الذي حفظوه وأزيد جماعة من الصحابة.

صرّح الجلال السيوطى فى كتاب ألفية المصطلح بأنّهم فوق الثلاثين من الصحاب ما بين رجل وامرأة, منهم الخلفاء الأربعة, والعبادلة الأربعة[٤٧], وطلحة, وسعيد, وابن مسعود, وحذيفة, وسالم, وأبو هريرة, وعبد الله بن السائب, وعائشة, وأم سلمة, وحفصة, وأم ورقة الشهيدة, وأبي بن كعب, وزيد بن ثابت, ومعاذ بن جبل, وأبو الدرداء, وسعيد بن عبيد, وأبوزيد قيس بن السكن, وسعيد بن المنذر, وقيس بن أبي صعصعة, ومجمع بن حارثة, وعبادة بن الصامت, وتميم

---

[٤٦] رواه البخارى (٤٩٩٩), ومسلم (٢٤٦٤).

[٤٧] هم : عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم.

الداري, وعقبة بن عامر, وسلمة بن مخلد, وأبو موسى الأشعري, وغيرهم. فقد قال القرطبي : قتل يوم اليمامة سبعون من القراء[48].

قال الجلال السيوطى : لكن أخرج ابن أشتة في المصاحف بسند صحيح : عن محمد ابن سيرين ، قال : مات أبو بكر ولم يجمع القرآن، وقتل عمر ولم يجمع القرآن[49]. قال ابن أشتة :قال بعضهم : يعني لم يقرأ جميع القرآن حفظا. وقال بعضهم : هو جمع المصاحف.

تعريف قراءة : المشتهرون بالاقراء من القرآن من الصحابة سبعة : عثمان، وعلي، وأبي، وزيد بن ثابت، وابن مسعود ، وأبو الدرداء ، وأبو موسى الأشعري .

اشتهر بالاقراء من التابعين :

١. بالمدينة : ابن المسيب وعروة وسالم وعمر بن العزيز وسليمان وعطاء بن يسار, ومعاذ بن الحارث المعروف بمعاذ القارئ, وعبد الرحمن بن هرمزالأعرج, وابن شهاب الزهري, ومسلم بن جندب, وزيد بن أسلم.
٢. بمكة : عبيد بن عمير, وعطاء بن أبي ربح, وطاوس, ومجاهد, وعكرمة, وابن أبي مليكة.
٣. بالكوفة : علقمة والأسود ومسروق وعبيدة وعمر وابن شرحبيل والحارث بن قيس والربيع بن خثيم, وعمرو بن ميمون, وأبو عبد الرحمن السلمي, وزر بن حبيش, وعبيد بن نضيلة, وسعيد, بن جبير, والنخعي والشعبي.

[48] الاتقان فى علوم القرآن (١ : ٢٤٥)

[49] رواه ابن سعد فى الطبقات (٣ : ٢١١).

٤. بالبصرة : أبو العالية وأبو رحاء ونصر بن عاصم ويحي بن يعمروالحسن وابن سيرين, وقتادة.

٥. بالشام : المغيرة بن أبي شهاب المخزومي صاحب عثمان, وخليفة بن سعد صاحب أبي الدرداء.

اشتهر الأمة القراء السبعة, منهم :

١. نافع المدني : وقد أخذ عن سبعين من التابعين, منهم أبو جعفر, وروايه قالون وورش.

٢. وابن كثير : وأخذ عن عبد الله بن السائب الصحاب, وروايه قنبل والبزي.

٣. وأبو عمرو : وأخذ عن التبعين, وروايه الدوري والسوسي.

٤. وابن عامر الشامي : وأخذ عن أبي الدرداء, وأصحاب عثمان, وروايه هشام وابن ذكوان.

٥. وعاصم الكوفى : وأخذ عن التابعين, وروايه أبو بكر بن عياش, وحفص.

٦. وحمزة الكوفي : وأخذ عن عاصم والأعمش والسبيعي ومنصور بن المعتمر وغيره, وروايه خلف وخلاد.

٧. والكسائي الكوفي : وأخذ عن حمزة وأبي بكر بن عياش, وروايه حفص الدوري, وابن الحارث.



الباب الحادى والعشرون

معرفة العالى والنازل من أسانيد

الطريق الموصل إلى متن الحديث يسمى سندا، ويقال له: الطريق لأنه يوصل إلى المقصود هنا، وهو الحديث. اعلم أنّ طلب علوّالاسناد سنة,فانّ قريب الى الله تعالى, وقد قسمه اهل الحديث الى أقسام :

١. القرب من رسول الله – صلى الله عليه وسلم –من حيث العدد بإسناد نظيف غير ضعيف، وهو أفضل أنواع العلو وأجلها. وأعلى ما يقع منها إسناد رجاله أربعة عشر رجلا، وإنما يقع ذلك من قراءة ابن عامر :من رواية ابن ذكوان . ثم خمسة عشر ; وإنما يقع ذلك من قراءة عاصم :من رواية حفص وقراءة يعقوب :من رواية رويس.
٢. القرب إلى إمام من أئمة الحديث : كالأعمش وهشيم، وابن جريج، والأوزاعي، ومالك .ونظيره هنا القرب إلى إمام من أئمة السبعة, فأعلى ما يقع منها بالاسناد المتصل بالتلاوة إلى نافع :اثنا عشر، وإلى عامر : اثنا عشر.
٣. العلو بالنسبة إلى رواية أحد الكتب الستة. وقع مناسبة العلو بالنسبة بعض الكتب المشهورة في القراءات، كالتيسير أي التيسير في القرآت السبع وهو مطبوع و جامع البيان للحافظ الداني, و التذكرة فى الثمان للأستاذ أبي الحسن طاهر بن عبد المنعم ابن غلبون الحلبي ثم المصري[٥٠], وكحرز الأماني

---

[٥٠] انظر الأعلم (٣ : ٢٢٢).

للامام الشاطبي[51], وكالمستنير فى العشر لابن سوار البغدادي[52], وكالنشر والطيبة للحافظ ابن الجزري, وغير ذلك.

٤. تقدم وفاة الشيخ عن قرينه الذي أخذ عن شيخه : فالأخذ مثلا، عن التاج بن مكتوم أعلى من الأخذ عن أبي المعالي بن اللبان، وعن ابن اللبان أعلى من البرهان الشامي، وإن اشتركوا في الأخذ عن أبي حيان لتقدم وفاة الأول على الثاني، والثاني على الثالث.

٥. العلو بموت الشيخ بغير التفات لأمر آخر، أو شيخ آخر متى يكون : قال بعض المحدثين : يوصف الإسناد بالعلو إذا مضى عليه من موت الشيخ خمسون سنة. وقال ابن مَنده : ثلاثون. ومثال هذا الأخذ أنّ اصحاب ابن الجزري عال فى ثلاث وستين وثمانمائة سنة, لأن ابن الجزري آخر من كان سنده عاليا ومضى عليه حينئذ من موته ثلاثون سنة.

وإذا عرفت العلو بأقسامه، عرفت النزول، فإنه ضده، وحيث ذم النزول فهو ما لم ينجبر بكون رجاله أعلم و أحفظ و أتقن أو أجل أو أشهر أو أورع، أما إذا كان كذلك فليس بمذموم ولا مفضول.



[51] انظر الأعلام (٥ : ١٨٠).

[52] انظر الأعلام (١ : ١٧٣).

الباب الثاني والعشرون

معرفة المتواتر والمشهور والآحاد والشاذ والموضوع والمدرج

قال القاضي جلال الدين البلقيني قال : القراءة تنقسم إلى متواتر وآحاد وشاذ, فالمتواتر : القراءات السبعة المشهورة, والآحاد : قراءات الثلاثة التي هي تمام العشر، ويلحق بها قراءة الصحابة, والشاذ: قراءات التابعين كالأعمش، ويحيى بن وثاب، وابن جبير، ونحوهم, وهذا الكلام فيه نظر يعرف مما سنذكره.

. قال الجلال السيوطى أحسن من تكلم في هذا النوع هو أبو الخير بن الجزري, قال في أول كتابه " النشر " : كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا ، وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها، سواء كانت، عن الأئمة السبعة، أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم. هذا الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف، صرح بذلك الداني ومكي والمهدوي، وأبو شامة، وهو مذهب السلف الذي لا يعرف، عن أحد منهم خلافه.

قال الجلال السيوطي : أتقن الإمام ابن الجزري هذا الفصل بأنّ القراءة انواع:

١. المتواتر : وهو ما نقله جمع لا يمكن اتفاقهم على الكذب ، عن مثلهم إلى منتهاه ، وغالب القراءات كذلك.

٢. المشهور : وهو ما صح سنده ولم يبلغ درجة التواتر, ووافق بالقاعدة اللغة العربية والرسم, واشتهر عند القراء. ومن أشهر ما صنف في ذلك " التيسير "للداني، وقصيدة الشاطبي، وأوعبه " النشر في القراءات العشر " وتقريب النشر كلاهما لابن الجزري .

٣. الآحاد وهو ما صح سنده وخالف الرسم أو القاعدة اللغة العربية، أو لم يشتهركالنوع الثانى اي الاشتهار, ولا يقرأ به. ومن ذلك ما أخرجه الحاكم من طريق عاصم الجحدري ، عن أبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ " : متكئين على رفارف خضر وعباقري حسان [٥٣]. "

٤. الشاذ وهو ما لم يصح سنده ، وفيه كتب مؤلفة ، من ذلك قراءة (ملك يوم الدين) بصيغة الماضي ونصب (يوم) ، و : (إياك يعبد) ببنائه للمفعول. وزاد الجلال السيوطى السادس المدرج وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير ، كقراءة سعد بن أبي وقاص :(وله أخ أو أخت من أم) أخرجها سعيد بن منصور [٥٤].



---

[٥٣] اخرج الحاكم (٢٩٨٦), انظر تفسير القرطبي (١٧ : ١٩١).

[٥٤] رواه سعيد بن منصور فى سننه (٩٥٢).

الباب الثالث والعشرون

فى معرفة الوقف والابتداء

من بعض أهمية كبرى في كيفية أداء القرآن حفاظا على سلامة معانى الآيات معرفة الوقف والابتداء, وبعدا عن اللبس والوقوع فى الخطأ, وهذا يحتاج الى درايسة بعلوم العربية, وعلم القراءات وتفسير القرآن, حتى لا يفسد المعنى.

قال ابن الأنباري : الوقف على ثلاثة أوجه :

١. التام : : الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده ، ولا يكون بعده ما يتعلق به ، كقوله : ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ﴾ (البقرة : ٥) وقوله : ﴿أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُوْنَ﴾ (لبقرة : ٦).

٢. .والحسن :هو الذي يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده كقوله : الحمد لله ; لأن الابتداء ب رب العالمين (الفاتحة : ٢)
لا يحسن لكونه صفة لما قبله.

٣. والقبيح : هو الذي ليس بتام ولا حسن كالوقف على بسم من قوله بسم الله.

قال : ولا يتم الوقف على المضاف دون المضاف إليه ، ولا المنعوت دون نعته ، ولا الرافع دون مرفوعه وعكسه ، ولا الناصب دون منصوبه وعكسه ، ولا المؤكد دون توكيده ، ولا المعطوف دون المعطوف عليه ، ولا البدل دون مبدله ، ولا (إن) أو (كان) أو (ظن) وأخواتها دون اسمها ، ولا اسمها دون خبرها ، ولا المستثنى منه دون الاستثناء ، ولا الموصول دون صلته اسميا أو حرفيا ، ولا الفعل دون فاعله، ولا الحرف دون متعلقه ، ولا شرط دون جوابه.

والمشهور أنّه ينقسم إلى أربعة أقسام[٥٥] : تام مختار ، وكاف جائز ، وحسن مفهوم ، وقبيح متروك. وزيد فى هذا القول الكافي هو منقطع فى اللفظ متعلق فى المعنى, فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده أيضا ، نحو : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ (النساء : ٢٣) هنا الوقف ويبتدأ بما بعد ذلك ، وهكذا كل رأس آية بعدها (لام كي) و (إلا) بمعنى (لكن) و (إن) الشديدة المكسورة والاستفهام و (بل) و (ألا). المخففة و (السين) و (سوف) للتهديد ، و (نعم) و (بئس) و (كيلا) ما لم يتقدمهن قول أو قسم.

وقال السجاوندي :الوقف على خمس مراتب : لازم ومطلق وجائز ومجوز لوجه ومرخص ضرورة .

١. فاللازم : ما لو وصل طرفاه غير المراد نحو قوله﴿ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِيْنَ ﴾ (البقرة : ٨) يلزم الوقف هنا ، إذ لو وصل بقوله﴿ يُخَادِعُوْنَ اللهَ ﴾ (البقرة : ٩) توهم أن الجملة صفة لقوله : بمؤمنين فانتفى الخداع عنهم، وتقرر الإيمان خالصا عن الخداع ، كما تقول ما هو بمؤمن مخادع والقصد في الآية إثبات الخداع بعد نفي الإيمان.
٢. والمطلق : ما يحسن الابتداء بما بعده :

كالاسم المبتدأ به نحو: ﴿ اللهُ يَجْتَبِي ﴾ (الشورى : ١٣). **والفعل المستأنف** نحو: ﴿ يَعْبُدُوْنَنِي لَا يُشْرِكُوْنَ بِي شَيْئًا ﴾ (النور : ٥٥). ﴿وَسيقول السفهاء﴾ (البقرة : ١٤٢)، و ﴿سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُّسْرًا ﴾ (الطلاق : ٧). **ومفعول المحذوف** نحو: ﴿ وَعْد الله ﴾ (النساء : ١٢٢) ، ﴿سُنَّة الله﴾ (الأحزاب : ٣٨). **والشرط** نحو: ﴿ مَنْ يَّشَأْ

---

[٥٥] مناع القطان مباحث فى علوم القرآن (١٨٧).

اللهُ يُضْلِلْهُ﴾ (الأنعام : ٣٩). و**الاستفهام** ولو مقدرا : نحو: ﴿ أَتُرِيْدُوْنَ أَنْ تَهْدُوْا ﴾ (النساء : ٨٨) , ﴿تُرِيْدُوْنَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ (الأنفال : ٦٧). و**النفي** , نحو : ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيْرَةُ﴾ (القصص : ٦٨), ﴿ إِنَّ يُرِيْدُوْنَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (الأحزاب : ١٣) حيث لم يكن كل ذلك مقولا لقول سابق.

٣. والجائز : ما يجوز فيه الوصل والفصل لتجاذب الموجبين من الطرفين ،(البقرة : ٨٦) ; لأن الفاء في قوله: ﴿ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ﴾ (البقرة : ٨٦) تقتضي التسبب والجزاء ، وذلك يوجب الوصل ، وكون لفظ الفعل على الاستئناف يجعل للفصل وجها.

٤. والمرخص ضرورة : ما لا يستغني ما بعده عما قبله ، لكنه يرخص لانقطاع النفس وطول الكلام ، ولا يلزمه الوصل بالعود ; لأن ما بعده جملة مفهومة ، كقوله: ﴿ وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾ (البقرة : ٢٢); لأن قوله: ﴿ وَأَنْزَلَ ﴾ (البقرة : ٢٢) لا يستغني عن سياق الكلام ; فإن فاعله ضمير يعود إلى ما قبله ، غير أن الجملة مفهومة.

وأما الابتداء فلا يكون إلا اختياريا ;لأنه ليس كالوقف تدعو إليه ضرورة ، فلا يجوز إلا بمستقل بالمعنى موف بالمقصود وهو في أقسامه كأقسام الوقف الأربعة ، ويتفاوت تماما وكفاية وحسنا وقبحا ، بحسب التمام وعدمه ، وفساد المعنى وإحالته ، نحو : الوقف على : ومن الناس (البقرة : ٨); فإن الابتداء ب (الناس) قبيح ، و (آمنا) تام ; فلو وقف على (من) كان الابتداء ب (يقول) أحسن من ابتدائه ب (من).

وكذا الوقف على ختم الله (البقرة : ٧) قبيح ، والابتداء ب " الله " أقبح وب " ختم " كاف.

وقد يكون الوقف حسنا والابتداء به قبيحا نحو: ﴿ يُخْرِجُوْنَ الرَّسُوْلَ وَإِيَّاكُمْ ﴾ (الممتحنة : ١) الوقف عليه حسن والابتداء به قبيح لفساد المعنى إذ يصير تحذيرا من الإيمان بالله.

وقد يكون الوقف قبيحا والابتداء جيدا ، نحو: ﴿ مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا هَذَا ﴾ (يس : ٥٢) الوقف على هذا قبيح لفصله بين المبتدأ وخبره، ولأنه يوهم أن الإشارة إلى المرقد ، والابتداء بهذا كاف أو تام لاستئنافه.

الوقف والقطع والسكت . عبارات يطلقها المتقدمون غالبا مرادا بها الوقف . والمتأخرون فرقوا فقالوا : القطع : عبارة ، عن قطع القراءة رأسا ، فهو كالانتهاء ، فالقارئ به كالمعرض عن القراءة .

والوقف : عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة ، بنية استئناف القراءة لا بنية الإعراض ، ويكون في رءوس الآي وأوساطها ولا يأتي في وسط الكلمة ، ولا فيما اتصل رسما.

والسكت : عبارة عن قطع الصوت زمنا ، هو دون زمن الوقف عادة، من غير تنفس.

كيفية الوقف اي على اواخر الكلم في كلام العرب أوجه متعددة والمستعمل منها عند أئمة القراءة تسعة : **السكون** (فهو في الأصل الوقف على الكلمة المحركة وصلا) ، و**الرَومُ** (فهو عند القراء عبارة ، عن النطق ببعض الحركة)، و**الإشمام** (فهو عبارة ، عن الإشارة إلى الحركة من غير تصويت)، و**الإبدال** (ففي الاسم المنصوب المنون ، يوقف عليه بالألف بدلا من التنوين) ، و**النقل** (ففيما آخره همزة بعد ساكن) ، و**الإدغام** (ففيما آخره همز بعد ياء أو واو زائدتين ، فإنه يوقف عليه عند حمزة أيضا بالإدغام بعد إبدال الهمز من جنس ما قبله) ،

والحذف (ففي الياءات الزوائد عند من يثبتها وصلا ، ويحذفها وقفا) ، **والإثبات** (ففي الياءات المحذوفات وصلا عند من يثبتها وقفا) ، **والإلحاق** (فما يلحق آخر الكلم من هاءات السكت عند من يلحقها).

بيان الموصول لفظا المفصول معنى

هو نوع مهم جدير أن يفرد بالتصنيف ، وهو أصل كبير في الوقف ; ولهذا جعلته عقبه . وبه يحصل حل إشكالات وكشف معضلات كثيرة :

من ذلك قوله تعالى : هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها إلى قوله : ﴿ جَعَلَا لَه شُرَكَآءَ فِيْمَآ اٰتٰهُمَا فَتَعٰلَى اللّٰهُ عَمَّا يُشْرِكُوْنَ ﴾ (الأعراف : ١٨٩ – ١٩٠) فإن الآية في قصة آدم وحواء كما يفهمه السياق ، وصرح به في حديث أخرجه أحمد والترمذي – وحسنه – والحاكم – وصححه من طريق الحسن عن سمرة مرفوعا .

وأخرجه ابن أبي حاتم وغيره بسند صحيح ، عن ابن عباس .

لكن آخر الآية مشكل ، حيث نسب الإشراك إلى آدم وحواء ، وآدم نبي مكلم ، والأنبياء معصومون من الشرك قبل النبوة وبعدها إجماعا ، وقد جر ذلك بعضهم إلى حمل الآية على غير آدم وحواء ، وأنها في رجل وزوجته كانا من أهل الملك ، وتعدى إلى تعليل الحديث والحكم بإنكارته.

قال الجلال السيوطي : وما زلت في وقفة من ذلك حتى رأيت ابن أبي حاتم قال : أخبرنا أحمد بن عثمان بن حكيم، حدثنا أحمد بن مفضل، حدثنا أسباط، عن السدي في قوله : فتعالى الله عما يشركون قال : هذه فصل من آية آدم، خاصة في آلهة العرب .

وقال عبد الرزاق : حدثنا ابن عيينة ، سمعت صدقة بن عبد الله بن كثير المكي يحدث ، عن السدي قال : هذا هو الموصول المفصول.

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن أبي حماد، حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك ، قال : هذه مفصولة، إطاعة في الولد فتعالى الله عما يشركون هذه لقوم محمد.

فانحلت عني هذه العقدة، وانجلت لي هذه المعضلة، واتضح بذلك أن آخر قصة آدم وحواء فيما آتاهما وأن ما بعده تخلص إلى قصة العرب، وإشراكهم الأصنام . ويوضح ذلك تغيير الضمير إلى الجمع بعد التثنية ، ولو كانت القصة واحدة لقال : (عما يشركان) كقوله : ﴿ دَّعَوَا اللّٰهَ رَبَّهُمَا . فَلَمَّآ اٰتٰهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَه شُرَكَآءَ فِيْمَآ اٰتٰهُمَا ﴾ (الأعراف : ١٨٩ – ١٩٠)، وكذلك الضمائر في قوله بعده : ﴿ اَيُشْرِكُوْنَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا ﴾ (الأعراف : ١٩١) وما بعده إلى آخر الآيات وحسن التخلص والاستطراد من أساليب القرآن.



الباب الرابع والعشرون

في الإمالة والفتح وما بينهما

قال الداني الداني :الفتح والإمالة لغتان مشهورتان ، فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم : فالفتح لغة أهل الحجاز ، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وأسد وقيس . وفى الحديث عن صفوان بن عسال رضي الله عنه أنّه سمع رسول الله ﷺ يقراء : (يايحي خذ الكتاب بقوّة)[٥٦] بالامالة, فقيل له : يا رسول الله تميل وليس هي لغة قريش ؟ فقال : ((هي لغة الأخوال : بني سعد))[٥٧]. وفى حديث غريب عن زربن حبيش قال : قرأ رجل على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : (طه) ولم يكسر يعني لم يمل , فقال عبد الله : (طِهِ) وكسر الطاء والهاء, يعني أمالهما, فقال الرجل : (طه) ولم يكسر, فقال عبد الله : (طه) وكسر, ثم قال : (والله هكذا علمني رسول الله ﷺ وكذا نزل بها جبريل). رواه ابن مردويه[٥٨].

الإمالة هي أن ينحو بالفتحة نحو الكسرة ، وبالألف نحو : الياء كثيرا ، وهي المحضة, وتسمّ بالإضجاع والبطح والكبرى وقليلها هو بين بين اي بين الفتح وبين الإمالة المحضة ويسمّى ايضا التقليل والتلطيف والصغرى. وأما **الفتح** فهو فتح القارئ فاه بلفظ الحرف ، ويقال له : التفخيم ، وهو شديد ومتوسط. فا**لشديد** : هو نهاية فتح الشخص فاه بذلك الحرف ، ولا يجوز في القرآن ، بل هو معدوم في لغة العرب. وا**لمتوسط** : ما بين الفتح الشديد والإمالة المتوسطةالمتوسطة .

---

[٥٦] سورة مريم : الاية ١٢.

[٥٧] اخرجه السخاوي فى جمال القراء (١ : ٥٩٨).

[٥٨] رواه السخاوي في جمال القراء (١ : ٥٩٨)

وبفتح مطلقا بعد ثلاث عشرة أحرف ، وهي جاع ، وحروف الاستعلاء (ق, ظ, خ, ص, ض, غ, ط) والأربعة الباقية وهي (أكهر) إن كان قبل كل منها ياء ساكنة ، أو كسرة متصلة أو منفصلة بساكن يميل ، وإلا بفتح.



الباب الخامس والعشرون

في الإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب

أفرد ذلك بالتصنيف جماعة من القراء. الإدغام :هو اللفظ بحرفين حرفا كالثاني مشددا . وينقسم إلى كبير وصغير:

فالكبير : ما كان أول الحرفين متحركا فيه ; سواء كانا مثلين ، أم جنسين ، أم متقاربين . وسمي كبيرا لكثرة وقوعه ; إذ الحركة أكثر من السكون . قال ابن الجزري فى تقريب النشر : ونعني بالمتماثلين ما اتفقا مخرجا وصفة والمتجانسين ما اتفقا مخرجا واختلفا صفة , والمتقاربين :ما تقاربا مخرجا أو صفة. وأما إدغام المتماثلين فوقع في سبعة عشر حرفا : وهي الباء ، والتاء ، والثاء ، والحاء ، والراء ، والسين ، والعين ، والغين ، والفاء ، والقاف ، والكاف ، واللام ، والميم ، والنون ، والواو ، والهاء ، والياء . نحو : الكتاب بالحق (النساء : ١٠٥) الموت تحبسونهما (المائدة : ١٠٦) حيث ثقفتموهم (البقرة : ١٩١) . النكاح حتى (البقرة : ٢٣٥) .شهر رمضان (البقرة : ١٨٥) . الناس سكارى (الحج : ٢) .يشفع عنده(البقرة : ٢٥٥) .يبتغ غير الإسلام (آل عمران : ٨٥) وما اختلف فيه (البقرة : ٢١٣) . أفاق قال (الأعراف : ١٤٣) . إنك كنت (يوسف : ٢٩).لا قبل لهم (النمل : ٣٧) . الرحيم مالك (الفاتحة : ٣ – ٤) .ونحن نسبح (البقرة : ٣٠) . فهو وليهم (النحل : ٦٣) . فيه هدى (البقرة : ٢) .يأتي يوم (البقرة : ٢٥٤).

وأما المدغم من المتجانسين والمتقاربين فهو ستة عشر حرفا ، يجمعها : رض س ن ش د ح ج ت ك ب ذ ل ق ث م). ومثلهما, فإدغام المتجانسين نحو :

وَدَّتْ طَّآيِفَةٌ (ال عمران : ٦٩) و المتقاربين نحو : فَقُلْ رَ بُّكُمْ (الأنعام : ١٤٧).

وأما الإدغام الصغير :فهو ما كان الحرف الأول فيه ساكنا. نحو : يُوَجِّهُهُ.

احكام النون الساكنة والتنوين اربعة : إظهار, وإدغام, وإقلاب, وإخفاء.

فالإظهار : جميع القراء عند ستة أحرف ، وهي حروف الحلق الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء ، نحو : ينأون (الأنعام : ٢٦)

والإدغام في ستة:

حرفان بلا غنة : وهما اللام والراء ، نحو : فإن لم تفعلوا (البقرة : ٢٤)

وأربعة بغنة : وهي النون والميم والياء والواو ، نحو : عن نفس (البقرة : ٤٨)

والإقلاب :عند حرف واحد وهو الباء نحو : أنبئهم (البقرة : ٣٣)

والإخفاء :عند باقي الحروف ، وهي خمسة عشر : التاء والثاء والجيم والدال والذال والزاي والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والفاء والقاف والكاف ، نحو : كنتم (البقرة : ٢٣).



الباب السادس والعشرون

في المد والقصر

المدُّ في اللغة: الْمَطْلُ، وهو الإطالة والزيادة، تقول: مدَّ الحرف مدًّا، بمعنى طَوَّلَه ، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ ﴾ (آل عمران الآية ١٢٤) أي يزدكم.
والقصر : ترك تلك الزيادة ، وإبقاء المد الطبيعي على حاله.

وحرف المد (الألف) مطلقا و (الواو) الساكنة المضموم ما قبلها والياء الساكنة المكسور ما قبلها. وسبب المدّ لفظي ومعنوي.

فاللفظي:إماهمز أو سكون: فالهمز : يكون بعد حرف المد وقبله. و ال سكون هو إما لازم وهو الذي لا يتغير في حاليه نحو : آدم ورأى وإيمان, أو عارض وهو الذي يعرض للوقف :نحو : العباد (يس : ٣٠) و الحساب (البقرة : ٢٠٢) والأول اي الهمزة, إن كان معه في كلمة واحدة فهو المتصل نحو : أولئك شاء الله و السوء (الروم : ١٠). وإن كان حرف المد آخر كلمة والهمز أول أخرى فهو : المنفصل نحو: (بما أنزل (يأأيها) (قالوا آمنا).

قال أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري :مدات القرآن على عشرة أوجه . مد الحجز : في نحو : أأنذرتهم (البقرة : ٦), ومد العدل :في كل حرف مشدد وقبله حرف مد ولين نحو : الضالين, ومد التمكين : في نحو : أولئك, ومد البسط : ويسمى أيضا مد الفصل في نحو : بما أنزل, ومد الروم نحو : ها أنتم , ومد الفرق نحو : آلآن لأنه يفرق به بين الاستفهام والخبر وقدره ألف تامة, ومد البنية نحو : ماء , ومد المبالغة نحو : لا إله إلا الله, ومد البدل من الهمزة نحو : آدم , ومد الأصل : في الأفعال الممدودة نحو : جاء و شاء.

الباب السابع والعشرون

فى تخفيف الهمز

ويطلق عليه تخفيف وتليين وتسهيل، وكلها بمعنى واحد, وهو يشتمل على أربعة أنواع من التحفيف :

١. النقل: وهو النقل: وهو نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، نحو: ﴿قد أفلح﴾ (المؤمنون : ١) بفتح الدال ، وبه قرأ نافع من طريق ورش ، وذلك حيث كان الساكن صحيحا آخرا والهمزة أولا. واستثنى أصحاب يعقوب عن ورش :كتابيه إني ظننت (الحاقة : ١٩ - ٢٠) فسكنوا الهاء وحققوا الهمزة ، وأما الباقون فخففوا وسكنوا في جميع القرآن.

٢. الإبدال بأن تبدل الهمزة الساكنة حرف مد من جنس حركة ما قبلها. فتبدل ألفا بعد الفتح ، نحو : وأمر أهلك (طه : ١٣٢). واوا بعد الضم نحو : (يومنون) وياء بعد الكسر ، نحو : (جيت) وبه يقرأ أبو عمرو .وسواء كانت الهمزة فاء أم عينا أم لاما ، إلا أن يكون سكونها جزما، نحو :ننسها (البقرة : ١٠٦) أو بناء نحو : (أرجئه) أو يكون ترك الهمز فيه أثقل ، وهو وتؤوي إليك في (الأحزاب : ٥١) ، أو يوقع في الالتباس، وهو ورئيا في (مريم : ٧٤) فإن تحركت فلا خلاف عنه في التحقيق نحو :يئوده (البقرة : ٢٥٥).

٣. التسهيل : ان يسهل الهمزة بينها وبين الحرف الذي منه حركتها فإن كانت مضموما سهّلت بين الهمزة والواو أو مفتوحة فبين الهمزة والألف أو مكسورة فبين الهمزة والياء, نحو : **أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ** (فصلة : ٤٤).

٤. الإسقاط وهو ان تسقط الهمزة رأسا بلا نقل. و إذا اتفقا في الحركة وكانا في كلمتين فإن اتفقا كسرا نحو : هؤلاء إن كنتم (البقرة : ٣١).

۞۞۞

الباب الثامن والعشرون

في كيفية تحمله

كيفية تحمل القرآن هي طريقتان :

١. السماعي, بأن تسمع من لسان الشيخ كما هو طريقة متقدمين. فإنّ صحابة إنّما أخدوا القرآن من رسول الله ﷺ بالسماعي منه.

٢. القراءة , شهدوا العلماء سلفاً وخلفاً في كيفية تحمل قراءة من التلامد على الشيخ وهو يسمعها.

قال بعض المحققين : إختلف في أيّ كيفيتين أفضل ؟ والأظهر أنّ طرقة الثانية بالنسبة لأهل زمننا أقرب الى خفظ.

بيّن الجلال السيوطى بأنّه لم يأخد احد من القُرّاء بالطريقة الأولى (السماعي) فقد من الشيخ, المقصودهما كيفية الأداء وليس كل من سمع من لفظ الشيخ يقدر على أداء كهيئة شيخه, فإنّ المقصود فيه المعنى أو اللفظ لا بالهيئات المعتبرة في أداء القرآن. وأما الصحابة رضي الله عنهم فكانت فصاحتهم وطباعهم السليمة تقتضي قدرتهم على الأداء كما سمعوه من النبي ﷺ لأنه نزل بلغتهم. وبذلك قال بعض العلماء : الجمع بين الكيفيتين أعلى لما ذكر فى ((المصابيح)) أنه جرت السنة بين القراء أن يقرأ الأستاذ ليسمع التلميذ, ثم يقرأ التلميذ[٥٩], لأنه رسول الله قال لأبي بن كعب رضي الله عنه : ((إن الله أمرني أن أقرأ القرآن عليك))[٦٠].

---

[٥٩] الشيخ محفوظ الترمسي فى فتح الخبير (١ : ٢٢٦).

[٦٠] رواه البخاري في صحيحه (٤٦٧٦) عن أنس بن مالك.

كيفيات القراءة ثلاثة :

١. التحقيق وهو إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد وتحقيق الهمزة وإتمام الحركات واعتماد الإظهار والتشديدات وبيان الحروف وتفكيكها وإخراج بعضها من بعض بالسكت والترتيل والتؤدة وملاحظة الجائز من الوقوف : بلا قصر ولا اختلاس ، ولا إسكان محرك ولا إدغامه ، وهو يكون لرياضة الألسن وتقويم الألفاظ.

٢. الحدر وهو إدراج القراءة وسرعتها مع مراعاة احكام التجويد كالإظهر والإدغام والقصر والبدل والتشهيل وغير ذلك مما صحت به الرواية.

٣. التدوير وهو التوسط بين الكيفيتين من التحقيق والحدر. وهو مذهب سائر القُرّاء كإبن عامر والكِسائي وخلف, وهو ايضا المختار عند أكثر أهل الأداء.

وقد قسموا العلماء قاعدة التجويد اقسام, منها :

كيفية الوقف من سكون محظ واشمام وروم, والإمالة, والإدغام وأحكام الهمز والترقيق والتفخيم ومخارج الحروف وقد تقدمت الأربعة الأول. وأما الترقيق هو سائر الحروف المستفلة كلها مرققة ، لا يجوز تفخيمها ، إلا اللام من اسم الله بعد فتحة أو ضمة إجماعا, والراء المضمومة أو المفتوحة مطلقا نحو : ومما رَزَقنهم أو الساكنة في بعض الأحوال, فاقراء هما بالتفخيم. وأما مخارج الحروف انها سبعة عشر :

١. الجوف للألف ، والواو والياء الساكنتين بعد حركة تجانسهما.

٢. أقصى الحلق للهمزة والهاء.

٣. وسطه ، للعين والحاء المهملتين.

٤. أدناه للفم ، للغين والخاء.

٥. أقصى اللسان مما يلي الحلق ، وما فوقه من الحنك للقاف.

٦. أقصاه من أسفل مخرج القاف قليلا ، وما يليه من الحنك للكاف

٧. وسطه ، بينه وبين وسط الحنك ، للجيم والشين والياء.

٨. للضاد المعجمة ، من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس من الجانب الأيسر ، وقيل : الأيمن.

٩. اللام من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرفه ، وما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى.

١٠. للنون من طرفه أسفل اللام قليلا

١١. للراء من مخرج النون ، لكنها أدخل في ظهر اللسان.

١٢. للطاء والدال والتاء من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مصعدا إلى جهة الحنك.

١٣. الحرف الصفير : الصاد والسين والزاي ، من بين طرف اللسان وفويق الثنايا السفلى.

١٤. للظاء والثاء والذال ، من بين طرفه ، وأطراف الثنايا العليا.

١٥. للفاء ، من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا.

١٦. للباء والميم والواو غير المدية ، بين الشفتين.

١٧. الخيشوم للغنة في الإدغام والنون والميم الساكنة.

كيفية الأخذ بإفراد القراءات وجمعها :

كان من السلف أخذوا كل ختمة برواية ، لا يجمعون رواية إلى غيرها إلا أثناء المائة الخامسة، فظهر جمع القراءات في الختمة الواحدة. وتساهل قوم، فسمحوا أن يقرأ لكل قارئ من السبعة بختمة، سوى نافع وحمزة ،فإنهم كانوا يأخذون بختمة لقالون ، ثم ختمة لورش ، ثم ختمة لخلف ، ثم ختمة لخلاد ، ولا يسمح أحد بالجمع إلا بعد ذلك.

وكيفية جمعها طريقان :

١. الجمع بالحرف ، بأن يشرع في القراءة ، فإذا مر بكلمة فيها خلف أعادها بمفردها ، حتى يستوفي ما فيها ، ثم يقف عليها إن صلحت للوقف ، وإلا وصلها بآخر وجه حتى ينتهي إلى الوقف . وإن كان الخلف يتعلق بكلمتين كالمد المنفصل وقف على الثانية ، واستوعب الخلاف ، وانتقل إلى ما بعدها . وهذا مذهب المصريين ، وهو أوثق في الاستيفاء وأخف على الآخذ ، لكنه يخرج عن رونق القراءة وحسن التلاوة.
٢. الجمع بالوقف ، بأن يشرع بقراءة من قدمه حتى ينتهي إلى وقف ، ثم يعود إلى القارئ الذي بعده إلى ذلك الوقف ، ثم يعود ، وهكذا حتى يفرغ ، وهذا مذهب الشاميين ، وهو أشد استحضارا ، وأشد استظهارا ، وأطول زمنا ، وأجود مكانا. وكان بعضهم يجمع بالآية على هذا الرسم.

وذكر أبو الحسن القيجاطي أي لعله ابو الحسن علي بن عمر بن إبراهم الكِنِاني القبحاطي, لجامع القراءات سبعة شروطا وهي :

١. حسن الوقف.
٢. حسن الابتداء.

٣. حسن الأداء.

٤. عدم التركيب فإذا قرأ لقارئ لا ينتقل إلى قراءة غيره حتى يتم ما فيها ، فإن فعل لم يدعه الشيخ بل يشير إليه بيده ; فإن لم يتفطن ، قال لم تصل ، فإن لم يتفطن مكث حتى يتذكر ، فإن عجز ذكر له.

٥. رعاية الترتيب في القراءة ، والابتداء بما بدأ به المؤلفون في كتبهم فيبدأ بنافع قبل ابن كثير ، وبقالون قبل ورش .



الباب التاسع والعشرون

في آداب تلاوة القرآن وتاليه

خلّص الجلال السيوطي في ذكر الجملة من الآداب, ومنها :

١. يستحب الإكثار من تلاوت القرآن قال تعالى ﴿ مثنيا على من كان ذلك دأبه يتلون آيات الله آناء الليل﴾ (آل عمران : ١١٣).
٢. نسيانه كبيرة ، صرح به النووي في الروضة وغيرها ، لحديث أبي داود وغيره :عرضت علي ذنوب أمتي ، فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها [٦١].
٣. يستحب الوضوء لقراءة القرآن لأنه أفضل الأذكار : وقد كان صلى الله عليه وسلم يكره أن يذكر الله إلا على طهر ، كما ثبت في الحديث[٦٢].
٤. وتسن القراءة في مكان نظيف ، وأفضله المسجد : وكره قوم القراءة في الحمام والطريق.
٥. ان يجلس مستقبل القبلة متخشعا بسكينة ووقار، مطرقا رأسه.
٦. يسن أن يستاك تعظيما وتطهيراوقد روى ابن ماجه عن علي موقوفا والبزار بسند جيد عنه مرفوعا ((إن أفاهكم طرق للقرآن فطيبوها بالسواك))[٦٣]
٧. ويسن التعوذ قبل القراءة :قال تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم (النحل : ٩٨).
٨. ليحافظ على قراءة البسملة أول كل سورة غير " براءة" .

---

[٦١] اخرج أبو داود في (الصلاة : ٤٦١), والترمذي في (فضائل القرآن / ٢٩١٦).

[٦٢] اخرجه أبو داود في (الطهارة / ١٧).

[٦٣] أخرجه ابن ماجه فى (الطهارة / ٢٩١).

٩. لا تحتاج قراءة القرآن إلى نية كسائر الأذكار ، إلا إذا نذرها خارج الصلاة ، فلا بد من نية النذر أو الفرض ، ولو عين الزمان ، فلو تركها لم تجز نقله القمولي في الجواهر.

١٠. يسن الترتيل في قراءة القرآن قال تعالى ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾ (المزمل : ٤).

١١. وتسن القراءة بالتدبّر والتفهّم: فهو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم ، وبه تنشرح الصدور ، وتستنير القلوب ، قال تعالى كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته . وقال ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ (النساء : ٨٢).

١٢. لا بأس بتكرّر الآية وتردّدها :روى النسائي وغيره عن أبي ذر :أن النبي قام بآية يرددها حتى أصبح : إن تعذبهم فإنهم عبادك الآية[٦٤].

١٣. يستحب البكاء عند قراءة القرآن ، والتباكي لمن لا يقدر عليه ، والحزن والخشوع قال تعالى﴿ ويخرون للأذقان يبكون﴾ (الإسراء : ١٠٩).

١٤. يسن تحسين الصوت بالقرآن وتزيينها : لحديث ابن حبان وغيره : زينوا القرآن بأصواتكم. وفي لفظ عند الدرامي : حسنوا القرآن بأصواتكم ، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا [٦٥].

١٥. وتستحب قراءته بالتفخيم : لحديث الحاكم نزل القرآن بالتفخيم [٦٦].

---

[٦٤] اخرجه النسائي فى (الافتتاح /١٠١٠/أبو غدة), وابن ماجه فى (إقامة الصلاة /١٣٥٠).

[٦٥] أخرجه أبو داود في (الصلاة / ١٣٤٢).

[٦٦] رواه الحاكم فى المستدرك (٢٩٥٣).

١٦. يستحب رفع الصوت بالقراءة ويستحب ايضا بخفظ الصوت. قال النووي :والجمع بينهما أن الإخفاء أفضل ، حيث خاف الرياء والجهر أفضل في غير ذلك.

١٧. القراءة في المصحف أفضل من القراءة من حفظه ; لأن النظر فيه عبادة مطلوبة. كما أخرجه الطبراني والبيهقي في الشعب من : حديث أوس الثقفي مرفوعا : قراءة الرجل في غير المصحف ألف درجة وقراءته في المصحف تضاعف ألفي درجة[٦٧].

١٨. اذا شكّ القارء فلم يدر ما بعد الموضع الذي انتهى إليه ، فسأل عنه غيره ، فينبغي أن يتأدب بما جاء عن ابن مسعود والنخعي وبشير بن أبي مسعود ، قالوا : إذا سأل أحدكم أخاه عن آية ، فليقرأ ما قبلها ثم يسكت، ولا يقول كيف كذا وكذا ، فإنه يلبس عليه (قال الإمام محي الدين يحي بن شرف النووي في التبيان) .

١٩. يكره قطع القراءة لمكالمة أحد .قال الحليمي :لأن كلام الله لا ينبغي أن يؤثر عليه كلام غيره. وأيده البيهقي بما في الصحيح : كان ابن عمر إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه[٦٨].

٢٠. ولا يجوز قراءة القرآن بالعجمية مطلقا.

٢١. لا تجوز القراءة بالشاذ.

٢٢. الأولى أن يقرأ على ترتيب المصحف.

---

[٦٧] أخرجه الطبراني في (الكبير) (١ : ٢٢١).

[٦٨] أخرجه البخاري في (تفسير القرآن /٤٥٢٧/فتح).

٢٣. يسن استيفاء كل حرف أثبته قارئ ليكون قد أتى على جميع ما هو قرآن. هذا قول الحلمى.

يسن الاستماع لقراءة القرآن وترك اللغط والحديث بحضور القراءة :قال تعالى ﴿ وَاِذَا قُرِئَ الْقُرْاٰنُ فَاسْتَمِعُوْا لَهٗ وَاَنْصِتُوْا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُوْنَ ﴾ (الأعراف : ٢٠٤).

٢٤. يسن السجود عند قراءة آية السجدة :وهي أربع عشرة : في الأعراف والرعد ، والنحل والإسراء ومريم وفي الحج سجدتان والفرقان والنمل و الم تنزيل وفصلت والنجم و إذا السماء انشقت و اقرأ باسم ربك ، وأما ص فمستحبة . وليست من عزائم السجود أي : متأكداته . وزاد بعضهم آخر الحجر . نقله ابن الفرس في أحكامه.

٢٥. قال النووي :الأوقات المختارة للقراءة أفضلها ما كان في الصلاة ، ثم الليل ثم نصفه الأخير : وهي بين المغرب والعشاء محبوبة ، وأفضل النهار بعد الصبح.

٢٦. قال ابن المبارك : يستحب الختم في الشتاء أول الليل ، وفي الصيف أول النهار.

٢٧. يسن صوم يوم الختم :أخرجه ابن أبي داود ، عن جماعة من التابعين. وأن يحضر أهله وأصدقاؤه : أخرج الطبراني، عن أنس :أنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا[٦٩].

[٦٩] رواه الطبراني في المعجم الكبير (٦٧٤).

٢٨. يستحب التكبير من الضحى إلى آخر القرآن :وهي قراءة المكيين .أخرج البيهقي في الشعب وابن خزيمة من طريق ابن أبي بزة ، سمعت عكرمة بن سليمان قال: قرأت على إسماعيل بن عبد الله المكي، فلما بلغت الضحى، قال : كبر حتى تختم ، فإني قرأت على عبد الله بن كثير، فأمرني بذلك وقال : قرأت على مجاهد فأمرني بذلك، وأخبرني مجاهد أنه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك.

٢٩. يسن الدعاءعقب الختم :لحديث الطبراني وغيره عن العرباض بن سارية مرفوعا : من ختم القرآن فله دعوة مستجابة[٧٠] .

٣٠. يسن إذا فرغ من الختمة أن يشرع في أخرى عقب الختم : لحديث الترمذي وغيره : أحب الأعمال إلى الله الحال المرتحل ، الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره كلما حل ارتحل[٧١] .

٣١. عن الإمام أحمد :أنه منع من تكرير سورة الإخلاص عند الختم :لكن عمل الناس على خلافه قال بعضهم : والحكمة فيه ما ورد أنها تعدل ثلث القرآن[٧٢]، فيحصل بذلك ختمة.

٣٢. يكره اتخاذ القرآن معيشة يتكسب بها :وأخرج الآجري من حديث عمران بن الحصين مرفوعا : من قرأ القرآن فليسأل الله به، فإنه سيأتي قوم يقرءون القرآن يسألون الناس به[٧٣] .

---

[٧٠] أخرجه الطبراني في (الكبير) (١٨/٢٥٩), (٦٤٧).

[٧١] أخرجه الترمذي في (القراءات / ٢٩٤٨).

[٧٢] أخرجه البخاري في (فضائل القرآن / ٥٠١٤/ فتح).

[٧٣] أخرجه الترمذي في (فضائل القرآن / ٢٩١٧), وصححه الشيخ الألباني.

٣٣. يكره أن يقول:نسيت آية كذا بل أنسيتها لحديث الصحيحين في النهي عن ذلك.

الأئمة الثلاثة على وصول ثواب القراءة للميت ومذهبنا خلافه لقوله تعالى : ﴿ وَاَنْ لَّيْسَ لِلْاِنْسَانِ اِلَّا مَا سَعٰىۙ ﴾ (النجم : ٣٩).



الباب الثلاثون

في معرفة غريب القرآن

أفرده بالتصنيف هذا الفن كثيرة من العلماء منهم أبو عبيدة ، وأبو عمر الزاهد ، وابن دريد . ومن أشهرها كتاب العزيزي ، فقد أقام في تأليفه خمس عشرة سنة يحرره ، هو وشيخه أبو بكر بن الأنباري. ومن أحسنها المفردات للراغب. ولأبي حيان في ذلك تأليف مختصر في كراسين.

قال ابن الصلاح : و حيث رأيت في كتب التفسير : (قال أهل المعاني) فالمراد به مصنفو الكتب في معاني القرآن ، كالزجاج ، والفراء ، والأخفش، وابن الأنباري.

وينبغي الإهتمام به لحديث أخرج البيهقي عن أبي هريرة مرفوعا : "أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه"[٧٤] . وأخرج من حديث ابن عمر مرفوعا : "من قرأ القرآن فأعربه ، كان له بكل حرف عشرون حسنة ، ومن قرأه بغير إعراب كان له بكل حرف عشر حسنات" [٧٥]. المراد بإعرابه معرفة معاني ألفاظه، وليس المراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة، وهو ما يقابل اللحن ; لأن القراءة مع فقده ليست قراءة، ولا ثواب فيها.

قال الإمام السيوطي – رحمه الله تعالى: "معرفة هذا الفن للمفسر ضرورية و يحتاج المفسر عن ذلك إلى معرفة علم اللغة: أسماء وأفعالا وحروفا، فالحروف لقلتها تكلم النحاة على معانيها، فيؤخذ ذلك من كتبهم، وأما الأسماء والأفعال فتؤخذ من كتب علم اللغة".

---

[٧٤] أخرجه أبو يعلى (٦٥٦٠), والحاكم (٣٦٤٤), والبيهقي في شعب الإيمان (٢٢٩٢).

[٧٥] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٩٤).

أولى ما يرجع إليه في ذلك ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه فإنه ورد عنهم ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة. هذا ما ورد عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة خاصة فإنها من أصح الطرق عنه وعليها اعتمد البخاري في صحيحه مرتبا على السور. و للتوسيع هذا النوع فأنظر: الإتقان للسيوطي ص ١٧٢-٢٠٠، النوع السادس والثلاثون في معرفة غريبه, و الفهرست لابن النديم ص: ٣٧، الكتب المؤلفة في غريب القرآن.



الباب الحادي والثلاثون

معرفة ما وقع من غير لغة الحجاز

قد تقدم في هذا الباب الإشارة الى الخلاف في ذلك والمعرف أنّه بلغة قريش ذكر السيوطى في الاتقان ,على حديث الاحرف السبعة، قولهم فيه : " إن المراد سبع لغات . والى هذا ذهب أبو عبيد، وثعلب، والزهرى، وآخرون. واختاره ابن عطية. وصححه البيهقى فى (الشعب) وتعقب: بأن لغات العرب أكثر من سبعة؛ وأجيب بأن المراد أفصحها". **ما وقع فيه بغير لغة الحجاز**

بعد تصفية القرآن ، وكتابته بلغة قريش، كما أمر عثمان عند جمعه وتدوينه، نجد فى الحرف العثمانى كلمات وتعابير غير حجازية :

١. **بلغة اليمن** : ﴿وأنتم سامدون﴾ (النجم : ٦١) : الغناء, ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ (القيامة : ١٥) : دستوره, ﴿لا وزر﴾ (القيامة : ١١) : لا حيل, ﴿وزوجناهم بحور﴾ (الدخان : ٥٤) : حوراً, ﴿لو أردنا أن نتخذ لهواً﴾ (الأنبياء : ١٧) : امرأة , ﴿أتدعون بعلاً﴾ (الصافات : ١٢٥) : رباً.

٢. **بلغة كنانة** : ﴿السفهاء﴾ (البقرة : ١٣) : الجهال, ﴿خاسئين﴾ (البقرة : ٦٥) : صاغرين, ﴿شطره﴾ (البقرة : ١٤٤) : تلقاءَه, ﴿لا خلاق﴾ (آل عمران : ٧٧) : لا نصيب, ﴿وجعلكم ملوكاً﴾ (المائدة : ٢٠) : أحراراً , ﴿قبيلاً﴾ (الإسراء : ٩٢) : عياناً, ﴿معجزين﴾ (الأنعام : ١٣٤) : سابقين, ﴿يعزب﴾ (يونس : ٦١) : يغيب, ﴿ولاتركنوا﴾ (هود : ١١٣) : ولاتميلوا, ﴿في جوة﴾ (الكهف : ١٧) : ناحية, ﴿موئلاً﴾ (الكهف : ٥٨) : ملجأً, ﴿ مُبلسون﴾ (الأنعام : ٤٤) : آيسون, ﴿دحوراً﴾ (الصافات : ٩) : طرْداً, ﴿الخراصون﴾ (الذاريات : ١٠) : الكذابون,

﴿أسفاراً﴾ (الجمعة : ٥) : كتباً, ﴿ أُقتت﴾ (المرسلات : ١١) : جُمعت, ﴿لكنود﴾ (العاديات : ٦) : كفور للنعم.

٣. **بلغة هذيل** : ﴿والرجز﴾ (المدثر : ٥) : العذاب, ﴿شروا﴾ (البقرة : ١٠٢) : باعوا, ﴿عزموا الطلاق﴾ (البقرة : ٢٢٧) : حققوا, ﴿صلداً﴾ (البقرة : ٢٦٤) : نقياً, ﴿آناء الليل﴾ (طه : ١٣٠) : ساعاته, ﴿من فورهم﴾ (آل عمران : ١٢٥) : وجههم, ﴿مدراراً﴾ (الأنعام : ٦) : متتابعاً, ﴿يجعل لكم فرقاناً﴾ (الأنفال : ٢٩) : مخرجاً, ﴿حَرَض﴾ (الأنفال : ٦٥) : حض, ﴿عيلة﴾ (التوبة : ٢٨) : فاقة, ﴿وليجة﴾ (التوبة : ١٦) : بطانة, ﴿انفروا﴾ (التوبة : ٣٨) : اغزوا, ﴿السائحون﴾ (التوبة : ١١٢) : الصائمون, ﴿العنت﴾ (النساء : ٢٥) : الإثم, ﴿فاليوم ننجيك ببدنك﴾ (يونس : ٩٢) : بدرعك, ﴿غمة﴾ (يونس : ٧١) : شبهة , ﴿دلوك الشمس﴾ (الإسراء : ٧٨) : زوالها, ﴿شاكلته﴾ (الإسراء : ٨٤) : ناحيته, ﴿رجماً بالغيب﴾ (الكهف : ٢٢) : ظنا , ﴿ملتحدا﴾ (الكهف : ٢٧) : ملتجئاً, ﴿يرجوا﴾ (الكهف : ١١٠) : يخاف, ﴿هضماً﴾ (طه : ١١٢) : نقصاً, ﴿هامدة﴾ (الحج : ٥) : مغبرة, ﴿واقصد فى مشيك﴾ (لقمان : ١٩) : أسرع, ﴿الاجداث﴾ (يس : ٥١) : القبور, ﴿ثاقب﴾ (الصافات : ١٠) : مضىء, ﴿بالهم﴾ (محمد : ٢) : حالهم, ﴿يهجعون﴾ (الذاريات : ١٧) : ينامون, ﴿ذنوبا﴾ (الذاريات : ٥٩) : عذابا, ﴿ودُسُرٍ﴾ (القمر : ١٣) : المسامير, ﴿من تفوت﴾ (الملك : ٣) : عيب, ﴿أرجائها﴾ (الحاقة : ١٧) : نواحيها, ﴿أطواراً﴾ (نوح : ١٤) : ألواناً, ﴿برداً﴾ (النبأ

: ٢٤) : نوما, ﴿واجفة﴾ (النازعات : ٨) : خائفة, ﴿مسغبةٍ﴾ (البلد : ١٤) مجاعة, ﴿المذرين﴾ (الإسراء : ٢٧) : المفسرين.

٤. **بلغة حمير** : ﴿أن تفشلا﴾: تجبُنا, ﴿عثر﴾ (المائدة : ١٠٧) : اطلع , ﴿في سفاهةٍ﴾ (الأعراف : ٦٦) : جنون, ﴿فزيّلنا﴾ (يونس : ٢٨) : فميزنا, ﴿مرجواً﴾ (هود : ٦٢) : حقيراً , ﴿السقاية﴾ (يوسف : ٧٠) : الإناء, ﴿مسنون﴾ (الحجر : ٢٦) : مُنتن, ﴿إمام مبين﴾ (يس : ١٢) : كتاب, ﴿فسينفضون﴾ (الإسراء : ٥١) : يحركون, ﴿حسبانا﴾ (الكهف : ٤٠) : برداً, ﴿من الكبر عتياً﴾ (مريم : ٨) : نحولاً , ﴿مأرب﴾ (طه : ١٨) : حاجات, ﴿خرجاً﴾ (الكهف : ٩٤) : جعلاً, ﴿غراماً ﴾ (الفرقان : ٦٥) : بلاءً, ﴿الصرح﴾ (النمل ٤٤) : البيت, ﴿أنكر الأصوات﴾ (لقمان : ٤٤) : أقبحها, ﴿يَتِرَكُم﴾ (محمد : ٣٥) : ينقصكم, ﴿مدينين﴾ (الواقعة : ٨٦) : محاسبين (فالدين بلغته معناه الحساب), ﴿ فأخذهم أخذة رابية﴾ (الحاقة : ١٠) : شديدة , ﴿وبيلاً﴾ (المزمل : ١٦) : شديداً.

٥. **بلغة جرهم** : ﴿بجبّار﴾ (ق : ٤٥) : بمسلّط, ﴿مرض﴾ (الأحزاب : ٦٠) : زنا, ﴿القطر﴾ (سبأ : ١٢) : النحاس, ﴿محشورة﴾ (ص : ١٩) : مجموعة, ﴿معكوفاً﴾ (الفتح : ٢٥) : محبوساً , ﴿فباؤوا﴾ (البقرة : ٩٠) : استوجبوا, ﴿شقاق﴾ (البقرة : ١٣٧) : ضلال, ﴿خيراً﴾ (البقرة : ١٨٠) : مالاً ﴿كدأب﴾ (آل عمران : ١١) : كأشباه, ﴿أدنى ألا تعولوا﴾ (النساء : ٣) : تميلوا, ﴿لم يغنوا﴾ (الأعراف : ٩٢) : لم يتمتعوا, ﴿فشرّد﴾ (الأنفال : ٥٧) : نكل, ﴿أراذلنا﴾ (هود :٢٧) : سفلتنا, ﴿عصيب﴾ (هود : ٧٧) : شديد, ﴿لفيفاً﴾ (الإسراء : ١٠٤) : جميعاً, ﴿محسوراً﴾

(الإسراء : ٢٩) : منقطعاً, ﴿حدب﴾ (الأنبياء : ٩٦) : جانب, ﴿الخلال﴾ (النور : ٤٣, الروم : ٤٨) : السحاب, ﴿الودق﴾ (النور : ٤٣) : المطر, ﴿لشرذمة﴾ (الشعراء : ٥٤) : عصابة , ﴿ريع ﴾ (الشعراء : ١٢٨) : طريق, ﴿ينسلون﴾ (الأنبياء : ٩٦) : يخرجون – ﴿لشوبا ﴾ (الصافات : ٦٧) : مزجاً , ﴿ الحبك﴾ (الذاريات : ٧) : الطرائق, ﴿بسور﴾ (الحديد : ١٣) : الحائط.

٦. **بلغة أزد شنؤة** : ﴿لا شية﴾ (القبرة : ٧١) : لا وضح, ﴿العَضْل﴾ (البقرة : ٢٣٢) : الحبس (" فلا تعضلوهن" : فلا تحبسوهنّ), ﴿أمة﴾ (هود : ٨) : سنين, ﴿الرس﴾ (الفرقان : ٣٨) : البئر, ﴿كاظمين﴾ (غافر : ١٨) : مكروبين, ﴿غسلين﴾ (الحاقة : ٣٦) : الحار الذى تناهى حره, ﴿لوّاحة ﴾ (المدثر : ٢٩) : حراقة.

٧. **بلغة مذحج** : ﴿رفث﴾ (البقرة : ١٩٧) : الجماع, ﴿مقيتاً﴾ (النساء : ٨٥) : مقتدراً, ﴿ بظاهر من القول﴾ (الرعد : ٣٣) : بكذب, ﴿بالوصيد﴾ (الكهف : ١٨) : الفناء, ﴿حقباً﴾ (الكهف : ٦٠) : دهراً, و ﴿الخرطوم﴾ (القلم : ١٦) : الأنف.

٨. **لغة خثعم** : ﴿تسيمون﴾ (النخل : ١٠) : ترعون, ﴿مريج﴾ (ق : ٥) : منتشر, ﴿صفت﴾ (التحريم : ٤) : مالت, ﴿هلوعاً﴾ (المعارج : ١٩) : ضجوراً , ﴿شططا﴾ (الكهف : ١٤) : كذباً.

٩. **بلغة قيس عيلان** : ﴿نحلة﴾ (النساء : ٤) : فريضة , ﴿حرجا﴾ (النساء : ٦٥) : ضيقا, ﴿لخاسرون﴾ (الأعراف : ٩٠) : مضيعون, ﴿تفندون﴾ (يوسف : ٩٤) : تستهزئون, ﴿صياصيهم﴾ (الأحزاب : ٢٦) : حصونهم,

﴿تجرون﴾ (الزخرف : ٧٠) : تنعمون , ﴿رجيم﴾ (الحجر : ١٧) : ملعون, ﴿يَلِتْكُم﴾ (الحجر : ١٤) : ينقصكم.

١٠. **بلغة سعد العشيرة** : ﴿بنين وحفدة﴾ (النحل : ٧٢) : أختان , ﴿كل على مولاه ﴾ (النحل : ٧٦) : عيال.

١١. **بلغة كنده** : ﴿فجاجاً﴾ (الأنبياء : ٣١) : طرقاً, ﴿وبُسّت الجبال بَسّاً ﴾ (الواقعة : ٥) : فتتت, ﴿تبتئس﴾ (هود : ٣٦) : تحزن.

١٢. **بلغة حضرموت** : ﴿ربيون﴾ (آل عمران : ١٤٦) : رجال, ﴿دمّرنا﴾ (الشعراء : ١٧٢) : اهلكنا, ﴿لُغوب﴾ (فاطر : ٣٥) : إعياء, ﴿ منسأته﴾ (سبأ : ١٤) : عصاه.

١٣. **بلغة غسّان** : ﴿طفقاً﴾ (الأعراف : ٢٢) : عمداً, ﴿بئيس﴾ (الأعراف : ٢٢) : شديد, ﴿سيء بهم﴾ (هود : ٧٧) : كرههم.

١٤. **بلغة مزينه** : ﴿لا تغلوا﴾ (النساء : ١٧١) : لا تزيدوا.

١٥. **بلغة لخم** : ﴿إملاق﴾ (الأنعام : ١٥١) : جوع, ﴿ولتعلُنّ﴾ (الإسراء : ٤) : تقهرنّ.

١٦. **بلغة جُذام** : ﴿فجاسوا خلال الديار﴾ (الإسراء : ٥) : تخللوا الأزقة.

١٧. **بلغة نبى حنيفة** : ﴿العقود﴾ (المائدة : ١) : العهود, ﴿الجناح﴾ (القصص : ٣٢) : اليد, ﴿الرهب﴾ (القصص : ٣٢) : الفزع.

١٨. **بلغة اليمامة** : ﴿حصِرت﴾ (النساء : ٩٠) : ضاقت.

١٩. **بلغة سبأ** : ﴿تميلون ميلاً عظيماً﴾ (النساء : ٢٧) : تخطئون خطأً بيّناً, ﴿تبرنا﴾ (الفرقان : ٣٩) : أهلكنا.

٢٠. **بلغة سليم** : ﴿نكص على عقبيه﴾ (الأنفال : ٤٨) : رجع.

٢١. **بلغة عمارة** : ﴿الصاعقة﴾ (البقرة : ٥٥) : الموت.
٢٢. **بلغة طيء** : ﴿ينعق﴾ (البقرة : ١٧١) : يصيح, ﴿رغداً﴾ (البقرة : ٣٥) : خصباً, ﴿سفه نفسه ﴾ (البقرة : ١٣٠) : خسرها, ﴿يس﴾ (يس : ١) : يا إنسان.
٢٣. **بلغة خزاعة** : ﴿أفيضوا﴾ (البقرة : ١٩٩) : انفروا, ﴿الافضاء﴾ (النساء : ٢١) : الجماع.
٢٤. **بلغة عمان** : ﴿خبالاً﴾ (آل عمران : ١١٨) : غياً, ﴿نفقاً﴾ (الأنعام : ٣٥) : سرباً, ﴿حيث أصاب﴾ (ص : ٣٦) : أراد.
٢٥. **بلغة تميم** : ﴿أمة﴾ (يوسف : ٤٥) : نسيان, ﴿ بغياً ﴾ (البقرة : ٢١٣): حسداً.
٢٦. **بلغة أنمار** : ﴿طائره﴾ (الإسراء : ١٣) : عمله, ﴿أغطش﴾ (النازعات : ٢٩) : أظلم.
٢٧. **بلغة أشعر** : ﴿لأجتنكنّ﴾ (الإسراء : ٦٢) : لأستأصلنّ, ﴿تارة﴾ (طه : ٥٥) : مرة, ﴿اشمأزت﴾ (الزمر : ٤٥) : مالت ونفرت.
٢٨. **بلغة الأوس** : ﴿لينة﴾ (الحشر : ٥) : النخل.
٢٩. **بلغة الخزرج** : ﴿ينفضوا﴾ (المنافقون : ٧) : يذهبوا.
٣٠. **بلغة مدين** : ﴿فافرقْ بيننا﴾ (المائدة : ٢٥): فاقض.
٣١. **بلغة بَليّ** : ﴿الرجز﴾ (الأعراف : ١٣٤) : العذاب.
٣٢. **بلغة ثقيف** : ﴿العول﴾ (النساء : ٣) : الميل.
٣٣. **بلغة همدان** : ﴿الريحان﴾ (الرحمن : ١٢) : الرزق, ﴿عينٍ﴾ (الدخان : ٥٤) : بيض, ﴿العبقرى﴾ (الرحمن : ٧٦) : الطنافس.

٣٤. **بلغة نصر بن معاوية** : ﴿الختّار﴾ (لقمان : ٣٢) : الغدار.

٣٥. **بلغة عامر بن صعصعة** : ﴿الحفدة﴾ (النخل : ٧٢) : الخدم.

٣٦. **بلغة عك** : ﴿الصور﴾ (الأنعام : ٧٣) : القرن.

٣٧. **بلغة هوازن** : ﴿أفلم ييأس الذين آمنوا﴾ (الرعد : ٣١) : أفلم يعلموا.

٣٨. **بلغة بنى عبسى** : ﴿لا يَلِتْكم﴾ (الحجرات : ١٤) : لا ينقصكم

٣٩. **بلغة عُذْرة** : ﴿اخسئوا﴾ (المؤمنون : ١٠٨): اخزوا.

❁❁❁

الباب الثاني والثلاثون

معرفة ما وقع من غير لغة العرب

أبدأ جلال الدين السيوطى بحثه بالخلاف فى وقوع الألفاظ الأعجمية فى القرآن، فقال: " اختلفت الأئمة فى وقوع المعرب فى القرآن. فالأكثرون، ومنهم الشافعى وابن جرير (الطبرى) وأبو عبيدة والقاضى أبو بكر (الباقلانى) وابن فارس، على عدم وقوعه فيه ، لقوله تعالى " قرآناً عربياً" ... وذهب آخرون الى وقوعه فيه، وأجابوا عن قوله تعالى قرآناً عربياً بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربياً.. وأقوى ما رأيته للوقوع – وهو اختيارى – ما أخرجه ابن جرير قال: فى القرآن من كل لسان ... " وقال ابن سلام – بعد أن حكى القول بالوقوع عن الفقهاء، والمنع عن أهل العربية – والصواب عندى مذهب فيه تصديق القولين جميعاً. وذلك ان هذه الاحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء؛ لكنها وقعت للعرب فعربتها بألسنتها، وحولتها عن ألفاظ العجم الى ألفاظها، فصارت عربية ، ثم نزل بها القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب: فمن قال أنها عربية فهو صادق ؛ ومن قال أعجمية فصادق.

١. جدول الكلمات الأعجمية فى القرآن

" وهذا سرد الألفاظ الواردة فى القرآن من ذلك، مرتبة على حروف المعجم" : أباريق: فارسية. الابريق معناه طريق الماء، أو صب الماء على هينة – أبّ: هو الحشيش بلغة أهل الغرب – ابلعى ماءك: بالحبشية اى ازدرديه؛ اشربى بلغة الهند – اخلد: أخلد الى الأرض: ركن بالعبرية – الأرائك: السرر بالحبشية – إذ قال ابراهيم لأبيه آزر : قد يكون علماً. وقد يكون غير علم، وهى بلغتهم: آزرُ ً، يا مخطئ – أسباط: بالعبرية كالقبائل بلغة العرب –

استبرق: الديباج الغليظ بلغة العجم – أسفار: الكتب، بالسريانية. أو بالنبطية – إصرى: عهدى، بالنبطية – أكواب: أكواز، بالنبطية؛ وانها جرار ليست لها عرى — إل : اسم الله تعالى بالنبطية– أليم: موجع، بالزنجية، أو بالعبرانية — إناه: نضجه، بلسان أهل المغرب؛ بلغة البربر — حميم آن: هو الذى انتهى حره بها، بلغة البربر – من عين آنية: اى حارة بها، بلغة البربر – أوّاه: الموقن، بلسان الحبشة؛ أو الرحيم؛ الدعاء، بالعبرية – أوّاب: المسبح، بلسان الحبشة — أوّبى معه: سبحى، بلسان الحبشة – الجاهلية الأولى ؛ فى المكة الآخرة : بالقبطية، والقبط يسمون الآخرة: الأولى؛ والأولى: الآخرة – بطائنها: ظواهرها بالقبطية. وقوله " بطائنها من استبرق" جمع لغتين أجنبيتين – كيل بعير: اى كيل حمار بالعبرية؛ والبعير كل ما يحمل عليه – بيع: البيعة والكنيسة جعلها بعض العلماء فارسيتين تنّور: فارسى معرّب – وليتبروا تتبيرا: تبره، بالنبطية – فناداها من تحتها : اى بطنها، بالنبطية – الجِبْت: الشيطان، بالحبشية – جهنم: قيل عجمية؛ وقيل فارسية؛ وقيل عبرانية. أصلها كهنام — حرم: وجب بالحبشية – حصب جهنم: حطب جهنم بالزنجية – وقولوا: حطة: معناه قولوا: صواباً، بلغتهم العبرية – وحواريون: غسالون بالنبطية. وأصله: هوارى – حوب: إثم بلغة الحبشة – دارست (درست): معناه قارأت (قرأت) بلغة اليهود – درى: المضىء بالحبشية – دينار: بالفارسية – راعنا: سب بلغة اليهود (الأصل السريانى: رعنا اى أرعن) – ربانيون: عبرانية أو سريانية (ومعناها العلماء) – ربيون: سريانية – الرحمان: عبرانى، وأصله بالخاء المعجمة – الرس : عجمى، ومعناه البئر – الرقيم: اللوح بالرومية؛ وقيل الكتاب بها ؛ أو الدواة بها – رمزاً: من المعرّب،

وهو تحريك الشفتين بالعبرية – واترك البحر رهواً : سهلاً بلغة النبط؛ ساكناً بالسريانية – الروم: هو أعجمى، اسم لهذا الجيل من الناس – زنجبيل: فارسى – السجل: بلغة الحبشة الرجل؛ السجل: الكتاب، فارسى معرب – بحجارة من سجيل : بالفارسية، أولها حجارة وآخرها طين – سجين: غير عربى – سرادق: فارسى معرب، وأصله " سرادر" وهو الدهليز. والصواب انه بالفارسية " سرابرده" أى ستر الدار سرياً: نهراً بالسريانية؛ بالنبطية؛ باليونانية – سفرة: قراء بالنبطية – سقر: أعجمية – وادخلوا الباب سجداً : اى مقنّعى الرؤوس بالسريانية – سَكَراً: الخلّ، بلسان الحبشة. (أصله: شكر بالعبرية اى المسكر) – سلسبيل: عجمى – سندس: رقيق الديباج بالفارسية؛ وهو معرب؛ وقيل بالهندية — والفيا سيدها لدى الباب: اى زوجها، بلسان القبط؛ " ولا أعرفها بلغة العرب" – طور سينين: الحسن، بلسان الحبشة. (انه قلب لاسم سيناء، جبل موسى) – سيناء: الحسن بالنبطية (علم لجبل موسى) شطر المسجد: تلقاءَه بلسان الحبش – شهر: انه بالسريانية – الصراط: الطريق بلغة الروم – فصرهنّ: فشققهن بالنبطية؛ قطعهن بالرومية – صلوات: بالعبرانية كنائس اليهود؛ وأصلها "صْلوتا" بالسريانية – طه: يا رجل، بالنبطية، أو بالحبشية – الطاغوت: هو الكاهن بالحبشية – طفق: قصداً بالرومية – طوبى: اسم الجنة بالحبشية؛ وقيل بالهندية – الطور: الجبل بالسريانية، وقيل بالنبطية – طوى: معرب معناه ليلاً؛ وقيل هو رجل بالعبرانية – عبدت بنى اسرائيل: معناه قتلت بلغة النبط – جنات عدن: جنات الكروم، وأعناب بالسريانية؛ وقيل بالرومية – العَرِم: بالحبشية هى المسنات التى تجمع فيها الماء، ثم ينبثق – غساق: البارد المنتن بلسان

الترك؛ المنتن بالطحارية – غيض: نقص بلغة الحبشة – فردوس: بستان بالرومية؛ وقيل الكرم بالنبطية وأصله فرداساً – فوم: الحنطة بالعبرية – قراطيس: القرطاس أصله غير عربى – القسط: العدل بالرومية – قسطاس: العدل بالرومية؛ الميزان بلغة الروم – قسورة: الأسد بالحبشية – قِطّنا: كتابنا بالنبطية – قفل: فارسى معرب – القملّ: الدبا، بلسان العبرية والسريانية، " لا أعرفة فى لغة أحد من العرب" – قنطار: انه بالرومية اثنتاعشر ألف وقية؛ بالسريانية ملء جلد ثور ذهباً أو فضة؛ بلغة البربر ألف مثقال؛ ثمانية آلاف مثقال بلسان أهل افريقية – القيوم: لا ينام بالسريانية – كافور: فارسى معرب – كفر عنّا: امحُ عنا، بالنبطية أو بالعبرانية – كفلين: ضعفين بالحبشية – كنز: فارسى معرب – كوّرت: غوّرت بالفارسية – لِيْنة: نخلة. " قال الكلبى: لا أعلمها إلا بلسان يهود يثرب" – متكأ: بلسان الحبش الترنج. وقيل هو أعجمى – مرجان: أعجمى – مسك: فارسى – مشكاة: الكوّة بلغة الحبشة – مقاليد: مفاتيح بالفارسية. والاقليد والمقليد فارسى معرب – كتاب مرقوم: مكتوب بالعبرانية – مزجاة: قليلة، بلسان العجم؛ وقيل بلسان القبط – ملكوت: الملك بلسان النبط. (وأصله بالسريانية ملكوتاً) – مناص: فرار بالنبطية – منسأة: العصا بلسان الحبشة – السماء مُنفطر به : ممتلئة به بلسان الحبشة – المهْل: عكر الزيت بلسان أهل المغرب؛ وقيل بلغة البربر – ناشئة الليل: قيام الليل بالحبشة — نَ: فارسى أصله " أنون" ومعناه: اصنع ما شئت – هدنا: تبنا بالعبرانية – هود: اليهود، أعجمى – يمشون على الأرض هونا: حكماء بالسريانية، وقيل بالعبرانية – هيتَ لك: هلم لك، بالقبطية؛ وقيل بالسريانية؛ وقيل بالحورانية؛ وقيل

بالعبرانية وأصله: " هيتلج" اى تعالَ – وراء: أمام بالنبطية، وهى غير عربية – وردة: غير عربية – وزر: الحبل والملجأ بالنبطية — الياقوت: فارسى – لن يحور: لن يرجع، بلغة الحبشة – يسن: يا إنسان بالحبشية؛ وقيل: يا رجل بالحبشية – يصدون. يضجّون بالحبشية – يصهر: ينضج بلسان أهل المغرب – اليمّ: البحر بالسريانية، وقيل بالقبطية – اليهود: أعجمى معرّب، منسوبون الى يهوذا بن يعقوب، بإهمال الدال.



النوع الثالث والثلاثون

في معرفة الوجوه والنظائر

تعريف وجوه والنظائر

الوجوه هي تفسير الكلمة بمعانيها المختلفة فهو ما يعرف أو ما يسمى بالوجوه.
واما النظائر هي كل كلمة ذكرت في موضع وذكر نظيرها في موضع آخر هو ما يعرف أو يسمى بالنظائر.

وبناءً على هذا، يكون المراد بالنظائر إنما هو اسم للألفاظ، ويكون المراد بالوجوه إنما هو اسم للمعاني.

وهذه امثلة من الوجوه :

من لفظ :الهدى ، يأتي على سبعة عشر وجها :

بمعنى الثبات : اهدنا الصراط المستقيم (الفاتحة : ٦).

والبيان : أولئك على هدى من ربهم (البقرة : ٥).

والدين : إن الهدى هدى الله (آل عمران : ٧٣).

والإيمان : ويزيد الله الذين اهتدوا هدى (مريم : ٧٦).

والدعاء : ولكل قوم هاد (الرعد : ٧) وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا (الأنبياء : ٧٣).

وبمعنى الرسل والكتب : فإما يأتينكم مني هدى (البقرة : ٣٨)

والمعرفة : وبالنجم هم يهتدون (النحل : ١٦).

وبمعنى النبي – صلى الله عليه وسلم : – إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى (البقرة : ١٥٩).

وبمعنى القرآن : ولقد جاءهم من ربهم الهدى (النجم : ٢٣).

والتوراة : ولقد آتينا موسى الهدى (غافر : ٥٣).

والاسترجاع : وأولئك هم المهتدون (البقرة : ١٥٧).

والحجة : لا يهدي القوم الظالمين (البقرة : ٢٥٨) ، بعد قوله تعالى : ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه (البقرة : ٢٥٨) أي لا يهديهم حجة.

والتوحيد : إن نتبع الهدى معك (القصص : ٥٧).

والسنة : فبهداهم اقتده (الأنعام : ٩٠) ، وإنا على آثارهم مهتدون(الزخرف : ٢٢).

والإصلاح : وأن الله لا يهدي كيد الخائنين (يوسف : ٥٢)

والإلهام : أعطى كل شيء خلقه ثم هدى (طه : ٥٠) أي : ألهمهم المعاش.

والتوبة : إنا هدنا إليك (الأعراف : ١٥٦).

والإرشاد : أن يهديني سواء السبيل (القصص : ٢٢).

ومن لفظ :الدعاء ، ورد على أوجه :

العبادة : ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك (يونس : ١٠٦).

والاستعانة : وادعوا شهداءكم (البقرة : ٢٣).

والسؤال : ادعوني أستجب لكم (غافر : ٦٠).

والقول :دعواهم فيها سبحانك اللهم (يونس : ١٠).

والنداء : يوم يدعوكم (الإسراء : ٥٢).

والتسمية : لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا (النور : ٦٣) .

ومن ذلك : الإحصان ، ورد على أوجه :

العفة : والذين يرمون المحصنات (النور : ٤).

والتزوج : فإذا أحصن (النساء : ٢٥).

والحرية : نصف ما على المحصنات من العذاب (النساء : ٢٥).

لتكثير هذه امثلة فانظر : الإتقان للسيوطي ص : ٢١٧-٢١٥, مكتبة علمية.

وهذه امثلة من النظائر :

وكل ما فيه (جثيا) فمعناه جميعا ، إلا : وترى كل أمة جاثية (الجاثية : ٢٨) فمعناه تجثو على ركبها.

وكل ما فيه من (حسبان) فهو العدد ، إلا : حسبانا من السماء (الكهف : ٤٠) فهو العذاب.

وكل ما فيه (حسرة) فالندامة ، إلا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم (آل عمران : ١٥٦) فمعناه الحزن.

وكل ما فيه من (الدحض) فالباطل ، إلا فكان من المدحضين (الصافات : ١٤١) فمعناه من المقروعين.

وكل ما فيه من (رجز) فالعذاب إلا : والرجز فاهجر (المدثر : ٥) فالمراد به الصنم.

لتكثير هذه امثلة فانظر : الإتقان للسيوطي ص : ٢٠٢١-٢١٧, مكتبة علمية.



الباب الرابع والثلاثون

معرفة معاني الأدوات التي يحتاج إليها المفسر

قال الجلال السيوطي في الإتقان النوع الأربعين : في معرفة معاني الأدوات التي يحتاج إليها المفسر. أنّ تعريف معاني الأدوات هو العلم بالأدوات الحروف وما شاكلها من الأسماء والأفعال والظروف. وهذا ترتيب مرتبة على حروف المعجم, وقد أفرد هذا النوع بتصنيف العلماء من المتقدمين والمتأخرين :

الهمزة

تأتى تأتي على وجهين:

١. الاستفهام ، وحقيقته طلب الإفهام, نحو قوله تعالى : ﴿أكان للناس عجبا ﴾ (يونس : ٢)
٢. أن تكون حرفا ينادى به القريب, نحو قوله تعالى ﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجدا﴾ (الزمر : ٩)

أحد

قال أبو حاتم في كتاب " الزينة " : هو اسم أكمل من الواحد ، ألا ترى أنك إذا قلت : فلان لا يقوم له واحد ، جاز في المعنى أن يقوم اثنان فأكثر ، بخلاف قولك : لا يقوم له أحد وفي الأحد خصوصية ليست في الواحد ; تقول : ليس في الدار واحد ، فيجوز أن يكون من الدواب والطير والوحش والإنس ، فيعم الناس وغيرهم ، بخلاف ليس في الدار أحد ، فإنه مخصوص بالآدميين دون غيرهم .

إذ

ترد على أوجه:

١. أن تكون اسما للزمن الماضي وهو الغالب, نحو قوله تعالى : ﴿ فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا﴾ (التوبة : ٤٠).
٢. أن تكون للتعليل ، نحوقوله تعالى : ﴿ ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون﴾ (الزخرف : ٣٩).
٣. التوكيد ، بأن تحمل على الزيادة, نحو قوله تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة﴾ (البقرة : ٣٠).
٤. التحقيق كقدْ ، وحملت عليه الآية المذكورة, نحو قوله تعالى : ﴿ وجعل منه السهيلي قوله بعد إذ أنتم مسلمون ﴾ (آل عمران : ٨٠).

إذا

على وجهين:

١. أن تكون للمفاجأة، فتختص بالجمل الاسمية ، ولا تحتاج لجواب ، ولا تقع في الابتداء ، ومعناها الحال لا الاستقبال ، نحو قوله تعالى : ﴿ فألقاها فإذا هي حية تسعى﴾ (طه : ٢٠).
٢. أن تكون لغير المفاجأة ، فالغالب أن تكون ظرفا للمستقبل مضمنة معنى الشرط ، وتختص بالدخول على الجمل الفعلية ، وتحتاج لجواب ، وتقع في الابتداء عكس الفجائية.

والفعل بعدها : إما ظاهر ، نحو قوله تعالى:﴿ إذا جاء نصر الله ﴾ (النصر : ١) ، أو مقدر ، نحو قوله تعالى: ﴿ إذا السماء انشقت﴾ (الانشقاق : ١).

وجوابها إما فعل ، نحو قوله تعالى: ﴿ فإذا جاء أمر الله قضي بالحق﴾ (غافر : ٧٨) . أو جملة اسمية مقرونة بالفاء ، نحو قوله تعالى: ﴿ فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير﴾ (المدثر : ٨ – ٩).

أل

على ثلاثة أوجه:

١. أن تكون اسما موصولا بمعنى الذي وفروعه ، وهي الداخلة على أسماء الفاعلين والمفعولين ، نحو قوله تعالى: ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ (الأحزاب : ٣٥)إلى آخر الآية

٢. أن تكون حرف تعريف ، وهي نوعان : عهدية نحو قوله تعالى : ﴿كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول﴾ (المزمل : ١٥ – ١٦) وجنسية. نحو قوله تعالى : ﴿وخلق الإنسان ضعيفا ﴾ (النساء : ٢٨) .

٣. أن تكون زائدة ، وهي نوعان: لازمة كالتي في الموصولات : على القول بأن تعريفها بالصلة قوله تعالى: ﴿ والنجم إذا هوى﴾ (النجم : ١) قال : الثريا[٧٦]. وغير لازمة كالواقعة في الحال نحو قوله: ﴿تعالى ليخرجن الأعز منها الأذل﴾ (المنافقون : ٨) أي : ذليلا.

ألا

بالفتح والتخفيف ، وردت في القرآن على أوجه:

---

٧٦ تفسير ابن أبي حاتم (١٠ : ٣٣١٨).

١. للتنبيه ، فتدل على تحقيق ما بعدها. قال الزمخشري :ولذلك قل وقوع الجمل بعدها إلا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم ، وتدخل قوله تعالى على الاسمية والفعلية نحو:﴿ ألا إنهم هم السفهاء ﴾ (البقرة : ١٣) و قوله تعالى : ﴿ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم﴾ (هود : ٨).

٢. و ٣. التحضيض والعرض ، ومعناهما طلب الشيء ، لكن الأول طلب بحث ، والثاني طلب بلين . وتختص فيهما بالفعلية ، نحو قوله تعالى :﴿ ألا تقاتلون قوما نكثوا ﴾(التوبة : ١٣) ، وقوله تعالى : ﴿قوم فرعون ألا يتقون﴾ (الشعراء : ١١) وقوله تعالى ﴿ألا تأكلون﴾ (الذاريات : ٢٧) وقوله تعالى : ﴿ ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ (النور : ٢٢).

ألا

بالفتح والتشديد ، حرف تحضيض

;ولم يقع في القرآن لهذا المعنى فيما أعلم ، إلا أنه يجوز عندي أن يخرج عليه قوله :﴿ ألا يسجدوا لله﴾ (النمل : ٢٥) . وأما قوله تعالى: ﴿ ألا تعلوا علي﴾ (النمل : ١) فليست هذه ، بل هي كلمتان : أن الناصبة ولا النافية ، أو (أن) المفسرة ولا الناهية.

إلا

بالكسر والتشديد على أوجه :

١. الاستثناء متصلا ، نحو قوله تعالى: ﴿ فشربوا منه إلا قليلا﴾ (البقرة : ٢٤٩).

٢. بمعنى غير ، فيوصف بها وبتاليها جمع منكر أو شبهه ، ويعرب الاسم الواقع بعدها بإعراب غير ، نحو قوله تعالى: ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ (الأنبياء : ٢٢).
٣. أن تكون عاطفة بمنزلة الواو في التشريك، ذكره الأخفش والفراء وأبو عبيدة ، وخرجوا عليه: ﴿ لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم﴾ (البقرة : ١٥٠).
٤. بمعنى (بل) ، :﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة﴾ (طه : ٢ – ٣) أي : بل تذكرة.
٥. بمعنى (بدل) نحو ﴿آلهة إلا الله ﴾ أي : بدل الله أو عوضه

الآن

اسم للزمن الحاضر ، وقد يستعمل في غيره مجازا . وقال العلماء : هي محل للزمانين ، أي : ظرف للماضي وظرف للمستقبل ، وقد يتجوز بها عما قرب من أحدهما. نحو : قوله تعالى: ﴿ الآن خفف الله عنكم ﴾ (الأنفال : ٦٦) .

إلى

: حرف جر له معان :

١. أشهرها : انتهاء الغاية زمانا ، نحو: ﴿ ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾ (البقرة : ١٨٧) . أو مكانا ، نحو: ﴿ إلى المسجد الأقصى ﴾ (الإسراء : ١).
٢. المعية نحو: ﴿ من أنصاري إلى الله ﴾ (آل عمران : ٥٢).

٣. الظرفية كفِيْ ، نحو قوله تعالى: ﴿ ليجمعنكم إلى يوم القيامة ﴾ (النساء : ٨٧).

٤. مرادفة بلام الملك نحو ﴿ والأمر إليك ﴾ أي : لك

٥. التبيين : وهي المبينة لفاعلية نحو: ﴿ رب السجن أحب إلي ﴾ (يوسف : ٣٣).

٦. التوكيد ، وهي الزائدة ، نحو قوله تعالى: ﴿ فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم ﴾ (إبراهيم : ٣٧) في قراءة بعضهم بفتح الواو ، أي : تهواهم . قاله الفراء .

اللهم

المشهور أن معناه يا الله ، حذفت ياء النداء ، وعوض عنها الميم المشددة في آخره.

أم

حرف عطف ، وهي نوعان : متصلة نحو: ﴿ سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم ﴾ (البقرة : ٦), منقطعة نحو قوله تعالى:﴿ تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه ﴾ (السجدة : ٢ – ٣).

أبسط الجلال السيوطي هذا النوع بشرح طويل الذي لا تمكن أن نكتبه في هذه الخلاصة, و ما بقي منه فإرجع (الإتقان : ٢٧٧-٢٢١ , مكتبة دار الكتب العلمية).



الباب الخامس والثلاثون

في معرفة إعرابه

ومن فوائد هذا النوع معرفة المعنى ; لأن الإعراب يميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين.

وعلى الناظر في كتاب الله تعالى – الكاشف عن أسراره – النظر في الكلمة وصيغتها ومحلها ، ككونها مبتدأ أو خبرا أو فاعلا أو مفعولا ، أو في مبادئ الكلام أو في جواب ، إلى غير ذلك.

ويجب عليه مراعاة أمور :

١. أن يفهم معنى ما يريد أن يعربه مفردا أو مركبا قبل الإعراب ، فإنه فرع المعنى ، ولهذا لا يجوز إعراب فواتح السور إذا قلنا بأنها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه. نحو قال العلماء في توجيه نصب كلالة في قوله تعالى : ﴿سبعا من المثاني﴾ (الحجر : ٨٧) : إن كان المراد بالمثاني القرآن ف (من) للتبعيض ، أو الفاتحة : فلبيان الجنس.

٢. أن يراعي ما تقتضيه الصناعة ، فربما راعى المعرب وجها صحيحا ، ولا ينظر في صحته في الصناعة فيخطئ. قوله : ﴿فناظرة بم يرجع المرسلون ﴾ (النمل : ٣٥) إن الباء متعلقة ب (ناظرة) ، وهو باطل ; لأن الاستفهام له الصدر ، بل هو متعلق بما بعده.

٣. أن يكون ملما بالعربية ، لئلا يخرج على ما لم يثبت كقول تعالى : ﴿كما أخرجك ربك ﴾(الأنفال : ٥) : إن الكاف قسم .

٤. أن يتجنب الأمور البعيدة ، والأوجه الضعيفة ، واللغات الشاذة إن الذين كفروا بالذكر (فصلت : ٤١) وقوله تعالى : ﴿إن خبره أولئك ينادون من مكان بعيد ﴾ (فصلت : ٤٤) والصواب : أنه محذوف.

٥. نحو﴿ سبح اسم ربك الأعلى﴾ (الأعلى : ١) : يجوز كون الأعلى صفة للرب وصفة للاسم.

٦. أن يراعي الشروط المختلفة بحسب الأبواب ، ومتى لم يتأملها اختلطت عليه الأبواب والشرائط. قوله تعالى : ﴿ملك الناس إله الناس ﴾ (الناس : ٢ – ٣) : إنهما عطف بيان ; والصواب : أنهما نعتان ، لاشتراط الاشتقاق في النعت والجمود في عطف البيان.

٧. أن يراعي في كل تركيب ما يشاكله قوله في : ﴿ومخرج الميت من الحي﴾ (الأنعام : ٩٥) إنه عطف على فالق الحب والنوى (الأنعام : ٩٥) ، ولم يجعله معطوفا على يخرج الحي من الميت (الأنعام : ٩٥) ; لأن عطف الاسم على الاسم الأولى.

٨. أن يراعى الرسم . ومن ثم خطئ من قال في : ﴿سلسبيلا ﴾ (الإنسان : ١٨) : إنها جملة أمرية ، أي : سل طريقا موصلة إليها ; لأنها لو كانت كذلك لكتبت مفصولة. ومن قال في : ﴿إن هذان لساحران﴾ (طه : ٦٣) : (إنها) إن واسمها ، أي : إن القصة ، وذان مبتدأ خبره لساحران ، والجملة خبر إن – وهو باطل برسم إن منفصلة ، و (هذا نصبا) متصلة .

٩. أن يتأمل عند ورود المشتبهات ، ومن ثم خطئ من قال في : ﴿أحصى لما لبثوا أمدا ﴾ (الكهف : ١٢) إنه أفعل تفضيل ، والمنصوب تمييز ، وهو

باطل ، فإن الأمد ليس محصيا ، بل محصى ، وشرط التمييز المنصوب بعد (أفعل) كونه فاعلا في المعنى ، فالصواب أنه فعل ، (وأمدا) مفعول ، مثل : ﴿وأحصى كل شيء عددا﴾ (الجن : ٢٨).

١٠. ألا يخرج على خلاف الأصل ، أو خلاف الظاهر لغير مقتض ، ومن ثم خطئ مكي في قوله في: ﴿ لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي﴾ (البقرة : ٢٦٤) إن الكاف نعت لمصدر ، أي : إبطالا كإبطال الذي . والوجه كونه حالا من الواو ، أي : لا تبطلوا صدقاتكم مشبهين الذي ، فهذا لا حذف فيه.

١١. أن يبحث عن الأصلي والزائد ، نحو : ﴿إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح﴾ (البقرة : ٢٣٧)، فإنه قد يتوهم أن الواو في يعفون ضمير الجمع ، فيشكل إثبات النون ، وليس كذلك ; بل هي فيه لام الكلمة ، فهي أصلية والنون ضمير النسوة ، والفعل معها مبني ، ووزنه : (يفعلن) بخلاف : ﴿وأن تعفوا أقرب﴾ (البقرة : ٢٣٧) فالواو فيه ضمير الجمع ، وليست من أصل الكلمة.

١٢. أن يجتنب إطلاق لفظ الزائد في كتاب الله تعالى ، فإن الزائد قد يفهم منه أنه لا معنى له ، وكتاب الله منزه عن ذلك ، ولذا فر بعضهم إلى التعبير بدله بالتأكيد ، والصلة ، والمقحم.



الباب السادس والثلاثون

في معرفة القواعد التي يحتاج إليها المفسر

لا بد في تناول العلم من معرفة أسسه العامة ومميزاته الخاصة حتى يكون الطالب له على بصيرة، و أما قدر ما يتمكن الطالب من آلة العلم بقدر ما يحرز من نصر فيه، وإذا كان القرآن الكريم قد نزل بلسان عربي مبين : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة يوسف : ٢), فإن القواعد التي يحتاج إليها المفسّر في فهم القرآن ترتكز على قواعد العربية، وفهم أسسها، وتذوق أسلوبها، وإدراك أسرارها، ولذلك كله فصول متناثرة، ومباحث مستفيضة في فروع العربية وعلومها.هذا الباب أن ننقل موجزًا لأهم ما يجب معرفته في الأمور الآتية[٧٧]:

١ –الضمائر:

أصل وضع الضمير للاختصار، فهو يُغني عن ذكر ألفاظ كثيرة، ويحل محلها مع سلامة المعنى وعدم التكرار، فقد قام في قوله تعالى :أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا , مقام عشرين كلمة لو أُتِيَ بها مُظهَرة، هي المذكورة في صدر الآية : ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الاحزاب : ٣٥)

والأصل تقديم مفسر لضمير الغائب. ويعلل النحاة هذا الأصل بأن ضمير المتكلم والمخاطب يفسرهما المشاهدة، وضمير الغائب عار عن هذا الوجه من التفسير، فكان الأصل تقديم معاده ليعلم المراد بالضمير قبل ذكره .ولذلك قالوا : يمتنع

[٧٧] مناع القطان في المباحث (١٩٦-٢١٣)

عود الضمير على متأخر لفظًا ورتبة، واستثنوا من هذه القاعدة مسائل يرجع فيها الضمير إلى ما استغني عن ذكره بما يدل عليه من قرائن في نفس اللفظ، أو أحوال أخرى تحف بمقام الخطاب، قال ابن مالك في "التسهيل" :"الأصل تقديم مفسر ضمير الغائب، ولا يكون غير الأقرب إلا بدليل، وهو إما مصرح به بلفظه، أو مستغنى عنه بحضور مدلوله حسًا أو علمًا، أو بذكر ما هو له جزء أو كل أو نظير أو مصاحب بوجه ما".

وعلى هذا فالمرجع الذي يعود إليه ضمير الغيب, يكون ملفوظًا به سابقًا عليه مطابقًا له – وهذا هو الكثير الغالب –كقوله تعالى : وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ , أو يكون ما سبق متضمنًا له، كقوله : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى, فإن ضمير "هو "يعود على العدل الذي يتضمنه لفظ "اعدلوا "أي إن العدل أقرب للتقوى ,أو دالًا عليه بالتزام كقوله : ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ (سورة البقرة :١٧٨), فالضمير في "إليه "يعود على العافي الذي يستلزمه "عُفِيَ."

وقد يكون المرجع متأخرًا لفظًا لا رتبة, كقوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ (سورة طه : ٦٧) ، أو لفظًا ورتبة كما في باب ضمير الشأن والقصة ونعم وبئس كقوله : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (سورة الإخلاص : ١).

وربما عاد الضمير على اللفظ دون المعنى, كقوله : ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ (سورة فاطر: ١١) فالضمير في "عمره "المراد به عمر معمر آخر، قال الفراء : يريد آخر غير الأول، فكنى عنه بالضمير كأنه الأول، لأن لفظ الثاني لو ظهر كان كالأول، كأنه قال :ولا ينقص من عمر

معمر، فالكناية في عمره ترجع إلى آخر غير الأول، ومثله قولك :عندي درهم ونصفه، أي نصف آخر.

وربما عاد الضمير على المعنى فقط, كقوله : ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ﴾ (سورة النساء : ١٧٦), فالضمير في "كانتا" لم يتقدم لفظ تثنية يعود عليه، لأن الكلالة تقع على الواحد والاثنين والجمع، فثنى الضمير الراجع إليها حملًا على المعنى.

وقد يؤتى بالضمير أولًا ثم يخبر عنه بما يفسره، كقوله : ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ (سورة الأنعام : ٢٩).

وقد يثنى الضمير ويعود على أحد المذكورين كقوله : ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ (سورة الرحمن : ٢٢), وإنما يخرج من أحدهما. وهو الملح دون العذب، لأنه إذا خرج من أحدهما فقد خرج منهما. وبهذا قال الزجاج وغيره.

وقد يعود على ملابس ما هو له, كقوله : ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ (سورة النازعات : ٤٦), أي ضحى يومها لا ضحى العشية، لأن العشية لا ضحى لها.

وقد يراعى في الضمير اللفظ أولًا، ثم يراعى المعنى ثانيًا، كقوله : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة البقرة : ٨), أفرد الضمير في "يقول "باعتبار لفظ "من" ثم جمع في "وما هم" باعتبار معناه.

٢ –المعرفة و النكيرة :

للتنكير مقامات :منها: إرادة الوحدة كقوله : ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾ (سورة القصص : ٢٩), أي رجل واحد – أو إرادة النوع كقوله :

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ (سورة البقرة : ٩٦), أي نوع من الحياة، وهو طلب الزيادة في المستقبل، لأن الحرص لا يكون على الماضي ولا على الحاضر – أو هما معًا كقوله : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ (سورة النور : ٤٥), أي كل نوع من أنواع الدواب من أنواع الماء، وكل فرد من أفراد الدواب من فرد من أفراد النطف – أو التعظيم كقوله : ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ (سورة البقرة :٢٧٩), أي حرب عظيمة – أو التكثير كقوله : ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ (سورة الشعراء :٤٢), أي أجرًا وافرًا – أو هما معًا كقوله : ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (سورة الفاطر :٤), أي رسل عظام ذوو عدد كثير – أو التحقير كقوله : ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ (سورة عبس :١٨), أي من شيء هين حقير مهين – أو التقليل كقوله : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (سورة براءة :٧٢), أي رضوان قليل منه أكبر من الجنات لأنه رأس كل سعادة.

وأما التعريف فله مقامات تختلف باختلاف كل نوع من أنواع التعريف.

ويكون بالإضمار لأن المقام مقام المتكلم، أو الخطاب، أو الغيبة وبالعلمية لإحضاره بعينه في ذهن السامع ابتداء باسم يخصه – أو لتعظيمه كقوله : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ (سورة الفتح :٢٩)، أو إهانته كقوله : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (سورة اللهب :١)، وبالإشارة لبيان حاله في القرب كقوله : ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ (سورة لقمان :١١), أو لبيان حاله كقوله : ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة البقرة :٥), أو لقصد تحقيره بالقرب كقوله : ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ (سورة العنكبوت :٦٤), أو لقصد

تعظيمه بالبعد كقوله : ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ (سورة البقرة :٢), أو التنبيه على أن المشار إليه المعقب بأوصاف جدير بما يرد بعده من أجلها كقوله : ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ, الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاة وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ, وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ, أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة البقرة :٢-٥), وبالموصول لكراهة ذكره باسمه سترًا عليه، أو غير ذلك كقوله :﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا ﴾ (سورة الأحقاف :١٧), وقوله : ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ (سورة يوسف :٢٣), أو لإرادة العموم كقوله : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (سورة العنكبوت :٦٩), أو الاختصار كقوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ﴾ (سورة الأحزاب :٦٩), إذ لو عدد أسماء القائلين لطال الكلام - وبالألف واللام للإشارة إلى معهود ذكرى، كقوله :﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ (سورة النور :٣٥), أو معهود ذهني كقوله : ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾(سورة الفتح :١٨), أو معهود حضوري كقوله : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (سورة المائدة :٣), أو لاستغراق الإفراد كقوله} :إ﴿نَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ (سورة العصر :٢), بدليل الاستثناء - أو لاستغراق خصائص الإفراد كقوله : ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ (سورة البقرة :٢), أي الكتاب الكامل في الهداية الجامع لجميع صفات الكتب المنزلة بخصائصها، أو لتعريف الماهية والحقيقة والجنس، كقوله : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾(سورة الأنبياء :٣٠).

٣ –الإفراد والجمع :

بعض ألفاظ القرآن يكون إفراده لمعنى خاص، وجمعه لإشارة معينة، أو يؤثر جمعه على إفراده أو العكس.

فمن ذلك أننا نرى بعض الألفاظ لم يأت في القرآن إلا مجموعًا، وعند الاحتياج إلى صيغة المفرد، يستعمل مرادفه كلفظة "اللُّب "فإنها لم ترد إلا مجموعة كقوله : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (الزمر : ٢١) ,ولم يجئ في القرآن مفرده، بل جاء مكانه "القلب "كقوله:﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ (ق : ٣٧) ، ولفظة "الكوب "لم تأت مفردة وقد أتى الجمع:﴿ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ (الغاشية : ١٤).

وعكس هذا النوع ألفاظ لم تأت إلا مفردة في كل موضع من مواضع القرآن. ولما أريد جمعها جُمعت في صورة من الروعة ليس لها مثال، كقوله تعالى:﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ (الطلاق : ١٢) ,ولم يقل سبحانه" :وسبع أرضين "لما في ذلك من الخشونة واختلال النظم.

ومن ذلك لفظة "السماء "ذكرت تارة بصيغة الجمع وتارة بصيغة الإفراد، لنكت مناسبة، فحيث أريد العدد، أُتِي بصيغة الجمع الدالة على سعة العظمة والكثرة، كقوله:﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (الحشر : ١) ، وحيث أريد الجهة أُتِي بصيغة الإفراد كقوله:﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ ﴾ (الملك : ١٦).

ومن ذلك "الريح "ذُكرت مجموعة ومفردة، فتُذكر مجموعة في سياق الرحمة وتُفرد في سياق العذاب، وذكر في حكمة ذلك أن رياح الرحمة مختلفة الصفات والمنافع، ويقابل بعضها الآخر أحيانًا. لينشأ ريح لطيفة تنفع الحيوان والنبات. فكانت في

الرحمة رياحًا. وأما في العذاب فإنها تأتي من وجه واحد، ولا معارض لها ولا دافع، وقد أخرج ابن أبي حاتم وغيره عن أُبَيّ بن كعب قال :كل شيء في القرآن من الرياح فهو رحمة، وكل شيء من الريح فهو عذاب .ولهذا ورد في الحديث" :اللهم اجعلها رياحًا ولا تجعلها ريحًا "وما عرج عن ذلك فهو لنكتة أخرى.

٤ –مقابلة الجمع بالجمع أو بالمفرد :

مقابلة الجمع بالجمع تارة تقتضي مقابلة كل فرد من هذا، بكل فرد من هذا ,كقوله:﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ (نوح : ٧), أي استغشى كل منهم ثوبه .وقوله:﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ ﴾ (البقرة : ٢٣٣) ,أي كل واحدة ترضع ولدها .وتارة يقتضي ثبوت الجميع لكل فرد من أفراد المحكوم عليه كقوله:﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ (النور : ٤) ,أي اجلدوا كل واحد منهم ذلك العدد. وتارة يحتمل الأمرين فيحتاج إلى دليل يُعيِّن أحدهما.

أما مقابلة الجمع بالمفرد .فالغالب ألا يقتضي تعميم المفرد وقد يقتضيه كما في قوله تعالى:﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ,﴾ (البقرة : ١٨٤) أي على كل واحد لكل يوم طعام مسكين.

٥ –ما يُظَن أنه مترادف وليس من المترادف :

من ذلك "الخوف والخشية "فالخشية أعلى من الخوف .وهي أشد منه لأنها مأخوذة من قولهم :شجرة خشية: أي يابسة، وهو فوات الكلية .والخوف من قولهم :ناقة خوفاء: أي بها داء. وهو نقص وليس بفوات. كما أن الخشية تكون من عظم المخشي وإن كان الخاشي قويًّا. فهي خوف يشوبه تعظيم. والخوف من

ضعف الخائف، وإن كان المخوف أمرًا يسيرًا .ومادة الخشية :الخاء والشين والياء، في تصاريفها تدل على العظمة، فالشيخ :السيد الكبير، والخيش :الغليظ من اللباس، ولذا وردت الخشية غالبًا في حق الله تعالى، كقوله:﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر : ٢٨) ، وقوله: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ (الأحزاب : ٣٩) ، وأما قوله تعالى:﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ,﴾ (النحل : ٥٠) فقد جاء في وصف الملائكة بعد ذكر قوتهم وشدة خلقهم، فالتعبير عنهم بالخوف لبيان أنهم وإن كانوا غلاظًا شدادًا فهم بين يديه تعالى ضعفاء، ثم أردفه بالفوقية الدالة على العظمة، فجمع بين الأمرين اللذين تتضمنهما الخشية دون إخلال بقوة بأسهم، وهما خوفهم من ربهم مع تعظيمه سبحانه.

ومن ذلك "الشُّح والبخل "فالشح أشد من البخل لأنه بخل مع حرص، وذلك فيما يكون عادة.

ومن ذلك "السبيل والطريق "فالسبيل أغلب وقوعًا في الخير، أما الطريق فلا يكاد يُراد به الخير إلا مقترنًا بما يدل على ذلك من وصف أو إضافة كقوله:﴿ يَهْدَي إِلَى الْحَقِ وَإِلَى طَرِيْقٍ مُسْتَقِيْم ﴾ (الأحقاف : ٣٠) ,قال الراغب في مفرداته :السبيل: الطريق الذي فيه سهولة فهو أخص.

ومن ذلك "مد وأمد "قال الراغب: أكثر ما جاء الإمداد في المحبوب كقوله:﴿ وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ﴾ (الطور : ٢٢) ,والمد في المكروه كقوله:﴿ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ (مريم : ٧٩).

٦ –السؤال والجواب :

الأصل في الجواب أن يكون مطابقًا للسؤال، وقد يعدل في الجواب عما يقتضيه السؤال تنبيهًا على أنه كان من حق السؤال أن يكون كذلك، وهو المسمى بأسلوب الحكيم، ويمثلون له بقوله تعالى:﴿ يَسْأَلونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ (البقرة : ١٨٩) ,فقد سألوا رسول الله –صلى الله عليه وسلم –عن الهلال: لم يبدو دقيقًا مثل الخيط ثم يزيد قليلًا حتى يمتلئ، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ؟ فأجيبوا ببيان حكمة ذلك تنبيهًا على أن الأهم السؤال عن ذلك لا ما سألوا عنه.

وقد يجيء الجواب أعم من السؤال للحاجة إليه كقوله تعالى:﴿ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾ (الأنعام : ٦٤) في جواب:﴿ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ (الأنعام : ٦٣).

وقد يجيء أنقص لاقتضاء الحال ذلك كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾ في جواب:﴿ ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾ لأن التبديل أسهل من الاختراع، وقد نفى إمكانه فالاختراع أولى.

والسؤال إذا كان لطلب معرفة تعدى إلى المفعول الثاني تارة بنفسه وتارة بـ "عن "وهو أكثر كقوله:﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ (الأسراء : ٨٥)، وإذا كان لاستدعاء مال ونحوه فإنه يتعدى بنفسه أو بـ "من "وبنفسه أكثر كقوله:﴿ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ وقوله:﴿ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (النساء : ٣٢).

٧ –الخطاب بالاسم والخطاب بالفعل :

الاسم يدل على الثبوت والاستمرار. والفعل يدل على التجدد والحدوث، ولكل منهما موضعه الذي لا يصلح له الآخر، فيأتي التعبير مثلًا في النفقة بالفعل

كقوله:﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ (آل عمران : ١٣٤) ولم يقل "المنفقون "ويأتي التعبير في الإيمان بالاسم كقوله:﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (الحجرات : ١٥) لأن النفقة أمر فعلي شأنه الحدوث والتجدد بخلاف الإيمان فإنه له حقيقة تقوم بدوام مقتضاها، والمراد بالتجدد في الماضي الحصول مرة بعد أخرى, وفي المضارع أن من شأنه أن يتكرر ويقع مرة بعد أخرى، ومضمر الفعل في ذلك كمظهره ولهذا قالوا :إن سلام إبراهيم عليه السلام أبلغ من سلام الملائكة في قوله تعالى:﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا﴾ (الذاريات : ٢٥) ,فالنصب على أنه مصدر سد مسد الفعل، وأصله :نسلم عليك سلامًا، وهذه العبارة مؤذنة بحدوث التسليم منهم، بخلاف رده} :قَالَ سَلامٌ, فإنه معدول به إلى الرفع على الابتداء، وخبره محذوف والمعنى :عليكم سلام. للدلالة على إثبات السلام، كأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به، أخذًا بأدب الله تعالى٣ وهو أيضًا من إكرامه لهم.

٨ –**العطف** :

وهو ثلاثة أقسام :

١ –عطف على اللفظ :وهو الأصل.

٢ –وعطف على المحل :وجعل منه الكسائي قوله تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ﴾ (المائدة : ٦٩) ,فجعل "الصابئون "عطفًا على محل "إن "واسمها، ومحلها الرفع بالابتداء.

٣ –وعطف على المعنى :ومنه قوله تعالى:﴿ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ﴾ (المنافقون : ١٠) ,في قراءة غير الخليل وسيبويه على أنه عطف على التوهم١، لأن معنى "لولا أخرتني فأصَّدَّق "ومعنى "أخرني أصَّدَّق "واحد، كأنه

قيل :إن أخرتني أصَّدَّق وأكن، كما خرَّج الفارسي عليه قراءة قنبل:﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ (يوسف : ٩٠) بسكون الراء؛ لأن "مَن "الموصولة فيها معنى الشرط.



{فهرس موضوعات الجزء الأول}

مقدمة. ١

الباب الأول : في معنى علوم القرآن وبيان نشأته. ٣

الباب الثاني: المكي والمدني ٥

الباب الثالث : الحضري والسفري. ١٠

الباب الرابع : النهاري والليلي. ١٤

الباب الخامس : الصيفي والشتائي. ١٦

الباب السادس: الفراشي والنومي. ١٨

الباب السابع : الأرضي والسمائي. ١٩

الباب الثامن : أول ما نزل و آخره. ٢٠

الباب التاسع : أسباب النزول. ٢٣

الباب العاشر: ما نزل من القرآن على لسان بعض الصحابة. ٢٦

الباب الحادي عشر: ما تكرر نزوله. ٢٨

الباب الثاني عشر: ما تأخر حكمه عن نزوله وما تأخر نزوله عن حكمه.٢٩

الباب الثالث عشر: ما نزل مفرقاً وما نزل جمعاً. ٣١

الباب الرابع عشر: ما نزل مشيعاً وما نزل مفرداً. ٣٢

الباب الخامس عشر: ما أنزل منه على بعض الأنبياء. ٣٣

الباب السادس عشر: في كيفية إنزاله. ٣٥

الباب السابع عشر: في معرفة أسمائه وأسماء السور. ٣٧

الباب الثامن عشر: في جمع القرآن وترتيبه. ٤٣

الباب التاسع عشر: في عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه.............. ٤٥

الباب العشرون: في معرفة حفاظه ورواته........................... ٤٧
الباب الحادي والعشرون: في العالي والنازل. ٥٠
الباب الثاني والعشرون: معرفة المتواتر والمشهور والآحاد والشاذ والموضوع,
والمدرج. ٥٢
الباب الثالث والعشرون: في معرفة الوقف والابتداء ٥٤
الباب الرابع والعشرون: في الإمالة والفتح وما بينهما ٦٠
الباب الخامس والعشرون: في الإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب ٦٢
الباب السادس والعشرون: في المد والقصر ٦٤
الباب السابع والعشرون: في تخفيف الهمزة ٦٥
الباب الثامن والعشرون: في كيفية تحمله ٦٧
الباب التاسع والعشرون: في آداب تلاوة القرآن وتاليه ٧٢
الباب الثلاثون: في معرفة غريب القرآن ٧٨
الباب الحادي والثلاثون: معرفة ما وقع من غير لغة الحجاز ٨٠
الباب الثاني والثلاثون: معرفة ما وقع من غير لغة العرب................ ٨٧
الباب الثالث والثلاثون: في معرفة الوجوه والنظائر ٩٢
الباب الرابع والثلاثون: في معرفة معاني الأدوات التي يحتاج إليها المفسر . ٩٥
الباب الخامس والثلاثون: في معرفة إعرابه ١٠١
الباب السادس والثلاثون: في معرفة القواعد التي يحتاج اليها المفسر ١٠٤
فهرس الموضوعات ١١٥



تأليف

الفقير فيصال عبد الله

طبق ما قرره
المعهد العالي واليندو الفكالونجاني
في دراسة تخصص القرآن وعلومه

الجزء الثاني



| mahadalywalindo

الباب السابع والثلاثون

فى المحكم والمتشبه

وقد اختلف في تعيين المحكم والمتشابه على أقوال:

١. المحكم ما عُرف المراد منه ، إما بالظهور وإما بالتأويل, والمتشابه ما استأثر الله بعلمه ، كقيام الساعة وخروج الدجال ، والحروف المقطعة في أوائل السور.

٢. المحكم ما وضح معناه ، والمتشابه نقيضه.

٣. المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجها واحدا ، والمتشابه ما احتمل أوجها .

٤. المحكم ما كان معقول المعنى ، والمتشابه : بخلافه ، كأعداد الصلوات ، واختصاص الصيام برمضان دون شعبان . قاله الماوردي .

٥. المحكم ما استقل بنفسه ، والمتشابه : ما لا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره

٦. المحكم ما تأويله تنزيله ، والمتشابه ما لا يدرك إلا بالتأويل.

٧. المحكم ما لم تتكرر ألفاظه ، ومقابله المتشابه.

٨. المحكم الفرائض والوعد والوعيد ، والمتشابه القصص والأمثال.

يتمثلون للمحكم في القرآن بناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه ووعده وواعده. فمثل ذلك ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ...﴾ (الانعام : ١٥١) والآيتان بعدها وقوله تعالى ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ (الإسراء : ٢٣) إلى ثلاث آيات بعدها, وللمتشابه : بمنسوخه وكيفيات اساء الله وصفته واوائل السور المفتتحة بحروف المعجم وحقائق

اليوم الآخر وعلم الساعة. نحو قول تعالى :﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ (طه : ٥) (الم) و (المص) و (المر) و (الر) .

اختلف العلماء هل المتشابه مما يمكن الاطلاع على علمه ، أو لا يعلمه إلا الله:

١. لا يعلم تأويله الاّ الله كما قال الله تعالى : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ (آل عمران : ٧) هذا القول طائفة يسيرة منهم مجاهد .
٢. وأما الأكثرون من الصحابة والتابعين وأتباعهم ومن بعدهم خصوصا أهل السنة فذهبوا إلى الثاني.

فقال الجلال السيوطي ويدل لصحة مذهب الأكثرين :ما أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ، والحاكم في مستدركه ، عن ابن عباس أنه كان يقرأ : (وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون في العلم آمنا به). فهذا يدل على أن الواو للاستئناف ; لأن هذه الرواية – وإن لم تثبت بها القراءة – فأقل درجاتها أن يكون خبرا بإسناد صحيح إلى ترجمان القرآن فيقدم كلامه في ذلك على من دونه.

فالمتشابه بالجملة ثلاثة أضرب :

١. المتشابه من جهة اللفظ فقط وهو ضربان:

أحدهما : يرجع إلى الألفاظ المفردة ; إما من جهة الغرابة نحو :﴿ الأب و يزفون ﴾ (الصافات : ٩٤)أو الاشتراك كاليد واليمين.

وثانيهما : يرجع إلى جملة الكلام المركب

٢. والمتشابه من جهة المعنى فقط : أوصاف الله تعالى وأوصاف القيامة ; فإن تلك الأوصاف لا تتصور لنا ، إذا كان لا يحصل في نفوسنا صورة ما لم نحسه ، أو ليس من جنسه.

٣. والمتشابه من جهتهما, وهو خمسة أضرب:

الأول : من جهة الكمية ، كالعموم والخصوص ، نحو: ﴿ فاقتلوا المشركين ﴾ (التوبة : ٥).

والثاني : من جهة الكيفية ، كالوجوب والندب ، نحو: ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء ﴾ (النساء : ٣).

والثالث : من جهة الزمان ، كالناسخ والمنسوخ ، نحو: ﴿ اتقوا الله حق تقاته﴾ (آل عمران : ١٠٢).

والرابع : من جهة المكان والأمور التي نزلت فيها ، نحو: ﴿ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾ (البقرة : ١٨٩).

الخامس : من جهة الشروط التي يصح بها الفعل أو يفسد ، كشروط الصلاة والنكاح.

التوفيق بين الرأيين بفهم معنى التأويل :

١. صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به، وهذا هو اصطلاح أكثر المتأخرين.

٢. التأويل بمعنى التفسير، فهو الكلام الذي يفسَّر به اللفظ حتى يُفهم معناه.

٣. التأويل: هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فتأويل ما أخبر الله به عن ذاته وصفاته هو حقيقة ذاته المقدسة وما لها من حقائق الصفات، وتأويل ما أخبر الله به عن اليوم الآخر هو نفسه ما يكون في اليوم الآخر. وعلى هذا

المعنى جاء قول عائشة" :كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول في ركوعه وسجوده" :سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي "يتأول القرآن ."تعني قوله تعالى:﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (النصر : ٣)[٧٨]



[٧٨] رواه البخاري ومسلم.

الباب الثامن والثلاثون

في مقدمه و مؤخره

وهو قسمان :

الأول : ما أشكل معناه بحسب الظاهر ، فلما عرف أنه من باب التقديم والتأخير ، اتضح. وقد تعرض السلف لذلك في آيات :

فأخرج ابن أبي حاتم ، عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا ﴾ (التوبة : ٨٥) . قال : هذا من تقاديم الكلام ، يقول : (لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا ، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة).

وأخرج عنه – أيضا – في قوله تعالى: ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى ﴾ (طه : ١٢٩) . قال : هذا من تقاديم الكلام ، يقول: لولا كلمة وأجل مسمى لكان لزاما.

وأخرج عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿ أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما﴾ (الكهف : ١ – ٢) . قال : هذا من التقديم والتأخير : أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوج.

الثاني : ما ليس كذلك ، وقد ألف فيه العلامة شمس الدين بن الصائغ كتابه " (المقدمة في سر الألفاظ المقدمة ") . قال : فيه : الحكمة الشائعة الذائعة في ذلك الاهتمام ; كما قال سيبويه في كتابه : كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم وهم ببيانه أَعْنَى.

قال سيبويه : هذه الحكمة إجمالية ، وأما تفاصيل أسباب التقديم والتأخير ، فقد ظهر لي منها في القرآن العزيز. فيها عشرة أنواع :

١. التبرك : كتقديم اسم الله تعالى في الأمور الأهمّية. ومنه قوله تعالى : ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم﴾ (آل عمران : ١٨).

٢. التعظيم : كقولهتعالى: ﴿ ومن يطع الله والرسول﴾ (النساء : ٦٩) وقوله تعالى : ﴿إن الله وملائكته يصلون﴾ (الأحزاب : ٥٦). وقوله تعالى :﴿ والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾ (التوبة : ٦٢).

٣. التشريف : كتقديم الذكر على الأنثى ، نحو: ﴿ إن المسلمين والمسلمات﴾ (الأحزاب : ٣٥) الآية ، والحر في قوله تعالى:﴿ الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى﴾ (البقرة :١٧٨) والحي في قوله: ﴿ يخرج الحي من الميت ﴾ (الأنعام : ٩٥) الآية.

٤. المناسبة وهي إما مناسبة المتقدم لسياق الكلام ، كقوله تعالى: ﴿ ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ﴾ (النحل : ٦) فإن الجمال بالجمال ، وإن كان ثابتا حالتي السراح والإراحة ، إلا أنها حالة إراحتها - وهو مجيئها من المرعى آخر النهار - يكون الجمال بها أشبع ، وحالة سراحها للمرعى أول النهار يكون الجمال بها دون جعاع.

٥. الحث عليه والحض على القيام به : حذرا من التهاون به . كتقديم الوصية على الدين في قولهتعالى: ﴿ من بعد وصية يوصي بها أو دين ﴾ (النساء : ١١) مع أن الدين مقدم عليها شرعا.

٦. السبق : وهو إما في الزمان. كتقديم الليل على النهار ، والظلمات على النور ، وآدم على نوح ، ونوح على إبراهيم ، وإبراهيم على موسى ، وهو على عيسى ، وداود على سليمان ، والملائكة على البشر ، في قوله تعالى : ﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس﴾ (الحج : ٧٥), أو باعتبار

الإنزال ، كقوله تعالى : ﴿صحف إبراهيم وموسى﴾ (الأعلى : ١٩) وقوله تعالى : ﴿ وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ﴾(آل عمران : ٣٣ ، ٤ — ٤) , أو باعتبار الوجوب والتكليف ، نحو: ﴿ اركعوا واسجدوا ﴾(الحج : ٧٧)﴿فاغسلوا وجوهكم وأيديكم ﴾ (المائدة : ٦) الآية , ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾(البقرة : ١٥٨), أو بالذات ، نحو: ﴿ مثنى وثلاث وربا ع ﴾(النساء : ٣).

٧. السببية: كتقديم العزيز على الحكيم ; لأنه عز فحكم و تقديم العبادة على الاستعانة في سورة الفاتحة ; لأنها سبب حصول الإعانة ، وكذا قوله تعالى : ﴿ يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ (البقرة : ٢٢٢) .

٨. الكثرة : كقوله تعالى:﴿ فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ (التغابن : ٢) ; لأن الكفار أكثر.

٩. الترقّي من الأدنى إلى الأعلى : كقولهتعالى: ﴿ ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها﴾ (الأعراف : ١٩٥)الآية.

١٠. التدلي من الأعلى إلى الأدنى : وخرج عليه: ﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ (البقرة : ٢٥٥). وقوله تعالى:﴿ لا يغادر صغيرة ولا كبيرة﴾ ﴿الكهف : ٤٩).



الباب التاسع والثلاثون

العام والخاص

العام هو لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر.

وصيغته : (**كل**) مبتدأة ، نحو : ﴿كل من عليها فان﴾ (الرحمن : ٢٦) أو تابعة ، نحو: ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾ (الحجر : ٣٠) .و (**الذي والتي**) وتثنيتهما وجمعهما ، نحو : ﴿والذي قال لوالديه أف لكما ﴾ (الأحقاف : ١٧). فإن المراد به كل من صدر منه هذا القول. و (**أي** ، **وما** ، **ومن**) : شرطا واستفهاما وموصولا ، نحو: ﴿ أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ (الإسراء : ١١٠) . ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ (الأنبياء : ٩٨) .﴿ من يعمل سوءا يجز به﴾ (النساء : ١٢٣). و (**الجمع المضاف**) نحو :﴿ يوصيكم الله في أولادكم ﴾(النساء : ١١). و (**المعرف بأل**) نحو: ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ (المؤمنون : ١) و﴿ فاقتلوا المشركين﴾ (التوبة : ٥﴾. و (**اسم الجنس المضاف**) نحو: ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره ﴾ (النور : ٦٣) أي : كل أمر الله. و (**المعرف بأل**) نحو: ﴿ وأحل الله البيع ﴾ (البقرة : ٢٧٥) ، أي : كل بيع إن الإنسان لفي خسر ، أي : ﴿كل إنسان بدليل إلا الذين آمنوا ﴾ (العصر : ٣). و (**النكرة في سياق النفي والنهي**) : نحو :﴿فلا تقل لهما أف ﴾ (الإسراء : ٢٣). ﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه ﴾ (الحجر : ٢١). ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ (البقرة : ٢).﴿ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾(البقرة : ١٩٧).و (**في سياق الشرط**) نحو :﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ (التوبة :

٦). وفي **سياق** (**الامتنان**) نحو: ﴿ وأنزلنا من السماء ماء طهورا ﴾ (الفرقان : ٤٨).

أقسام العام

والعام على ثلاثة أقسام:

١. الباقي على عمومه :قال القاضي جلال الدين البلقيني ومثاله عزيز ، إذ ما من عام إلا ويتخيل فيه التخصيص ، فقوله تعالى : ﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم ﴾ (الحج : ١) . قد يخص منه غير المكلف . ﴿و حرمت عليكم الميتة ﴾ (المائدة : ٣) . خص منها حالة الاضطرار ، وميتة السمك والجراد. ﴿ وحرم الربا ﴾ (البقرة : ٢٧٥) خص منه العرايا.

٢. العام المراد به المخصوص .كقوله تعالى :﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ﴾ (آل عمران : ١٧٣) فالمراد بالناس الأول نعيم بن مسعود الأشجعي, والمراد بالناس الأول ابو سفين لا العموم في كل منهما.

٣. العام المخصوص . امثلته في القرآن كثيرة, ومنها قوله تعالى :﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ ﴾ (البقرة : ١٨٧).

والخاص يقابل العام، فهو الذي لا يستغرق الصالح له من غير حصر., وإما منفصل: وهو بخلافه

إما متصل: وهو الذي لم يُفصل فيه بين العام والمخصص له بفاصل، والمتصل خمسة :

١. الاستثناء، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ، إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا﴾ (النور : ٤, ٥).

٢. الصفة: كقوله تعالى: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ (النساء : ٢٣).

٣. الشرط: كقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة : ١٨٠).

٤. الغاية: كقوله: ﴿ وَلا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ (البقرة : ١٩٦).

٥. بدل البعض من الكل: كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران : ٩٧).

والمخصص المنفصل: ما كان في موضع آخر من آية أو حديث أو إجماع أو قياس. فما خُصَّ بالقرآن كقوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ﴾ (البقرة : ٢٢٨) فهو عام في كل مطلقة حاملًا كانت أو غير حامل، مدخولًا بها أو غير مدخول بها، خُصَّ بقوله: ﴿وَأُولاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ (الطلق : ٤) ، وبقوله تعالى : ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ﴾ (الأحزاب : ٤٩).

وما خُصَّ بالحديث كقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا﴾ (البقرة : ٢٧٥) خص من البيع البيوع الفاسدة التي ذكرت في الحديث، كما في

البخاري عن ابن عمر –رضي الله عنه– قال: "نهى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عن عسب الفحل"، وفي الصحيحين عن ابن عمر: "أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– نهى عن بيع حبل الحبلة" وكان بيعًا تبتاعه الجاهلية، كان الرجل يبتاع الجزور إلى أن تنتج الناقة ثم تنتج التي في بطنها – واللفظ للبخاري، إلى غير ذلك من الأحاديث.

وما خُص بالإجماع آية المواريث: ﴿وصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ (النساء : ١١) خص منها بالإجماع الرقيق لأن الرق مانع من الإرث.

وما خصّ بالقياس آية الزنا ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ (النور : ٢) خص منها العبد بالقياس على الأمة التي نص على تخصيصها عموم الآية في قوله تعالى : ﴿ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ (النساء : ٢٥)

تخصيص السُّنَّة بالقرآن:

وقد يخصص القرآن السُّنَّة، ويمثلون لذلك بما رُوي عن أبي واقد الليثي – رضي الله عنه– قال: قال النبي, صلى الله عليه وسلم: "ما قُطِع من البهيمة وهي حية فهو ميت [٧٩] "فهذا الحديث خُص بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ﴾ (النخل : ٨٠).



[٧٩] اخرجه أبو داود, والترمذي وحسنه و اللفظ له.

الباب الأربعون

في مجمله ومبينه

المجمل : ما لم تتضح دلالته ، وهو واقع في القرآن ، خلافا لداود الظاهري وفي جواز بقائه مجملا أقوال : أصحها لا يبقى المكلف بالعمل به ، بخلاف غيره.

وللإجمال أسباب :

١. الاشتراك نحو : ﴿والليل إذا عسعس ﴾ (التكوير : ١٧)، فإنه موضوع لأقبل وأدبر .﴿ ثلاثة قروء﴾ (البقرة : ٢٢٨) فإن القرء موضوع للحيض والطهر . ﴿أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح﴾ (البقرة : ٢٣٧) يحتمل الزوج والولي ، فإن كلا منهما بيده عقدة النكاح.
٢. الحذف : نحو : ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾ (النساء : ١٢٧). يحتمل (في) و (عن).
٣. اختلاف مرجع الضمير : نحو :﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ (فاطر : ١٠) يحتمل عود ضمير الفاعل في (يرفعه) إلى ما عاد عليه ضمير (إليه) وهو الله، ويحتمل عوده إلى العمل ; والمعنى : أن العمل الصالح هو الذي يرفع الكلم الطيب. ويحتمل عوده إلى الكلم الطيب : أي : أن الكلم الطيب – وهو التوحيد – يرفع العمل الصالح ; لأنه لا يصح العمل إلا مع الإيمان.

٤. احتمال العطف والاستئناف : نحو : ﴿إلا الله والراسخون في العلم يقولون﴾ (آل عمران : ٧).
٥. غرابة اللفظ : نحو :﴿ فلا تعضلوهن ﴾ (البقرة : ٢٣٢).

٦. عدم كثرة الاستعمال : نحو : ﴿يلقون السمع ﴾ (الشعراء : ٢٢٣) أي : يسمعون, (ثاني عطفه) (الحج : ٩) أي : متكبرا . ﴿فأصبح يقلب كفيه﴾ (الكهف : ٤٢) أي : نادما.

٧. التقديم والتأخير : نحو : ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى﴾ (طه : ١٢٩) أي : ولولا كلمة وأجل مسمى لكان لزاما . ﴿يسألونك كأنك حفي عنها ﴾ (الأعراف : ١٨٧) أي : يسألونك عنها كأنك حفي.

٨. قلب المنقول : نحو : ﴿وطور سينين﴾ (التين : ٢) أي : سيناء . ﴿على إل ياسين ﴾ (الصافات : ١٣٠) أي : على إلياس.

٩. التكرير القاطع لوصل الكلام في الظاهر : نحو :﴿ للذين استضعفوا لمن آمن منهم ﴾ (الأعراف : ٧٥).

مواقع التبيين :

قد يقع التبيين متصلا ، نحو : من الفجر بعد قوله : ﴿الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾ (البقرة : ١٨٧).

و يقع التبيين منفصلا في آية أخرى ، نحو : ﴿فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ﴾ (البقرة : ٢٣٠)بعد قوله : ﴿الطلاق مرتان﴾ (البقرة : ٢٢٩) فإنها بينت أن المراد به الطلاق الذي تملك الرجعة بعده ، ولولاها لكان الكل منحصرا في الطلقتين.

وقد يقع التبيين بالسنة ، مثل : ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ (البقرة : ٤٣) ﴿ولله على الناس حج البيت ﴾ (آل عمران : ٩٧) . وقد بينت السنة أفعال الصلاة والحج ، ومقادير نصب الزكوات في أنواعها.

أختُلف في آيات هل هي من قبيل المجمل أو لا ؟

منها : آية السرقة : قيل : إنها مجملة في اليد ; لأنها تطلق على العضو إلى الكوع وإلى المرفق ، وإلى المنكب . وفي القطع ; لأنه يطلق على الإبانة ، وعلى الجرح ، ولا ظهور لواحد من ذلك ، وإبانة الشارع من الكوع تبين أن المراد ذلك. وقيل : لا إجمال فيها ; لأن القطع ظاهر في الإبانة.

ومنها ﴿وامسحوا برءوسكم﴾ (المائدة : ٦) قيل : إنها مجملة ; لترددها بين مسح الكل والبعض ، ومسح الشارع الناصية مبين لذلك. وقيل : لا ، وإنما هي لمطلق المسح الصادق بأقل ما يطلق عليه الاسم ويفيده.

ومنها ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ (النساء : ٢٣) قيل : مجملة ; لأن إسناد التحريم إلى العين لا يصح ; لأنه إنما يتعلق بالفعل ، فلا بد من تقديره ، وهو محتمل لأمور لا حاجة إلى جميعها ، ولا مرجح لبعضها. وقيل : لا ، لوجود المرجح ، وهو العرف ; فإنه يقضي بأن المراد تحريم الاستمتاع بوطء أو نحوه.

ومنها :﴿ وأحل الله البيع وحرم الربا ﴾ (البقرة : ٢٧٥) : قيل : إنها مجملة ; لأن الربا الزيادة ، وما من بيع إلا وفيه زيادة ، فافتقر إلى بيان ما يحل وما يحرم. وقيل : لا ; لأن البيع منقول شرعا ، فحمل على عمومه ما لم يقم دليل التخصيص.

والنتيجة : انّ اللفظ الموضوع للحكم اذا كان مجملا يمكن رفع اجماله بنصب قرينة في البين إن امكن وان لم تكن قرينة في البين فالمرجع في المسألة من الأصول اللفظية أو الأصول العملية، ثم انّ هذا البحث ليس بحث اصولي بل هو بحث فقهي وليس بللغوي أيضا إذ ليس الكلام في "ان لفظ موضوع لمعنى واحد او معنيين"، وكيف ما كان فتمام الكلام في ذلك في بحث الفقهي.

الباب الحادي والأربعون

في ناسخه ومنسوخه

قال الأئمة : لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ.

وقد قال علي لقاص : أتعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال : لا ، قال : هلكت وأهلكت.

تعريف النسخ وشروطه :

والنسخ لغة :يُطلق بمعنى الإزالة، ومنه يقال :نسخت الشمس الظل: أي أزالته. ونسخت الريح أثر المشي ويطلق بمعنى نقل الشيء من موضع إلى موضع، ومنه نسخت الكتاب :إذا نقلت ما فيه .وفي القرآن :﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجاثية : ٢٩) ,والمراد به نقل الأعمال إلى الصحف.

والنسخ في الاصطلاح :رفع الحكم الشرعي بخطاب شرعي فخرج بالحكم رفع البراءة الأصلية، وخرج بقولنا" :بخطاب شرعي "رفع الحكم بموت أو جنون أو إجماع أو قياس[٨٠].

ويطلق الناسخ على الله تعالى كقوله :﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ (البقرة : ١٠٦)، وعلى الآية وما يُعرف به النسخ، فيقال :هذه الآية ناسخة لآية كذا، وعلى الحكم الناسخ لحكم آخر.

والمنسوخ هو الحكم المرتفع.

وقال الجلال السيوطي في هذا الباب مثائل

---

[٨٠] مناع القطان في مباحث في علوم القرآن (٢٣٢).

١. يرد النسخ بمعنى الإزالة ، ومنه قوله : ﴿ فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته ﴾(الحج : ٥٢).

وبمعنى التبديل ، ومنه: ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية ﴾ (النحل : ١٠١) . وبمعنى التحويل ، كتناسخ المواريث ، بمعنى تحويل الميراث من واحد إلى واحد . وبمعنى النقل من موضع إلى موضع ، ومنه : نسخت الكتاب ، إذا نقلت ما فيه ، حاكيا للفظه وخطه.

٢. النسخ مما خص الله به هذه الأمة لحكم ، منها التيسير.

٣. لا يقع النسخ إلا في الأمر والنهي ، ولو بلفظ الخبر . أما الخبر الذي ليس بمعنى الطلب فلا يدخله النسخ، ومنه الوعد والوعيد.

وإذا عرفت ذلك عرفت فساد صنع من أدخل في كتب النسخ كثيرا من آيات الإخبار والوعد والوعيد.

٤. النسخ أقسام :

أحدها : نسخ المأمور به قبل امتثاله ، وهو النسخ على الحقيقة ، كآية النجوى.

الثاني : ما نسخ مما كان شرعا لمن قبلنا ، كآية شرع القصاص والدية ، أو كان أمر به أمرا جمليا كنسخ التوجه إلى بيت المقدس بالكعبة ، وصوم عاشوراء برمضان ، وإنما يسمى هذا نسخا تجوزا.

الثالث : ما أمر به لسبب ، ثم يزول السبب كالأمر حين الضعف والقلة بالصبر والصفح ، ثم نسخ بإيجاب القتال . وهذا في الحقيقة ليس نسخا ، بل هو من قسم المنسإ ، كما قال تعالى (أو ننسها) فالمنسأ : هو الأمر بالقتال إلى أن يقوى المسلمون ، وفي حال الضعف يكون الحكم وجوب

الصبر على الأذى ، وبهذا يضعف ما لهج به كثيرون من أن الآية في ذلك منسوخة بآية السيف ، وليس كذلك ، بل هي من المنسإ ، بمعنى أن كل أمر ورد يجب امتثاله في وقت ما ، لعلة تقتضي ذلك الحكم ، ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر ، وليس بنسخ ، إنما النسخ الإزالة للحكم حتى لا يجوز امتثاله.

٥. سور القرآن باعتبار الناسخ والمنسوخ أقسام :

قسم ليس فيه ناسخ ولا منسوخ : وهو ثلاثة وأربعون : سورة الفاتحة ، ويوسف ، ويس ، والحجرات ، والرحمن ، والحديد ، والصف ، والجمعة ، والتحريم ، والملك ، والحاقة ، ونوح ، والجن ، والمرسلات ، وعم ، والنازعات ، والانفطار ، وثلاث بعدها ، والفجر وما بعدها إلى آخر القرآن ; إلا التين ، والعصر ، والكافرون. وقسم فيه الناسخ والمنسوخ : وهي خمسة وعشرون : البقرة وثلاث بعدها ، والحج ، والنور، وتالياها، والأحزاب، وسبأ، والمؤمن، والشورى، والذاريات ، والطور، والواقعة ، والمجادلة ، والمزمل، والمدثر، وكورت ، والعصر. وقسم فيه الناسخ فقط : وهو ست : الفتح، والحشر، والمنافقون ، والتغابن ، والطلاق ، والأعلى.

وقسم فيه المنسوخ فقط : وهو الأربعون الباقية . كذا قال ، وفيه نظر يعرف مما سيأتي.

٦. قال مكي الناسخ أقسام :

١. فرض نسخ فرضا ، ولا يجوز العمل بالأول ، كنسخ الحبس للزواني بالحد.

٢. وفرض نسخ فرضا ويجوز العمل بالأول ، كآية المصابرة.

٣. وفرض نسخ ندبا كالقتال ، كان ندبا ثم صار فرضا.

٤. وندب نسخ فرضا ، كقيام الليل ، نسخ بالقراءة في قوله: ﴿ فاقرءوا ما تيسر من القرآن﴾ (المزمل : ٢٠).

٧. النسخ في القرآن على ثلاثة أضرب:

١. ما نُسخ تلاوته وحكمه معا .قالت عائشة :كان فيما أنزل : (عشر رضعات معلومات) فنسخن بخمس معلومات ، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن مما يقرأ من القرآن .رواه الشيخان[٨١].

وقد تكلموا في قولها : (وهن مما يقرأ) : فإن ظاهره بقاء التلاوة ، وليس كذلك.

وأجيب بأن المراد : قارب الوفاة ، أو : أن التلاوة نسخت أيضا ، ولم يبلغ ذلك كل الناس إلا بعد وفاة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فتوفي وبعض الناس يقرؤها.

٢. ما نُسخ حكمه دون تلاوته ;وهذا الضرب هو الذي فيه الكتب المؤلفة ، وهو على الحقيقة قليل جدا ، وإن أكثر الناس من تعداد الآيات فيه ; فإن المحققين منهم كالقاضي أبي بكر بن العربي بيّن ذلك وأتقنه. ومثال نسخ الحكم دون التلاوة : قوله تعالي : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ (البقرة: ٢٤٠) ، فقد نسخ حكم هذه الآية وبقيت تلاوتها.

٣. ما نُسخ تلاوته دون حكمه, وقد أورد بعضهم فيه سؤالا وهو : ما الحكمة في رفع التلاوة مع بقاء الحكم. ومثاله : كآية الرجم" :الشيخ

---

[٨١] رواه مسلم (٦) (١٤٥٢ / ٢٤, ٢٥).

والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالًا من الله، والله عزيز حكيم "ومنها ما رُوِي في الصحيحين عن أنس في قصة أصحاب بئر معونة الذين قُتِلوا وقَنَتَ الرسول يدعو على قاتليهم، قال أنس :ونزل فيهم قرآن قرأناه حتى رُفِع" :أن بلِّغوا عنا قومنا أنَّا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا "ثم نُسِخَت تلاوته.

أقسام النسخ

والنسخ أربعة أقسام[٨٢]

١. نسخ القرآن بالقرآن: وهذا القسم متفق على جوازه ووقوعه من القائلين بالنسخ، فآية الاعتداد بالحول مثلًا نُسِخَت بآية الاعتداد بأربعة أشهر وعشرٍ، كما سيأتي في الأمثلة.

٢. نسخ القرآن بالسُّنَّة: وتحت هذا نوعان:

أ- نسخ القرآن بالسُّنَّة الآحادية. والجمهور على عدم جوازه. لأن القرآن متواتر يفيد اليقين، والآحادي مظنون، ولا يصح رفع المعلوم بالمظنون.

ب- ونسخ القرآن بالسُّنَّة المتواترة. وقد أجازه مالك وأبو حنيفة وأحمد في رواية، لأن الكل وحي .قال تعالى :﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (النجم : ٣, ٤) وقال:﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (النحل : ٤٤) والنسخ نوع من البيان ومنعه الشافعي وأهل الظاهر وأحمد في الرواية الأخرى، لقوله تعالى :﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ (البقرة : ١٠٦) ,والسُّنَّة ليست خيرًا من القرآن ولا مثله.

---

[٨٢] مناع القطان في المباحث في علوم القرآن (٢٣٦-٢٣٧).

٣. نسخ السُّنَّة بالقرآن , ويجيزه الجمهور، فالتوجه إلى بيت المقدس كان ثابتًا بالسُّنَّة، وليس في القرآن ما يدل عليه، وقد نُسِخَ بالقرآن في قوله :﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ (البقرة : ٤٤) ووجوب صوم يوم عاشوراء كان ثابتًا بالسُّنَّة ونُسِخ بقوله:﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (البقرة : ١٨٥) .

ومنع هذا القسم الشافعي في إحدى روايتيه، وقال" :وحيث وقع بالسُّنَّة فمعها قرآن، أو بالقرآن فمعه سُنة عاضدة تبيّن توافق الكتاب والسُّنَّة."

٤. نسخ السُّنَّة بالسُّنَّة، وتحت هذا أربعة أنواع:

نسخ متواترة بمتواترة، ٢- ونسخ آحاد بآحاد، ٣- ونسخ آحاد بمتواترة، ٤- ونسخ متواترة بآحاد - والثلاثة الأولى جائزة - أما النوع الرابع ففيه الخلاف الوارد في نسخ القرآن بالسُّنَّة الآحادية، والجمهور على عدم جوازه. أما نسخ كل من الإجماع والقياس والنسخ بهما فالصحيح عدم جوازه.



الباب الثاني والأربعون
في مشكله وموهم الاختلاف والتناقض

تعريف المشكل :

المشكل أوسع من موهم الاختلاف والتناقض, بل إن الموهم أحد أسباب المشكل.

و ذكر الجلال السيوطي في (التحبير) أن هناك فرقاً بينه وبين المتشابه الكلي، فالمشكل يمكن معرفة معناه، أما المتشابه –يريد المتشابه الكلي– فلا يعرف معناه. وبهذا فالموهم جزء من المشكل, والمشكل من جهة المعاني لا شك أنه معلوم إن جهلها واحد علمها غيره، وهذا هو معنى المتشابه النسبي.

والمراد به ما يوهم التعارض بين الآيات وكلامه تعالى منزّه عن ذلك كما قال : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ (النساء : ٨٢) ، ولكن قد يقع للمبتدئ ما يوهم اختلافا وليس به في الحقيقة ، فاحتيج لإزالته ، كما صنف في مختلف الحديث وبيان الجمع بين الأحاديث المتعارضة ، وقد تكلم في ذلك ابن عباس وحكي عنه التوقف في بعضها.

قال عبد الرزاق في تفسيره : أنبأنا معمر ، عن رجل عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال : رأيت أشياء تختلف علي من القرآن ، فقال ابن عباس : ما هو ؟ أشك ؟ قال : ليس بشك ولكنه اختلاف ، قال : هات ما اختلف عليك من ذلك . قال : أسمع الله يقول : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام : ٢٣) ، وقال : ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ (النساء : ٤٢)، فقد كتموا وأسمعه يقول :

﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ (المؤمنون : ١٠١)، ثم قال : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ (الطور : ٢٥)، وقال : ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ (فصلت : ٩ – ١١)، حتى بلغ ﴿ طَآئِعِينَ﴾ (فصلت : ١١) ، ثم قال في الآية الأخرى : ﴿ أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا﴾ (النازعات : ٢٧) ، ثم قال :﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾(النازعات : ٣٠) ، وأسمعه يقول : وكان الله ، ما شأنه يقول : وكان الله ؟

فقال ابن عباس : أما قوله ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا : ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام : ٢٣) ، فإنهم لما رأوا يوم القيامة ، وأن الله يغفر لأهل الإسلام ويغفر الذنوب ولا يغفر شركا ، ولا يتعاظمه ذنب أن يغفره ، جحده المشركون رجاء أن يغفر لهم ، فقالوا : والله ربنا ما كنا مشركين فختم الله على أفواههم فتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ، فعند ذلك يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا.

وأما قوله : ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ (المؤمنون : ١٠١) ، فإنه إذا نفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون.

وأما قوله : ﴿ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ (فصلت : ٩)، فإن الأرض خلقت قبل السماء وكانت السماء دخانا فسواهن سبع سماوات في يومين بعد خلق الأرض.

وأما قوله : ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحٰهَا ﴾ (النازعات : ٣٠) ، يقول : جعل فيها جبلا وجعل فيها نهرا ، وجعل فيها شجرا ، وجعل فيها بحورا.

وأما قوله : وكان الله فإن الله كان ولم يزل كذلك ، وهو كذلك عزيز حكيم عليم قدير ، لم يزل كذلك.

قال ابن حجر في شرحه : حاصل فيه السؤال عن أربعة مواضع :

١. نفي المسألة يوم القيامة وإثباتها.
٢. كتمان المشركين حالهم وإفشاؤه.

٣. خلق الأرض أو السماء أيهما تقدم.

٤. الإتيان بحرف (كان) الدالة على المضي مع أن الصفة لازمة.

وحاصل جواب ابن عباس عن الأول : أن نفي المساءلة فيما قبل النفخة الثانية وإثباتها فيما بعد ذلك. وعن الثاني : أنهم يكتمون بألسنتهم فتنطق أيديهم وجوارحهم.

وعن الثالث : أنه بدأ خلق الأرض في يومين غير مدحوة ، ثم خلق السماوات فسواهن في يومين ثم دحا الأرض بعد ذلك ، وجعل فيها الرواسي وغيرها في يومين ، فتلك أربعة أيام للأرض.

وعن الرابع : بأن (كان) وإن كانت للماضي لكنها لا تستلزم الانقطاع بل المراد أنه لم يزل كذلك.

في أسباب الاختلاف :

قال الزركشي في البرهان : للاختلاف أسباب .

أحدها : وقوع المخبر به على أحوال مختلفة وتطويرات شتى كقوله : في خلق آدم : ﴿ مِن تُرَابٍ﴾ (آل عمران : ٥٩)، ومرة : ﴿ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ (الحجر : ٢٦ و ٢٨ و ٣٣)، ومرة : ﴿ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ (الصافات : ١١) ، ومرة :﴿ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ (الرحمن : ١٤) ، فهذه ألفاظ مختلفة ومعانيها في أحوال مختلفة ؛ لأن الصلصال غير الحمأ ، والحمأ غير التراب إلا أن مرجعها كلها إلى جوهر ، وهو التراب ، ومن التراب درجت هذه الأحوال.

الثاني : لاختلاف الموضوع كقوله : ﴿ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ (الصافات : ٢٤) ، وقوله : ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ (الأعراف : ٦)، مع قوله : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ (الرحمن : ٣٩) ، قال الحليمي : فتحمل الآية الأولى على السؤال عن التوحيد وتصديق الرسل ، والثانية على ما يستلزمه الإقرار بالنبوات من شرائع الدين وفروعه.

الثالث : لاختلافهما في جهتي الفعل ، كقوله : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ (الأنفال : ١٧) ، أضيف القتل إليهم والرمي إليه صلى الله عليه وسلم على جهة الكسب والمباشرة ، ونفاه عنهم وعنه باعتبار التأثير.

الرابع : لاختلافهما في الحقيقة والمجاز كقوله : ﴿ وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ (الحج : ٢) ؛ أي : سكارى من الأهوال مجازا لا من الشراب حقيقة.

الخامس : بوجهين واعتبارين كقوله : ﴿ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (ق : ٢٢) ، مع قوله : ﴿ خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ (الشورى : ٤٥) ، قال قطرب : فبصرك أي : علمك ومعرفتك بها قوية ، من قولهم : بصر بكذا ؛ أي : علم ، وليس المراد رؤية العين . قال الفارسي : ويدل على ذلك قوله : ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ (ق : ٢٢).

فائدة : قال الكرماني عند قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء : ٨٢) ، الاختلاف على وجهين : اختلاف تناقض وهو ما يدعو فيه أحد الشيئين إلى خلاف الآخر ، وهذا هو الممتنع على القرآن.

واختلاف تلازم وهو ما يوافق الجانبين ، كاختلاف مقادير السور والآيات ، واختلاف الأحكام من الناسخ والمنسوخ ، والأمر والنهي ، والوعد والوعيد.



الباب الثالث والأربعون

المطلق والمقيد في القرآن

والكلام في المطلق والمقيد مبسوطٌ في كتب الأصول، نكتفي منه هنا بذكر تعريف كلٍّ منهما، ونبيِّنُ خلاف العلماء بإيجاز في حمل المطلَقِ على المقيد، وهي أهم مسألة في هذا الموضوعي.

تعريف المطلق والمقيد

المطلق : الدال على الماهية بلا قيد وهو مع القيد كالعام مع الخاص . قال العلماء : "متى وجد دليل على تقييد المطلق صير إليه وإلا فلا ، بل يبقى المطلق على إطلاقه ، والمقيد على تقييده ؛ لأن الله تعالى خاطبنا بلغة العرب".

وأما المقيد : هو ما دلّ على الحقيقة بقيد, فإنه يُطْلَقُ باعتبارَين :

١- ما كان من الألفاظ الدالة على مدلولٍ معين، كزيد وعمرو، وهذا الرجل، ونحوه.

٢- ما كان من الألفاظ الدالة على وصفٍ، مدلوله المطلق بصفة زائدة عليه، كقولنا: دينار مصري، ودرهم مكي. وهذا النوع من المقيَّد، وإن كان مطلقاً في جنسه من حيث هو دينار مصري، ودرهم مكي، غير أنه مقيَّد بالنسبة إلى مطلق الدينار والدرهم، فهو مطلق من وجهٍ ومقيَّدٌ من وجه.

والضابط أنّ الله إذا حكم في شيء بصفة أو شرط ثم ورد حكم آخر مطلقا (اي ليس له صفة و شرط)، فنظر : إن لم يكن له أصل يرد إليه إلا ذلك الحكم المقيد وجب تقييده به، وإن كان له أصل يرد إليه غيره لم يكن رده إلى أحدهما بأولى من الآخر.

المثال الأول : اشتراط العدالة في الشهود على الرجعة والفراق والوصية في قوله : ﴿ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ (الطلاق : ٢)، وقوله : ﴿ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ (المائدة : ١٠٦).
وقد أطلق الشهادة في البيوع وغيرها في قوله : ﴿ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ (البقرة : ٢٨٢)، ﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ﴾(النساء : ٦) ، والعدالة شرط في الجميع.

والثاني : مثل تقييد الصوم بالتتابع في كفارة القتل والظهار ، وتقييده بالتفريق في صوم حجّ التمتع ، وأطلق كفارة اليمين وقضاء رمضان ، فيبقى على إطلاقه من جوازه مفرقا ومتتابعا ، لا يمكن حمله عليهما لتنافي القيدين ، وهما التفريق والتتابع ولا على أحدهما لعدم المرجح.

حكم حمل المطلق على المقيد

المطلق والمقيد إذا وردا: فإما أن يكون حكم أحدهما مخالفاً لحكم الآخر، أو لا يكون.

والأول: مثل أن يقول الشارع: "آتوا الزكاة، وأعتقوا رقبة مؤمنة". ولا نزاع في أنه لا يحمل المطلق على المقيد ههنا؛ لأنه لا تعلُّق بينهما أصلًا.

وأما الثاني: فلا يخلو إما أن يكون السبب واحداً، أو يكون هناك سببان متماثلان، أو مختلفان.

أ- فإن كان السبب واحدًا: وجب حمل المطلق على المقيد؛ لأن المطلق جزء من المقيَّد، والآتي بالكل آتٍ بالجزء لا محالة، فالآتي بالمقيَّد يكون عاملًا بالدليلين، والآتي بغير ذلك المقيَّد لا يكون عاملاً بالدليلين، بل يكون تاركاً لأحدهما.

والعمل بالدليلين -عند إمكان العمل بهما- أولى من الإتيان بأحدهما، وإهمال الآخر.

ب- واختلفوا في الحكمين المتماثلين، إذا أطلق أحدهما وقُيِّدَ الآخر، وسببهما مختلف؛ مثاله: تقييد الرقبة في كفارة القتل بالإيمان ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ (النساء:٩٢) وإطلاقها في كفارة الظهار ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ (المجادلة:٣).

تنبيهات :

الأول : إذا قلنا : بحمل المطلق على المقيد ، فهل هو من وضع اللغة أو بالقياس ؟ مذهبان :

وجه الأول أنّ العرب من مذهبها استحباب الإطلاق اكتفاء بالمقيد ، وطلبا للإيجاز والاختصار.

الثاني : ما تقدم محله إذا كان الحكمان بمعنى واحد.

وإنما اختلفا في الإطلاق والتقييد . فأما إذا حكم في شيء بأمور ثم في آخر ببعضها ، وسكت فيه عن بعضها فلا يقتضي الإلحاق ؛ كالأمر بغسل الأعضاء الأربعة في الوضوء ، وذكر في التيمم عضوين ، فلا يقال بالحمل ومسح الرأس والرجلين بالتراب فيه أيضا ، وكذلك ذكر العتق والصوم والإطعام في كفارة الظهار ، واقتصر في كفارة القتل على الأولين ، ولم يذكر الإطعام . فلا يقال بالحمل وإبدال الصيام بالطعام



الباب الرابع والأربعون

المنطوق والمفهوم

تعريف المنطوق و المفهوم

المنطوق ما دل عليه اللفظ في محل النطق أي أن دلالته تكون من مادة الحروف التي ينطق بها.

والمنطوق يشمل النصَّ، والظاهر والمؤوَّل.[٨٣]

فالنصّ : هو ما يفيد بنفسه معنى صريحا لا يحتمل غيره ، كقوله تعالى : فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ، فإن وصف عشرة ب " كاملة " قطع احتمال العشرة لما دونها مجازا ، وهذا هو الغرض من النص – وقد نقل عن قوم أنهم قالوا بندرة النص جدا في الكتاب والسنة ، وبالغ إمام الحرمين في الرد عليهم فقال : " لأن الغرض من النص الاستقلال بإفادة المعنى على القطع مع انحسام جهات التأويل والاحتمال ، وهذا وإن عز حصوله بوضع الصيغ ردا إلى اللغة ، فما أكثره مع القرائن الحالية والمقالية".

والظاهر : هو ما يسبق إلى الفهم منه عند الإطلاق معنى مع احتمال غيره احتمالا مرجوحا ، فهو يشترك مع النص في أن دلالته في محل النطق ، ويختلف عنه في أن النص يفيد معنى لا يحتمل غيره ، والظاهر يفيد معنى عند الإطلاق مع احتمال غيره احتمالا مرجوحا كقوله تعالى : فمن اضطر غير با غ ولا عاد ، فإن الباغي يطلق على الجاهل . ويطلق على الظالم ، ولكن إطلاقه على الظالم أظهر وأغلب فهو إطلاق راجح ، والأول مرجوح ، وكقوله : ولا تقربوهن حتى

---

[٨٣] مناع القطان في المباحث (٢٥٠).

يطهرن ، فانقطاع الحيض يقال فيه طهر ، والوضوء والغسل يقال فيهما طهر ، ودلالة الطهر على الثاني أظهر ، فهي دلالة راجحة ، والأولى مرجوحة.

والمؤول : هو ما حمل لفظه على المعنى المرجوح لدليل يمنع من إرادة المعنى الراجح ، فهو يخالف الظاهر في أن الظاهر يحمل على المعنى الراجح حيث لا دليل يصرفه إلى المعنى المرجوح ، أما المؤول فإنه يحمل على المعنى المرجوح لوجود الدليل الصارف عن إرادة المعنى الراجح . وإن كان كل منهما يدل عليه اللفظ في محل النطق ، كقوله تعالى : واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، فإنه محمول على الخضوع والتواضع وحسن معاملة الوالدين . لاستحالة أن يكون للإنسان أجنحة".

وأماالمفهوم ما دلّ عليه اللفظ لا في محل النطق . وهو قسمان : مفهوم موافقة ، ومفهوم مخالفة.

فالموافقة : ما يوافق حكمه المنطوق ، فإن كان أولى سمي فحوى الخطاب كدلالة ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ (الإسراء : ٢٣)على تحريم الضرب لأنه أشد ، وإن كان مساويا سمي لحن الخطاب ؛ أي معناه كدلالة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا ﴾(النساء : ١٠) على تحريم الإحراق ؛ لأنه مساو للأكل في الإتلاف.

والمخالفة : ما يخالف حكمه المنطوق ، وهو أنواع :

١–مفهوم صفة ؛ نعتا كان أو حالا أو ظرفا أو عددا ، نحو : ﴿ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾(الحجرات : ٦) مفهومه أن غير الفاسق لا يجب التبين في خبره ، فيجب قبول خبر الواحد العدل . ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِ﴾ (البقرة : ١٨٧) . ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞ﴾ (البقرة : ١٩٧) ؛ أي : فلا يصح الإحرام به في غيرها . ﴿ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِ﴾(البقرة

: ١٩٨)؛ أي : فالذكر عند غيره ليس محصلا للمطلوب . ﴿ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ (النور : ٤)؛ أي : لا أقل ولا أكثر.

٢- مفهوم شرط ، نحو : ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ ﴾ (الطلاق : ٦)؛ أي : فغير أولات الحمل لا يجب الإنفاق عليهن.

٣- مفهوم غاية ، نحو : ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ (البقرة : ٢٣٠) ؛ أي : فإذا نكحته تحل للأول بشرطه.

٤- مفهوم حصر ، نحو : ﴿لاَ إِلهَ إِلَّا اللهُ﴾ (الصافات : ٣٥) ، ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (طه : ٩٨) ؛ أي : فغيره ليس بإله ، ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ ﴾(الشورى : ٩)؛ أي : فغيره ليس بولي ، ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ (آل عمران : ١٥٨) ؛ أي : لا إلى غيره . ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ (الفاتحة : ٥) ؛ أي : لا غيرك.

وقال الشيخ عبد القادر الشيبة الحمد, ذهب أحمد والشافعي ومالك – وأكثر المتكلمين – إلى الاحتجاج بالمفهوم المخالف، بشرط :

١. ألا يكون القيدُ خرج للغالب؛ نحو قوله تعالى: ﴿ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ ﴾ (النساء: ٢٣)؛ فإن الغالب كونُ الرَّبِيبة في حجر الزوج، فهذا قيدٌ لا مفهوم له

٢. ألا يكون القيد لبيان الواقع؛ نحو قوله تعالى: ﴿ لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾ (آل عمران: ١٣٠)؛ فالقيد هنا لبيان الواقع ولا مفهوم له.

٣. ألا يكون القيد خرج للامتنان؛ نحو قوله تعالى: ﴿ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ (النحل: ١٤).

٤. ألا يكون القيد خرج للتوكيد؛ نحو: ((لا يحل لامرأةٍ تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر...)) إلخ.

٥. ألا يكون جوابًا على سؤال مقيَّد به، كما لو سأل سائل: أيُباع السمك الميت؟ فقيل: نعم، يباع السمك الميت.

٦. ألا يكون القيد خرج بسبب الخوف، كأن يقول قريب العهد بالإسلام لخادمه: (أطعِمْ هذا العسلَ الضيوفَ المسلمين)، فلا عبرة بهذا المفهوم؛ لأنه قيد بهذا القيد خوفًا من تهمة النفاق.



الباب الخامس والأربعون
وجوه الخطاب في القرآن

أوجه الخطاب في القرآن أو وجوه الخطاب في القرآن أو وجوه خطابات القرآن في علوم القرآن بمعنى: الأوجه المتنوعة في خطاب القرآن، والقرآن الكريم هو كتاب الله المنزل على رسوله بوحي جلي، وقد أنزله الله بلسان عربي مبين أي: واضح؛ حتى يتمكن المخاطب من فهمه، فهو يخاطب المتهيء للفهم، ووجوه الخطاب في القرآن متعددة من حيث الأساليب المتنوعة وما يراد منها، فقد يكون خطابا للرسول في مثل:﴿يا أيها المدثر﴾، ﴿يا أيها المزمل﴾، ﴿يا أيها الرسول﴾، ﴿يا أيها النبي﴾، وقد يكون عاما مثل: ﴿يا أيها الناس﴾، أو لخصوص المؤمنين مثل: ﴿يا أيها الذين ءامنوا﴾، وقد يكون للتعظيم أو الزجر أو غير ذلك، وقد يكون عاما أريد به الخصوص أو العكس، وهذه الأمثلة للتوضيح لا للحصر.

قال السيوطي في كتاب الإتقان في علوم القرآن: قال ابن الجوزي في كتابه النفيس: الخطاب في القرآن على خمسة عشر وجها، وقال غيره: على أكثر من ثلاثين وجها، ثم ذكر هذه الوجوه وقرنها بالأمثلة. وقال بدر الدين الزركشي: "يأتي على نحو أربعين وجها".[٨٤]

فهذه أنواع وجوه الخطاب في القرآن :

١. خطاب العام والمراد به العموم.

الوجه الأول من وجوه خطاب القرآن: خطاب العام والمراد به العموم مثل قوله تعالى: ﴿اللهُ الَّذِيْ خَلَقَكُمْ﴾ (الروم : ٥٤).

---

[٨٤] البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي (٣٤٩/٢).

٢. خطاب الخاص والمراد به الخصوص.

مثل قوله تعالى: ﴿ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ (آل عمران : ١٠٦)، ﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ﴾ (المائدة : ٦٧).

٣. خطاب العام والمراد به الخصوص.

مثل قوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾ (الحج : ١)، فالخطاب عام لكل الناس، لكن المراد به المتهيئون لفهم الخطاب، فلم يدخل فيه الأطفال والمجانين.

٤. خطاب الخاص والمراد العموم.

مثل قوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ (الطلاق : ١)، افتتح الخطاب بالنبي صلى الله عليه وسلم، والمراد سائر من يملك الطلاق، وقوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ..﴾ الآية (الأحزاب : ٥٠)، قال أبو بكر الصيرفي: كان ابتداء الخطاب له، فلما قال في الموهوبة: ﴿خَالِصَةً لَكَ﴾ (الأحزاب : ٥٠)، علم أن ما قبلها له ولغيره.

٥. خطاب الجنس.

مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾؛ فلفظ النبي جنس يشمل مجموع الأنبياء.

٦. خطاب النوع.

نحو: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيْلَ..﴾، بنوا إسرائيل أولاد يعقوب عليه السلام، وخطاب النوع تدخل فيه جزئياته، ولا تدخل فيه الأنواع الأخرى.

٧. خطاب العين.

نحو قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ﴾ (البقرة : ٦٥)، ونحو: ﴿يَا نُوْحُ اهْبِطْ..﴾ (هود : ٤٨)، ونحو: ﴿يَا إِبْرَاهِيْمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ (الصافات

: ١٠٤, ١٠٥)، ونحو: ﴿يَا مُوْسَى لَا تَخَفْ﴾ (النمل : ١٠)، وقوله تعالى: ﴿يَا عِيْسَى إِنِّي مُتَوَفِّيْكَ﴾ (آل عمران : ٥٥)، ولم يقع في القرآن الخطاب بيا محمد بل ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِي﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُوْلُ﴾؛ تعظيما له وتشريفا وتخصيصا بذلك عما سواه، وتعليما للمؤمنين أن لا ينادوه باسمه.

٨. خطاب المدح.

نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيَّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا﴾ (البقرة : ١٠٤)، ولهذا وقع الخطاب بأهل المدينة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا وَهَاجَرُوْا﴾ (الأنفال : ٧٤).

٩. خطاب الذم.

نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَا تَعْتَذِرُوْا الْيَوْمَ﴾ (التحريم : ٧)، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُوْنَ﴾ (الكافرون : ١)، ولتضمنه الإهانة لم يقع في القرآن في غير هذين الموضعين، وأكثر الخطاب بـ ﴿ يَا أَيَّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا ﴾ على المواجهة، وفي جانب الكفار جيء بلفظ الغيبة إعراضا عنهم كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا﴾ (البقرة : ٦)، ﴿قُلْ لِلَّذِيْنَ كَفَرُوْا﴾ (الانفال : ٣٨).

١٠. خطاب الكرامة.

كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِي ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُوْلُ ﴾، قال بعضهم: ونجد الخطاب بالنبي في محل لا يليق به الرسول، وكذا عكسه ففي الأمر بالتشريع العام: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُوْلُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ (المائدة : ٦٧)، وفي مقام الخاص ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِمُ مَا أَحَلَّ اللّٰهُ لَكَ﴾ (التحريم : ١)، قال: وقد يعبر بالنبي في مقام التشريع العام لكن مع قرينة إرادة العموم كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ..﴾ (الطلاق : ١)، ولم يقل: طلقت.

١١. خطاب الإهانة.

نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيْم﴾ (الحجر : ٣٤)، ﴿اخْسَئُوْا فِيْهَا وَلَا تُكَلِّمُوْنِ﴾ (المؤمنون : ١٠٨).

١٢. خطاب التهكم.

نحو: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ (الدخان : ٤٩).

١٣. خطاب الجمع بلفظ الواحد.

نحو قوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ (الإنفطار: ٦).

١٤. خطاب الواحد بلفظ الجمع.

نحو قوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ (المؤمنون :٥١)، إلى قوله: ﴿ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ ﴾ (المؤمنون : ٥٤)، فهو خطاب له صلى الله عليه وسلم وحده؛ إذ لا نبي معه ولا بعده.

١٥. خطاب الواحد بلفظ الإثنين.

نحو: ﴿أَلْقِيَا فِيْ جَهَنَّمَ﴾ (ق : ٢٤)، والخطاب لمالك خازن النار، وقيل: لخزنة النار والزبانية فيكون من خطاب الجمع بلفظ الاثنين.

١٦. خطاب الإثنين بلفظ واحد.

كقوله: ﴿ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى ﴾ (طه : ٤٩)، أي: ويا هارون، وفيه وجهان: أحدهما أنه أفرده بالنداء لإدلاله عليه بالتربية، والآخر: لأنه صاحب الرسالة والآيات، وهارون تبع له، ذكره ابن عطية، وذكر في الكشاف آخر: وهو أن هارون لما كان أفصح من موسى نكب فرعون عن خطابه حذرا من لسانه.

١٧. خطاب الإثنين بلفظ الجمع.

كقوله: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمَ اسْكُنْ﴾ (يونس : ٨٧).

١٨. خطاب الجمع بلفظ الإثنين.

كما تقدم في: ﴿أَلْقِيَا فِيْ جَهَنَّمَ..﴾ (ق : ٢٤).

١٩. خطاب الجمع بعد الواحد.

كقوله: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ..﴾ الآية (يونس : ٦١)، قال ابن الأنباري: جمع في الفعل الثالث ليدل على أن الأمة داخلون مع النبي صلى الله عليه وسلم، ومثله: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ (الطلاق : ١).

٢٠. خطاب الواحد بعد الجمع.

نحو: ﴿وَأَقِيْمُوْا الصَّلَاةَ﴾ (البقرة : ٤٣)، ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾ (يونس : ٨٧).

٢١. خطاب الإثنين بعد الواحد.

نحو: ﴿ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ ﴾ (يونس : ٧٨).

٢٢. خطاب الواحد بعد الإثنين.

نحو: ﴿ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى ﴾ (طه : ٤٩).

٢٣. خطاب العين والمراد به الغير.

نحو: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ ﴾ (الأحزاب : ١)، الخطاب له والمراد أمته؛ لأنه صلى الله عليه وسلم كان تقيا وحاشاه من طاعة الكفار، ومنه: ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ

يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ..﴾ الآية (يونس : ٩٤)، حاشاه صلى الله عليه وسلم من الشك، وإنما المراد بالخطاب التعريض بالكفار.

٢٤. خطاب الغير والمراد به العين.

نحو قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾ (الأنبياء : ١٠).

٢٥. الخطاب العام الذي لم يقصد به مخاطب معين.

مثل قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ ..﴾ (الْحَجِّ : ١٨)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ ﴾ (الْأَنْعَامِ : ٢٧)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ..﴾ (السَّجْدَةِ : ١٢)، لم يقصد بذلك خطاب معين بل كل أحد، وأخرج في صورة الخطاب لقصد العموم، يريد أن حالهم تناهت في الظهور بحيث لا يختص بها راء دون راء، بل كل من أمكن منه الرؤية داخل في ذلك الخطاب.

٢٦. خطاب الشخص ثم العدول إلى غيره.

مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ..﴾ (هود : ١٤)، خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال للكفار: ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ ﴾ (هود : ١٤)، بدليل: ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (هود : ١٤)، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا ﴾ (الْفَتْحِ : ٨)، إلى قوله: ﴿ لِتُؤْمِنُوا ..﴾ (الْفَتْحِ : ٩)، عند من قرأ بالفوقية.

٢٧. خطاب التلوين وهو الالتفات.

خطاب التلوين وهو الالتفات في الخطاب الذي يكون فيه الانتقال من لون لآخر، مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوْسَى﴾ (طه : ٤٩)، فالخطاب المذكور أولا خطاب للمثنى في قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ رَبُّكُمَا ﴾،

وهو خطاب لموسى وهارون، ثم جرى الالتفات من خطاب المثنى إلى خطاب المفرد في قوله تعالى: ﴿يَا مُوْسَى﴾، وهو التفات من خطاب المثنى إلى المفرد، وقد يكون بغير ذلك من أنواع التلوين في الخطاب.

٢٨. خطاب الجمادات خطاب من يعقل.

مثل قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ..﴾ (فصلت : ١١)، حيث خاطب السموات والأرض بخطاب العقلاء.

٢٩. خطاب التهييج.

مثل قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (المائدة : ٢٣).

٣٠. خطاب التحنن والاستعطاف.

مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا ..﴾ (الزمر : ٥٣)، فهو خطاب من الله لعباده الذين أسرفوا على أنفسهم بالذنوب والمعاصي، حيث كان وجه مخاطبتهم بالتحنن عليهم والاستعطاف رحمة بهم حتى يتوبوا إليه.

٣١. خطاب التحبب.

نحو: ﴿ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ..﴾ (مَرْيَمَ : ٤٢)، في خطاب إبراهيم عليه السلام، ومثل: ﴿ يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ..﴾ (لُقْمَانَ : ١٦)، وهو خطاب لقمان لابنه، ومثل: ﴿ يَاابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي ﴾ (طَه : ٩٤)، وهو حكاية خطاب هارون لموسى عليهما السلام.

٣٢. خطاب التعجيز.

خطاب التعجيز، وهو الذي يكون الخطاب فيه على وجه تعجيز المخاطب، مثل قوله تعالى: ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ..﴾ (البقرة : ٢٣)، وكقوله تعالى:

﴿يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوْا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوْا لَا تَنْفُذُوْنَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ (الرحمن : ٣٣).

٣٣. خطاب التشريف.

خطاب التشريف وهو كل ما في القرآن مخاطبة بـ ﴿قل﴾ فإنه تشريف منه تعالى لهذه الأمة بأن يخاطبها بغير واسطة لتفوز بشرف المخاطبة.

٣٤. خطاب المعدوم تبعا لموجود.

خطاب المعدوم أي: غير الموجود بمعنى: ما كان في حال العدم قبل أن يخرج إلى الوجود، وإنما يصح هذا الخطاب تبعا لموجود، مثل قوله تعالى: ﴿يا بني آدم..﴾، وهو خطاب لمن هو موجود من بني آدم من أهل ذلك الزمان، وخطاب لكل من بعدهم ممن لم يوجد، فالخطاب في هذه الآية للموجود من جهة، وللمعدوم تبعا للموجود من جهة أخرى. وهذا هو الخطاب الرابع والثلاثون حسبما ذكره السيوطي.



الباب السادس والأربعون
معرفة الحقيقة والمجاز في القرآن

تعريف الحقيقة

الحقيقة هي كل لفظ بقي على وضعه الذي وضع له، سواء كان هذا الوضع لغويا أو شرعيا أو عرفيا.

انواع الحقيقة ثلاثة معتبرة لفهم القرآن[٨٥] :

١. إن كان ذلك الوضع لغويًّا فهي الحقيقة اللغوية مثل: لفظ أسد فإنه لفظ مستعمل في لغة العرب اسمًا للحيوان المعروف.
٢. وإن كان الوضع شرعيًّا فهي الحقيقة الشرعية مثل: لفظ الإيمان والكفر والمؤمن والكافر والصلاة والزكاة والصوم، فهذه ألفاظ استعملت في خطاب الشرع الإسلامي للدلالة على معان مخصوصة.
٣. وإن كان الوضع بحسب ما اصطلح عليه الناس من معنى اللفظ؛ فهي الحقيقة العرفية، كإطلاق الناس اليوم لفظ (طيارة) على وسيلة النقل الجوية المعروفة.

تعريف المجاز

المجاز هو الكلمة المستعمَلة في غير ما وُضعت له في اصطلاح التخاطب على وجه يصحُّ مع قرينة عدم إرادتها.

[٨٥] المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله بن يوسف الجديع، الناشر: مركز البحوث الإسلامية ليدز – بريطانيا، الطبعة الأولى، (٤٠٦)

وعرفه عبد القاهر الجرجاني بأنه: ما توسع الناس فيه لفظًا، واصطلحوا عليه واستجازوه، إما ضرورة كتسمية الرجل كلبًا أو أسدًا، وإما اختيارًا للتخفيف والعادة، كقولها: طلع الفجر، وأظلم الليل، ونبت الشجر[86].

وأما المجاز فالجمهور على وقوعه في القرآن، وقد اتَّفق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة، ولو وجب خلو القرآن من المجاز وجب خلوه من الحذف والتوكيد وتثنية القصص وغيره.

الفرق بين الحقيقة والمجاز ودلالتهما :

الفرق بين الحقيقة والمجاز: هو أن الحقيقة أصل، فهي استعمال اللفظ فيما وضع ليدل عليه، والمجاز فرع يعدل إليه عن الحقيقة طلبا للاتساع أو التوكيد أو التشبيه أو نحو ذلك.

دلالة الحقيقة والمجاز :

تستوي دلالة الحقيقة والمجاز في إفادة الأحكام في القرآن الكريم، فيُثبت بالحقيقة المعنى الذي وضع له اللفظ: عاما كان أو خاصا، أمرا أو نهيا، ويُثبت بالمجاز المعنى الذي أُستعير له اللفظ[87].

في أنواع مختلف في عدها من المجاز وهي ستة:

١. الحذف، فالمشهور أنه من المجاز، وأنكره بعضهم لأن المجاز استعمال اللفظ في غير موضوعه ، والحذف ليس كذلك . وقال ابن عطية :حذف المضاف هو عين المجاز ومعظمه ، وليس كل حذف مجازا.

---

[86] دَرْج الدرر في تفسير الآي والسور، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: طلعت الفرحان ومحمد أديب شكور، الناشر: دار الفكر – عَمان، الطبعة الأولى، (٣٩/٢)

[87] عماد علي عبد السميع (معاصر) (٢٠٠٦). التيسير في أصول واتجاهات التفسير. الإسكندرية: دار الإيمان. (٨٦).

وقال القرافي :الحذف أربعة أقسام:

قسم يتوقف عليه صحة اللفظ ومعناه من حيث الإسناد ، نحو: ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ (يوسف : ٨٢)؛ أي : أهلها ؛ إذ لا يصح إسناد السؤال إليها.

وقسم يصح بدونه لكن يتوقف عليه شرعا كقوله : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (البقرة : ١٨٤) ؛ أي : فأفطر فعدة.

وقسم يتوقف عليه عادة لا شرعا ، نحو: ﴿ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ﴾ (الشعراء : ٦٣) ؛ أي : فضربه.

وقسم يدل عليه دليل غير شرعي ولا هو عادة ، نحو: ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ (طه : ٩٦)، دل الدليل على أنه إنما قبض من أثر حافر فرس الرسول ، وليس في هذه الأقسام مجاز إلا الأول.

٢. التأكيد ، زعم قوم أنه مجاز لأنه لا يفيد إلا ما أفاده الأول ، والصحيح أنه حقيقة. نحو : (عجل عجل).

٣. التشبيه ، زعم قوم أنه مجاز والصحيح أنه حقيقة.

قال الزنجاني في المعيار : لأنه معنى من المعاني ، وله ألفاظ تدل عليه وضعا فليس فيه نقل اللفظ عن موضوعه. وقال الشيخ عز الدين :إن كان بحرف فهو حقيقة أو بحذفه فمجاز بناء على أن الحذف من باب المجاز . نحو : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ (النور : ٣٩)

٤. الكناية ، وفيها أربعة مذاهب.

أحدها : أنها حقيقة ، قال ابن عبد السلام :وهو الظاهر لأنها استعملت فيما وضعت له ، وأريد بها الدلالة على غيره. مثال :﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُف﴾ (الإسراء : ٢٣)

الثاني : أنها مجاز. نحو : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ (الاعراف : ١٨٩) كناية عن آدم عليه السلام.

الثالث : أنها لا حقيقة ولا مجاز ، وإليه ذهب صاحب التلخيص لمنعه في المجاز أن يراد المعنى الحقيقي مع المجازي وتجويزه ذلك فيها.

الرابع : وهو اختيار الشيخ تقي الدين السبكي أنها تنقسم إلى حقيقة ومجاز ، فإن استعملت اللفظ في معناه مرادا منه لازم المعنى أيضا فهو حقيقة ، وإن لم يرد المعنى بل عبر بالملزوم عن اللازم فهو مجاز لاستعماله في غير ما وضع له.

والحاصل أن الحقيقة منها أن يستعمل اللفظ فيما وضع له ليفيد غير ما وضع له ، والمجاز منها : أن يريد به غير موضوعه استعمالا وإفادة.

٥. التقديم والتأخير ، عده قوم من المجاز; لأن تقديم ما رتبته التأخير كالمفعول وتأخير ما رتبته التقديم كالفاعل نقل لكل واحد منهما عن مرتبته وحقه.

٦. الالتفات : قال الشيخ بهاء الدين السبكي :لم أر من ذكر هل هو حقيقة أو مجاز ؟ قال : وهو حقيقة حيث لم يكن معه تجريد. ومن امثلة الالتفات من الخطاب الى الغيبة قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (يونس : ٢٢) , حيث

خطبهم الله بقوله : "كنتم" وتغير الأسلوب الى الغيب : "وجرين بهم" ولكل موضع سره والأسراره التي هي حرية بالدراسة والتعمّل.



الباب السابع والأربعون

التشبيه والاستعارة

تعريف التشبيه

عرفه جماعة, منهم :

السكاكي بأنه الدلالة على مشاركة أوامر لأمر في معنى. وقال ابن أبي الإصبع : هو إخراج الأغمض إلى الأظهر. وقال غيره : هو إلحاق شيء بذي وصف في وصفه. وقال بعضهم : هو أن تثبت للمشبه حكما من أحكام المشبه به والغرض منه تأنيس النفس بإخراجها من خفي إلى جلي وإدنائه البعيد من القريب ليفيد بيانا. وقيل : الكشف عن المعنى المقصود مع الاختصار.

وأدواته حروف وأسماء وأفعال :

١. فالحروف : الكاف ، نحو : ﴿كَرَمَادٍ ﴾ (إبراهيم : ١٨)، وكأن ، نحو :﴿ كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ (الصافات : ٦٥).

٢. الأسماء مثل وشبه ونحوهما مما يشتق من المماثلة والمشابهة. قال الطيبي :ولا تستعمل مثل إلا في حال أو صفة لها شأن وفيها غرابة ، نحو : ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ (آل عمران : ١٧٧).

٣. والأفعال ، نحو: ﴿ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً ﴾ (النور : ٣٩) ،﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾ (طه : ٦٦).

ذُكر اقسامه :

١. باعتبار طرفيه, إلى أربعة أقسام :

الأول حسيان نحو :﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ (يس : ٣٩).

الثاني عقليان نحو : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ (البقرة : ٧٤).

الثالث المشبه به حسي نحو : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ ﴾ (إبراهيم : ١٨).

الرابع المشبه عقلي نحو : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ (البقرة : ١٨٧)

٢. ينقسم باعتبار وجهه إلى مفرد ومركب ، والمركب أن ينتزع وجه الشبه من أمور مجموع بعضها إلى بعض كقوله: ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ (الجمعة : ٥) ، فالتشبيه مركب من أحوال الحمار وهو حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب في استصحابه.

٣. ينقسم باعتبار آخر إلى أقسام.

أحدها : تشبيه ما تقع عليه الحاسة بما لا تقع اعتمادا على معرفة النقيض والضد ، فإن إدراكهما أبلغ من إدراك الحاسة كقوله : ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ (الصافات : ٦٥) ، شبه بما لا يشك أنه منكر قبيح لما حصل في نفوس الناس من بشاعة صورة الشياطين ، وإن لم ترها عيانا.

الثاني : عكسه ، وهو تشبيه ما لا تقع عليه الحاسة بما تقع عليه كقوله :﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ﴾ (النور : ٣٩) ، أخرج ما لا يحس وهو الإيمان إلى ما يحس وهو السراب ، والمعنى الجامع بطلان التوهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة.

الثالث : إخراج ما لم تجر العادة به إلى ما جرت ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ (الأعراف : ١٧١)، والجامع بينهما الارتفاع في الصورة.

الرابع : إخراج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بها كقوله: ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ (الحديد : ٢١) ، والجامع العظم ، وفائدته التشويق إلى الجنة بحسن الصفة وإفراط السعة.

الخامس : إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة فيها كقوله تعالى :﴿ وَلَهُ الْجَوَارِي الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ (الرحمن : ٢٤)، والجامع فيهما العظم ، والفائدة إبانة القدرة على تسخير الأجسام العظام في ألطف ما يكون من الماء وما في ذلك من انتفاع الخلق بحمل الأثقال وقطعها الأقطار البعيدة في المسافة القريبة ، وما يلازم ذلك من تسخير الرياح للإنسان ، فتضمن الكلام بناء عظيما من الفخر وتعداد النعم على هذه الأوجه الخمسة تجري تشبيهات القرآن.

٤. ينقسم باعتبار آخر إلى : مؤكد : وهو ما حذفت فيه الأداة ، نحو: ﴿ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ (النمل : ٨٨) ؛ أي : مثل مر السحاب وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ (الأحزاب : ٦) ، ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ (آل عمران : ١٣٣) ، ومرسل : وهو ما لم تحذف كالآيات السابقة ، والمحذوفة الأداة أبلغ لأنه نزل فيه الثاني منزلة الأول تجوزا.

واركان التشبيه [٨٨]:

١. المشبه هو الشيئ المراد وصفه لتركيز على شيئ معين به.

---

[٨٨] عبد العزيز عتيق في كتاب علم البيان (٦٤).

٢. المشبه به هو الأمر الذي يلحق به المشبه, أي يشترك مع المشبه في الصفة.
٣. وجه الشبه هو الصفة التي تُجمع بين المشبه و المشبه به. وامثلة ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ **كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ** ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة : ٢٦١).
وهنا شبه الله عز وجل أجر من تصدق بأمواله في سبيل الله بالسنبلة التي تنبت حبات عديدة، ووجه الشبه هنا هو المضاعفة.
٤. أداة التشبيه التي تستخدم للربط بين الطرفين أي المشبه والمشبه به، ومنها ما هو حرف وما هو اسم وما هو فعل.

تعريف الإستعاراة

الاستعارة لغةً هي رفعُ الشيء وتحويله من مكان إلى آخر، كأن يُقال: استعرتُ من فلان شيئاً، أي حوَّلتُه من يده إلى يدي.
أمّا اصطلاحاً استعمال كلمة أو معنى لغير ما وُضِعت به أو جاءت له لوجود شبه بين الكلمتين.[٨٩]

أركان الاستعارة ثلاثة :

١. مستعار ، وهو لفظ المشبه به.
٢. ومستعار منه ، وهو معنى لفظ المشبه.
٣. ومستعار له ، وهو المعنى الجامع.

وأقسامها كثيرة باعتبارات:

١. استعارة محسوس لمحسوس بوجه محسوس ، نحو : ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ (مريم : ٤) ، فالمستعار منه هو النار ، والمستعار له الشيب ،

---

[٨٩] عبد العزيز عتيق في كتاب علم البيان (١١).

والوجه هو الانبساط ومشابهة ضوء النار لبياض الشيب ، وكل ذلك محسوس ، وهو أبلغ مما لو قيل : اشتعل شيب الرأس . لإفادة عموم الشيب لجميع الرأس.

٢. استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي.

قال ابن أبي الإصبع :وهي ألطف من الأولى ، نحو : ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ (يس : ٣٧) ، فالمستعار منه السلخ الذي هو كشط الجلد عن الشاة ، والمستعار له كشف الضوء عن مكان الليل وهما حسيان ، والجامع ما يعقل من ترتب أمر على آخر وحصوله عقب حصوله ، كترتب ظهور اللحم على الكشط وظهور الظلمة على كشف الضوء عن مكان الليل ، والترتب أمر عقلي . ومثله: ﴿ فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا ﴾ (يونس : ٢٤) ، أصل الحصيد النبات ، والجامع الهلاك ، وهو أمر عقلي.

٣. استعارة معقول لمعقول بوجه عقلي.

وقال ابن أبي الإصبع :وهي ألطف الاستعارات ، نحو : ﴿ مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ﴾ (يس : ٥٢) ، المستعار منه الرقاد ؛ أي : النوم ، والمستعار له الموت ، والجامع عدم ظهور الفعل ، والكل عقلي . ومثله ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ ﴾ (الأعراف : ١٥٤) ، المستعار السكوت والمستعار منه الساكت والمستعار له الغضب.

٤. استعارة محسوس بوجه عقلي أيضا ، نحو: ﴿ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ ﴾ (البقرة : ٢١٤) ، استعير المس وهو حقيقة في الأجسام وهو محسوس لمقاساة الشدة والجامع اللحوق وهما عقليان ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾ (الأنبياء : ١٨) ، فالقذف والدمغ مستعاران وهما

محسوسان والحق والباطل مستعار لهما وهما معقولان ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ ﴾ (آل عمران : ١١٢)، استعير الحبل المحسوس للعهد وهو معقول.

٥. استعارة معقول لمحسوس والجامع عقلي أيضا ، نحو : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ ﴾ (الحاقة : ١١)، المستعار منه التكثير وهو عقلي ، والمستعار له كثرة الماء وهو حسي ، والجامع الاستعلاء وهو عقلي أيضا ، ومثله: ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ (الملك : ٨) ، ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ (الإسراء : ١٢).

❁❁❁

الباب الثامن والأربعون

في كنايات القرآن وتعريضه

تعريف كناية

وهي لفظ أريد به لازم معناه, وقال الطيبي :ترك التصريح بالشيء إلى ما يساويه في اللزوم ، فينتقل منه إلى الملزوم.

وللكناية أساليب :

١. التنبيه على عظم القدرة ، نحو : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ (الأعراف : ١٨٩) ، كناية عن آدم.

٢. ترك اللفظ إلى ما هو أجمل ، نحو : إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة ، فكنى بالنعجة عن المرأة كعادة العرب في ذلك ؛ لأن ترك التصريح بذكر النساء أجمل منه ؛ لهذا لم تذكر في القرآن امرأة باسمها إلا مريم .

٣. أن يكون التصريح مما يستقبح ذكره ككناية الله عن الجماع بالملامسة والمباشرة والإفضاء والرفث والدخول ، والسر في قوله :﴿ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾(البقرة : ٢٣٥).

٤. قصد البلاغة والمبالغة ، نحو: ﴿ أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ (الزخرف : ١٨) ، كنى عن النساء بأنهن ينشأن في الترفه والتزين الشاغل عن النظر في الأمور ودقيق المعاني ، ولو أتى بلفظ النساء لم يشعر بذلك ، والمراد نفي ذلك عن الملائكة وقوله :﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ (المائدة : ٦٤) ، كناية عن سعة جوده وكرمه جدا.

٥. قصد الاختصار كالكناية عن ألفاظ متعددة بلفظ فعل ، نحو : ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (المائدة : ٧٩) ، ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ (البقرة : ٢٤) ؛ أي : فإن لم تأتوا بسورة من مثله.

٦. التنبيه على مصيره ، نحو : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ (المسد : ١) ؛ أي : جهنمي مصيره إلى اللهب حمالة الحطب في جيدها حبل أي : نمامة مصيرها إلى أن تكون حطبا لجهنم في جيدها غل.

الفرق كناياته وتعريض عبارات متقاربة :

قال الزمخشري :الكناية ذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له ، والتعريض أن تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره.

وقال ابن الأثير :الكناية ما دل على معنى يجوز حمله على الحقيقة والمجاز ، بوصف جامع بينهما . والتعريض : اللفظ الدال على معنى ، لا من جهة الوضع الحقيقي أو المجازي كقول من يتوقع صلة : والله إني محتاج ، فإنه تعريض بالطلب مع أنه لم يوضع له حقيقة ولا مجازا ، وإنما فهم من عرض اللفظ ؛ أي : جانبه.

وقال السبكي في كتاب "الإغريض" : الكناية لفظ استعمل في معناه مرادا منه لازم المعنى ، فهي بحسب استعمال اللفظ في المعنى حقيقة ، والتجوز في إرادة إفادة ما لم يوضع له . ومن أمثلته: ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴾ (التوبة : ٨١) ، فإنه لم يقصد إفادة ذلك لأنه معلوم ، بل إفادة لازمه ، وهو أنهم يردونها ويجدون حرها إن لم يجاهدوا. وأما التعريض فهو لفظ استعمل في معناه للتلويح بغيره ، نحو : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾

(الأنبياء : ٩٣) ، نسب الفعل إلى كبير الأصنام المتخذة آلهة ، كأنه غضب أن تعبد الصغار معه تلويحا لعابدها بأنها لا تصلح أن تكون آلهة لما يعلمون إذا نظروا بعقولهم من عجز كبيرها عن ذلك الفعل ، والإله لا يكون عاجزا ، فهو حقيقة أبدا.

وقال السكاكي :التعريض ما سيق لأجل موصوف غير مذكور.

ومنه أن يخاطب واحد ويراد غيره ، وسمي به لأنه أميل الكلام إلى جانب مشارا به إلى آخر يقال : نظر إليه بعرض وجهه ؛ أي : جانبه.

قال الطيبي :وذلك يفعل إما لتنويه جانب الموصوف ، ومنه: ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ (البقرة : ٢٥٣) ؛ أي : محمدا صلى الله عليه وسلم إعلاء لقدره ؛ أي : أنه العلم الذي لا يشتبه.

وإما لتلطف به واحتراز عن المخاشنة ، نحو: ﴿ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ (يس : ٢٢) ؛ أي : ومالكم لا تعبدون بدليل قوله: ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (يس : ٢٢) ، وكذا قوله: ﴿ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ﴾ (يس : ٢٣) ، ووجه حسنه إسماع من يقصد خطابه الحق على وجه يمنع غضبه إذ لم يصرح بنسبيته لباطل والإعانة على قبوله إذ لم يرد له إلا ما أراده لنفسه.

وإما لاستدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم ، ومنه : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ (الزمر : ٦٥) ، خوطب النبي صلى الله عليه وسلم وأريد غيره لاستحالة الشرك عليه شرعا.

وإما للذم ، نحو: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (الرعد : ١٩) ، فإنه تعريض لذم الكفار ، وإنهم في حكم البهائم الذين لا يتذكرون.

وإما للإهانة والتوبيخ ، نحو: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ (

التكوير : ٨ ، ٩) ، فإن سؤالها لإهانة قاتلها وتوبيخه.
وقال السبكي :التعريض قسمان :قسم يراد به معناه الحقيقي ، ويشار به إلى المعنى الآخر المقصود كما تقدم.
وقسم لا يراد ، بل يضرب مثلا للمعنى الذي هو مقصود التعريض كقول إبراهيم: ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ (الأنبياء : ٦٣).



الباب التاسع والأربعون
في الحصر والاختصاص

أما الحصر ، ويقال له : القصر ، فهو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص ويقال أيضا : إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه.
وينقسم إلى : قصر الموصوف على الصفة ، وقصر الصفة على الموصوف.
وكل منهما إما حقيقي وإما مجازي.
ينقسم الحصر باعتبار آخر إلى ثلاثة أقسام:

١. قصر إفراد : يخاطب به من يعتقد الشركة ، نحو: ﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ (النحل : ٥١) ، خوطب به من يعتقد اشتراك الله والأصنام في الألوهية .
٢. قصر قلب : يخاطب به من يعتقد إثبات الحكم لغير من أثبته المتكلم له ، نحو: ﴿ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ (البقرة : ٢٥٨) خوطب به نمروذ الذي اعتقد أنه هو المحيي المميت دون الله . ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ ﴾ (البقرة : ١٣) ، خوطب به من اعتقد من المنافقين أن المؤمنين سفهاء دونهم . ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ﴾ (النساء : ٧٩) ، خوطب به من يعتقد من اليهود اختصاص بعثته بالعرب.
٣. قصر تعيين : يخاطب به من تساوى عنده الأمران ، فلم يحكم بإثبات الصفة لواحد بعينه ولا لواحد بإحدى الصفتين بعينها.

طرق الحصر كثيرة , ومنها :

١. النفي والاستثناء سواء كان النفي بلا أو ما أو غيرهما . والاستثناء بإلا أو غير ، نحو: ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (الصافات : ٣٥) ، ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (آل عمران : ٦٢).

٢. (إنما) الجمهور على أنها للحصر فقيل بالمنطوق ، وقيل : بالمفهوم. وأنكر قوم إفادتها ، منهم أبو حيان ، واستدل مثبتوه بأمور. منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ ﴾ (البقرة : ١٧٣) ، بالنصب فإن معناه : ما حرم عليكم إلا الميتة ؛ لأنه المطابق في المعنى لقراءة الرفع ، فإنها للقصر.

٣. (أنما) بالفتح عدها من طرق الحصر الزمخشري والبيضاوي فقالا في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ (الأنبياء : ١٠٨) إنما لقصر الحكم على شيء ، أو لقصر الشيء على حكم ، نحو : إنما زيد قائم ، وإنما يقوم زيد ، وقد اجتمع الأمران في هذه الآية ؛ لأن : إنما يوحى إلي مع فاعله بمنزلة إنما يقوم زيد ، و أنما إلهكم بمنزلة إنما زيد قائم . وفائدة اجتماعهما الدلالة على أن الوحي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مقصور على استئثار الله بالوحدانية.

٤. العطف بِلا نحو : العرض متحركة لا ثبيتة, أو بل : ما الفخر بالمال بل بالعلم.

٥. تقديم المعمول ، نحو: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيْنُ ﴾(الفاتحة : ٥) ، وخالف فيه قوم وسيأتي بسط الكلام فيه قريبا.

٦. ضمير الفصل ، نحو: ﴿ فَاللهُ هُوَ الْوَلِيُّ ﴾ (الشورى : ٩) أي : لا غيره.

٧. تقديم المسند إليه مبتدأ او فاعل نحو : ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُوْنَ﴾ (النمل : ٣٦).

فالحصر على تقدير تسليمه على ثلاثة أقسام:

١. ب (ما) و (إلا) , نحو : ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (لقمان :٢٨).

٢. الحصر ب (إنما) وهو قريب من الأول فيما نحن فيه ، وإن كان جانب الإثبات فيه أظهر , نحو :﴿ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (الْأَحْقَافِ : ٢٣).

٣. الحصر الذي قد يفيده التقديم وليس هو على تقدير تسليمه ، مثل الحصرين الأولين ، بل هو في قوة جملتين : إحداهما ما صدر به الحكم نفيا كان أو إثباتا ، وهو المنطوق ، والأخرى ما فهم من التقديم ، والحصر يقتضي نفي المنطوق فقط دون ما دل عليه من المفهوم ؛ لأن المفهوم لا مفهوم له ، فإذا قلت : أنا لا أكرم إلا إياك أفاد التعريض بأن غيرك يكرم غيره ، ولا يلزم أنك لا تكرمه ، وقد قال تعالى: ﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ (النور : ٣) ، أفاد أن العفيف قد ينكح غير الزانية ، وهو ساكت عن نكاحه الزانية.

❁❁❁

الباب الخمسون

في الإيجاز والإطناب

تعريف الإيجاز والإطناب

اختلفت أقوال العلماء في تعريف الإيجاز والإطناب. فقال بعضهم :

١. الإيجاز هو أداء المقصود بأقلّ من العبارة المتعارف عليها. والإطناب هو أداؤه بأكثر منها لكون المقام خليقا بالبسط.

٢. الإيجاز التعبير عن المراد بلفظ غير زائد والإطناب بلفظ أزيد لفائدة.

الإيجاز قسمان :

١. **إيجاز قصر** هو الوجيز بلفظه, كقوله: ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ ﴾ إلى قوله :﴿ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (النمل : ٣٠ ، ٣١). قال الطيبي في " التبيان " : الإيجاز الخالي من الحذف ثلاثة أقسام:

أحدها إيجاز القصر وهو أن يقصر اللفظ على معناه.

الثاني إيجاز التقدير وهو أن يقدر معنى زائدا على المنطوق ، ويسمى بالتضييق أيضا ، وبه سماه بدر الدين بن مالك في المصباح ؛ لأنه نقص من الكلام ما صار لفظه أضيق من قدر معناه ، نحو: ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ ﴾ (البقرة : ٢٧٥) ؛ أي : خطاياه غفرت فهي له لا عليه.

الثالث الإيجاز الجامع وهو أن يحتوي اللفظ على معان متعددة ، نحو: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ (النحل : ٩٠) الآية ، فإن العدل هو الصراط المستقيم المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط ، المومى به إلى جميع الواجبات في الاعتقاد والأخلاق والعبودية. والإحسان :هو الإخلاص

في واجبات العبودية لتفسيره في الحديث بقوله : أن تعبد الله كأنك تراه ؛ أي : تعبده مخلصا في نيتك ، وواقفا في الخضوع ، آخذا أهبة الحذر إلى ما لا يحصى . وإيتاء ذي القربى هو الزيادة على الواجب من النوافل . هذا في الأوامر ، وأما النواهي : فب (الفحشاء) الإشارة إلى القوة الشهوانية ، وب (المنكر) إلى الإفراط الحاصل من آثار الغضبية ، أو كل محرم شرعا ، وب (البغي) إلى الاستعلاء الفائض عن الوهمية.

٢. القسم الثاني من قسمي الإيجاز : إيجاز الحذف ، وفيه فوائد :

منها مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث لظهوره .

ومنها التنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف ، وأن الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت المهم ، وهذه هي فائدة باب التحذير والإغراء ، وقد اجتمعتا في قوله تعالى: ﴿ نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا ﴾ (الشمس : ١٣)، ف (ناقة الله) تحذير بتقدير : (ذروا) ، و (سقياها) إغراء بتقدير: (الزموا)

ومنها التفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام . قال حازم في منهاج البلغاء : إنما يحسن الحذف لقوة الدلالة عليه ، أو يقصد به تعديد أشياء ، فيكون في تعدادها طول وسآمة ، فيحذف ، ويكتفى بدلالة الحال ، وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفى بالحال عن ذكرها. قال : ولهذا القصد يؤثر في المواضع التي يراد بها التعجب والتهويل على النفوس ، ومنه قوله في وصف أهل الجنة : حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا (الزمر : ٧٣) ، فحذف الجواب ؛ إذ كان وصف ما يجدونه ويلقونه عند ذلك لا يتناهى ، فجعل الحذف دليلا على صدق الكلام عن وصف ما يشاهدونه ، وتركت النفوس تقدر ما شاءته ، ولا تبلغ مع ذلك كنه ما هنالك.

ومنها التخفيف لكثرة دورانه في الكلام كما في حذف حرف النداء ، نحو :﴿ يُوْسُفُ أَعْرِضْ ﴾ (يوسف : ٣٩).

ومنها كونه لا يصلح إلا له ، نحو: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ (الأنعام : ٧٣) ، فعال لما يريد .ومنها : شهرته حتى يكون ذكره وعدمه سواء. قال الزمخشري :هو نوع من دلالة الحال التي لسانها أنطق من لسان المقال ، وحمل عليه قراءة حمزة :﴿ تَسَاءَلُوْنَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ ﴾ (النساء : ١) ؛ لأن هذا مكان شهر بتكرر الجار ، فقامت الشهرة مقام الذكر.

ومنها صيانته عن ذكره تشريفا كقوله تعالى : قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ الآيات، حذف فيها المبتدأ في ثلاثة مواضع : قبل ذكر الرب ؛ أي : (هو رب) ، (الله ربكم) ، (الله رب المشرق) ; لأن موسى استعظم حال فرعون وإقدامه على السؤال ، فأضمر اسم الله تعظيما وتفخيما ، ومثله في عروس الأفراح بقوله تعالى: ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ (الأعراف : ١٤٣) ؛ أي : ذاتك.

ومنها صيانة اللسان عنه تحقيرا له ، نحو : صُمٌّ بُكْمٌ (البقرة : ١٨) ؛ أي : هم أو المنافقون.

ومنها قصد العموم ، نحو: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيْنُ ﴾ (الفاتحة : ٥) ؛ أي : على العبادة وعلى أمورنا كلها . وَاللهُ يَدْعُوْ إِلَى دَارِ السَّلَامِ (يونس : ٢٥) ؛ أي : كل واحد.

ومنها رعاية الفاصلة ، نحو: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ (الضحى : ٣) ؛ أي : وما قلاك.

ومنها قصد البيان بعد الإبهام كما في فعل المشيئة ، نحو: ﴿ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ ﴾ (النحل : ٩) ؛ أي : فلو شاء هدايتكم فإنه إذا سمع السامع ولو شاء تعلقت نفسه بمشاء انبهم عليه لا يدري ما هو ، فلما ذكر الجواب استبان بعد ذلك . وأكثر ما يقع ذلك بعد أداة شرط ؛ لأن مفعول المشيئة مذكور في جوابها.

أنواع الحذف :

١. ما يسمى بالاقتطاع وهو حذف بعض حروف الكلمة كقوله : لَكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي (الكهف : ٣٨), حذفت همزة (أنا).

٢. ما يسمى بالاكتفاء ؛ وهو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط ، فيكتفى بأحدهما عن الآخر لنكتة. ويختص غالبا بالارتباط العطفي كقوله: ﴿ سَرَابِيْلَ تَقِيْكُمُ الْحَرَّ ﴾ (النحل : ٨١) ؛ أي : والبرد ، وخصص الحر بالذكر لأن الخطاب للعرب ، وبلادهم حارة ، والوقاية عندهم من الحر أهم ؛ لأنه أشد عندهم من البرد. وقيل : لأن البرد تقدم ذكر الامتنان بوقايته صريحا في قوله: ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا ﴾ (النحل : ٨٠) ، وفي قوله: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ (النحل : ٨١)، وفي قوله تعالى : ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيْهَا دِفْءٌ﴾ (النحل : ٥).

٣. ما يسمى بالاحتباك وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ، ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول ؛ كقوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا كَمَثَلِ الَّذِيْ يَنْعِقُ﴾ (البقرة : ١٧١) الآية .التقدير : ومثل الأنبياء والكفار كمثل الذي ينعق والذي ينعق به ، فحذف من الأول

الأنبياء لدلالة الذي ينعق عليه ، ومن الثاني الذي ينعق به لدلالة الذين كفروا عليه.

الإطناب نوعان:

١. بسط هو الإطناب بتكثير الجمل ؛ كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ الآية (البقرة : ١٦٤), أطنب فيها أبلغ الإطناب لكون الخطاب مع الثقلين ، وفي كل عصر وحين ، للعالم منهم والجاهل ، والموافق منهم والمنافق.

٢. وزيادة يكون بأنواع:

أحدها : دخول حرف فأكثر من حروف التأكيد السابقة في نوع الأدوات ، وهي إن ، وأن ، ولام الابتداء والقسم.

الثاني : دخول الأحرف الزائدة .قوله : ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾ (البقرة : ١٣٧)؛.فيها زيادة لفظ مثل.

الثالث : التأكيد الصناعي, إما بالتوكيد المعنوي بكل وأجمع وكلا وكلتا ، نحو: ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ (الحجر : ٣٠). وفائدته : رفع توهم المجاز وعدم الشمول. وإما بالتأكيد اللفظي ؛ وهو تكرار اللفظ الأول. إما بمرادفه ، نحو: ﴿ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ (الأنعام : ١٢٥) بكسر الراء.

الرابع : التكرير ، وهو أبلغ من التأكيد ، وهو من محاسن الفصاحة خلافا لبعض من غلط. وله فوائد :

منها التقرير : وقد قيل الكلام إذا تكرر تقرر ، وقد نبه تعالى على السبب الذي لأجله كرر الأقاصيص والإنذار في القرآن بقوله

:﴿ وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ (طه : ١١٣). ومنها التأكيد , ومنها زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول ، ومنه: ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ يَاقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ ﴾ (غافر : ٣٨ ، ٣٩)، فإنه كرر فيه النداء لذلك.

الخامس : الصفة نحو: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (الفاتحة : ١ – ٤).

السادس : البدل والقصد به الإيضاح به بعد الإبهام نحو :﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ (الفاتحة : ٦ ، ٧).

السابع : عطف البيان وهو كالصفة في الإيضاح ، لكن يفارقها في أنه وضع ليدل على الإيضاح باسم يختص به بخلافها ، فإنها وضعت لتدل على معنى حاصل في متبوعها. نحو : ومن أمثلته : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (آل عمران : ٩٧) ،﴿ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ﴾ (النور : ٣٥).

الثامن : عطف أحد المترادفين على الآخر والقصد منه التأكيد أيضا ، وجعل منه: ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي ﴾ (يوسف ٨٦).

التاسع : عطف الخاص على العام, وفائدته التنبيه على فضله حتى كأنه ليس من جنس العام ، تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات. نحو : ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ (البقرة : ٢٣٨).

العاشر : عطف العام على الخاص وأنكر بعضهم وجوده فأخطأ ، والفائدة فيه واضحة ، وهو التعميم ، وأفرد الأول بالذكر اهتماما بشأنه . نحو :﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ (الأنعام : ٩٣)، والنسك العبادة ، فهو أعم .

الحادي عشر : الإيضاح بعد الإبهام, قال أهل البيان : إذا أردت أن تبهم ثم توضح فإنك تطنب, وفائدته : إما رؤية المعنى في صورتين مختلفتين : الإبهام والإيضاح ، أو لتمكن المعنى في النفس تمكنا زائدا لوقوعه بعد الطلب ، فإنه أعز من المنساق بلا تعب ، أو لتكمل لذة العلم به ، فإن الشيء إذا علم من وجه ما ، تشوقت النفس للعلم به من باقي وجوهه وتألمت ، فإذا حصل العلم من بقية الوجوه كانت لذته أشد من علمه من جميع وجوهه دفعة واحدة. نحو : ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ (طه : ٢٥)، فإن (اشرح) يفيد طلب شرح شيء ما، و (صدري) يفيد تفسيره وبيانه.

الثاني عشر : التفسير قال أهل البيان وهو أن يكون في الكلام لبس وخفاء فيؤتى بما يزيله ويفسره . نحو : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ (المعارج : ١٩ — ٢١)، فقوله : (إذا مسه) إلخ . . تفسير للهلوع ، كما قال أبو العالية وغيره

الثالث عشر : وضع الظاهر موضع المضمرنحو: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ (الإخلاص : ١ ، ٢) .

الرابع عشر : الإيغال وهو الإمعان وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها. نحو : ﴿يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (يس : ٢٠ ، ٢١).

الخامس عشر : التذييل وهو أن يؤتى بجملة عقب جملة ، والثانية تشتمل على المعنى الأول ، لتأكيد منطوقه أو مفهومه ، ليظهر المعنى لمن لم يفهمه ويتقرر عند من فهمه ، نحو: ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ (سباء : ١٧).

السادس عشر : الطرد والعكس قال الطيبي :وهو أن يؤتى بكلامين يقرر الأول بمنطوقه مفهوم الثاني وبالعكس ، كقوله تعالى :﴿ لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ﴾ (النور : ٥٨).

السابع عشر : التكميل ويسمى بالاحتراس ؛ وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم ، نحو: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (المائدة : ٥٤) ، فإنه لو اقتصر على (أذلة) لتوهم أنه لضعفهم ، فدفعه بقوله : (أعزة).

الثامن عشر : التتميم وهو أن يؤتى في كلام لا يوهم غير المراد بفضله تفيد نكتة ، كالمبالغة في قوله: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ ﴾ (الإنسان : ٨) ؛ أي : مع حب الطعام ؛ أي : اشتهائه ، فإن الإطعام حينئذ أبلغ وأكثر أجرا .

التاسع عشر : الاستقصاء وهو أن يتناول المتكلم معنى فيستقصيه ، فيأتي عوارضه ولوازمه بعد أن يستقصي جميع أوصافه الذاتية بحيث لا يترك لمن يتناوله بعده فيه مقالا ؛ كقوله تعالى : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ ﴾ (البقرة : ٢٦٦) الآية ، فإنه تعالى لو اقتصر على قوله (جنة) لكان كافيا ، فلم يقف عند ذلك حتى قال في تفسيرها) :من نخيل وأعناب (، فإن مصاب صاحبها بها أعظم ، ثم زاد :)تجري من تحتها الأنهار (متمما لوصفها بذلك ، ثم كمل وصفها بعد التتميمين فقال) : له فيها من كل الثمرات (، فأتى بكل ما يكون في الجنان ليشتد الأسف على إفسادها.

العشرون : الاعتراض وسماه قدامة التفاتا ، وهو الإتيان بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب ، في أثناء كلام أو كلامين اتصلا معنى ، لنكتة غير دفع الإيهام ؛ كقوله: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ (النحل : ٥٧) فقوله : (سبحانه) اعتراض لتنزيه الله سبحانه وتعالى عن البنات ، والشناعة على جاعليها.

الحادى والعشرون : التعليل وفائدته التقرير والأبلغية ، فإن النفوس أبعث على قبول الأحكام المعللة من غيرها ، وغالب التعليل في القرآن على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الأولى ، وحروفه : اللام ، وإن ، وأن ، وإذ ، والباء ، وكي ، ومن ، ولعل ، وقد مضت أمثلتها في نوع الأدوات, ومما يقتضي التعليل لفظ (الحكمة) كقوله : ﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ﴾ (القمر : ٥) ، وذكر الغاية من الخلق ، نحو قوله : ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ (البقرة : ٢٢).

الباب الحادى والخمسون

في بدائع القرآن

بدائع القرآن من المباحث التي تبين بلاغة القرآن، وهو أحد فروع علوم القرآن، وأفرده بالتصنيف ابن أبي الإصبع؛ فأورد فيه نحو مائة نوع، منها: الإرداف والتمثيل والإيجاز والاتساع والإشارة والمساواة والبسط والإيغال، إلى غير ذلك.

وقد أفرد السيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) بعض مباحث بديع القرآن بالدراسة، منها على سبيل المثال: مبحث الإيهام. وهو أن يُذكر لفظ له معنيان، إما بالاشتراك أو التواطؤ، أو الحقيقة والمجاز، أحدهما قريب والآخر بعيد، ويقصد البعيد ويورى عنه بالقريب.

تعريف بديع القرآن

بديع القرآن هو علم يُبحث فيه عما ورد في القرآن من أنواع الإعجاز البلاغي والبديع.

المباحث ببدائع القرآن

وقد أفرد السيوطي في كتابه بعض مباحث بديع القرآن بالدراسة، نذكر هنا بعضها :

١. مبحث الإيهام

ويُدعى التورية، وهو أن يُذكر لفظ له معنيان، إما بالاشتراك أو التواطؤ، أو الحقيقة والمجاز، أحدهما قريب والآخر بعيد، ويقصد البعيد ويورّى عنه

بالقريب؛ فيتوهّمه السامع من أول وهلة، ومنها ما تسمى مرشّحة وهي التي ذكر فيها شيء من لوازم هذا أو هذا، كقوله تعالى:﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (الذاريات: ٤٧) فإنه يحتمل الجارحة وهو المورى به، وقد ذكر من لوازمه على جهة الترشيح البنيان، ويحتمل القوة والقدرة وهو البعيد المقصود.

٢. مبحث الاستخدام

قال السيوطي: لهم فيه عبارتان :

إحداهما: أن يؤتى بلفظ له معنيان فأكثر مرادًا به أحد معانيه، ثم يؤتى بضميره مرادًا به المعنى الآخر، وهذه طريقة السكاكي وأتباعه.

والأخرى: أن يؤتى بلفظ مشترك ثم بلفظين يفهم من أحدهما أحد المعنيين، ومن الآخر، وهذه طريقة بدر الدين بن جماعة في «المصباح»، ومشى عليها ابن أبي الإصبع، ومثل له بقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (الرعد: ٣٨) فلفظ «كتاب» يحتمل الأمد المحتوم، والكتاب المكتوب، فلفظ «أجل» يخدم المعنى الأول و«يمحو» يخدم الثاني، ومثل غيره بقوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ (النساء: ٤٣)، فالصلاة تحتمل أن يراد بها فعلها وموضعها، وقوله: ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ (النساء: ٤٣) يخدم الأول ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ (النساء: ٤٣) يخدم الثاني.

٣. مبحث الالتفات

قال السيوطي: هو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر؛ يعني: من المتكلم، أو الخطاب، أو الغيبة إلى آخر منها، بعد التعبير بالأول، وهذا هو المشهور. وقال السكاكي: إما ذلك أو التعبير بأحدهما فيما حقه التعبير بغيره.

وله فوائد، منها :

تطرية الكلام وصيانة السمع عن الضجر والملال؛ لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات، والسآمة من الاستمرار على منوال واحد.

وهذه فائدته العامة، ويختص كل موضع بنكت ولطائف باختلاف محله، ومثاله: من التكلم إلى الخطاب، ووجهه: حث السامع وبعثه على الاستماع؛ حيث أقبل المتكلم عليه، وأعطاه فضل عناية تخصيص بالمواجهة، قوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس: ٢٢) والأصل: «وإليه أرجع». فالتفت من التكلم إلى الخطاب، ونكتته: أنه أخرج الكلام في معرض مناصحته لنفسه، وهو يريد نصح قومه، تلطفًا وإعلامًا أنه يريد لهم ما يريد لنفسه، ثم التفت إليهم لكونه في مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله تعالى.

٤. مبحث الاطراد

وهو أن يذكر المتكلم أسماء آباء الممدوح مرتبة على حكم ترتيبها في الولادة، قال ابن أبي الإصبع: ومنه في القرآن قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ (يوسف: ٣٨).

قال: وإنما لم يأت به على الترتيب المألوف فإن العادة الابتداء بالأب ثم الجد ثم الجد الأعلى؛ لأنه لم يرد هنا مجرد ذكر الآباء، وإنما ذكرهم ليذكر ملتهم التي اتبعها، فبدأ بصاحب الملة، ثم بمن أخذها عنه، أولًا فأولًا على الترتيب.

٥. مبحث الانسجام

هو أن يكون الكلام لخلوه من العقادة منحدرًا كتحدر الماء المنسجم، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة، والقرآن كله كذلك. قال أهل البديع: وإذا قوي الانسجام في النثر جاءت قراءته موزونة بلا قصد؛ لقوة انسجامه، ومن ذلك ما وقع في القرآن موزونًا، فمنه من بحر الطويل: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف: ٢٩) ومن المديد: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (هود: ٣٧) ومن البسيط: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ (الأحقاف: ٢٥).

٦. مبحث الإدماج

قال ابن أبي الإصبع: هو أن يدمج المتكلم غرضًا في غرض، أو بديعًا في بديع، بحيث لا يظهر في الكلام إلا أحد الغرضين، أو أحد البديعين، كقوله تعالى: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ (القصص: ٧٠) أُدمجت المبالغة في المطابقة؛ لأن انفراده بالحمد في الآخرة -وهي الوقت الذي لا يُحمد فيه سواه- مبالغة في الوصف بالانفراد بالحمد، وهو وإن خرج مخرج المبالغة في الظاهر؛ فالأمر فيه حقيقة في الباطن؛ فإنه رب الحمد، والمنفرد به في الدارين.

❁❁❁

الباب الثاني والخمسون
في فواصل الآي

تعريف الفواصل

الفاصلة : كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع.

وقال الداني : كلمة آخر الجملة. وفرق الداني بين الفواصل ورءوس الآي ، فقال : الفاصلة هي الكلام المنفصل عما بعده ، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس ، وكذلك الفواصل يكن رءوس آي وغيرها ، وكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية. ولأجل كون معنى الفاصلة هذا ذكر سيبويه في تمثيل القوافي : يوم يأت و ما كنا نبغ ، وليسا رأس آيتين بإجماع ، مع :﴿إِذَا يَسْرِ ﴾ (الفجر : ٤) ، وهو رأس آية باتفاق.

وقال القاضي أبو بكر : الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني.

قال الجعبري : لمعرفة الفواصل طريقان :

التوقيفي : فما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم وقف عليه دائما تحققنا أنه فاصلة، وما وصله دائما تحققنا أنه ليس بفاصلة ، وما وقف عليه مرة ووصله مرة أخرى احتمل الوقف أن يكون لتعريف الفاصلة ، أو لتعريف الوقف التام ، أو للاستراحة ، والوصل أن يكون غير فاصلة أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها.

والقياسي : ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص لمناسب ، ولا محذور في ذلك ؛ لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان ، وإنما غايته أنه محل فصل أو وصل والوقف على كل كلمة جائز ، ووصل القرآن كله جائز فاحتاج القياس إلى طريق تعرفه ، فنقول : فاصلة الآية كقرينة السجعة في النثر وقافية البيت في الشعر ،

وما يذكر من عيوب القافية – من اختلاف الحركة والإشباع والتوجيه – فليس بعيب في الفاصلة ، وجاز الانتقال في الفاصلة والقرينة وقافية الأرجوزة من نوع إلى آخر ، بخلاف قافية القصيدة.

وهل يجوز استعمال السجع في القرآن ؟ خلاف ؛ الجمهور على المنع ؛ لأن أصله من سجع الطير ، فشرف القرآن أن يستعار لشيء منه لفظ أصله مهمل ، ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في وصفه بذلك ، ولأن القرآن من صفاته تعالى فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها.

قال الرماني في إعجاز القرآن : ذهب الأشعرية إلى امتناع أن يقال : في القرآن سجع ، وفرقوا بأن السجع هو الذي يقصد فيه نفسه ، ثم يحال المعنى عليه ، والفواصل التي تتبع المعاني ، ولا تكون مقصودة في نفسها. ولذلك كانت الفواصل بلاغة والسجع عيبا.

وأقوى ما استدل به الاتفاق على أن موسى أفضل من هارون ، لمكان السجع قيل في موضع : ﴿هَارُوْنَ وَمُوْسَى﴾ (طه : ٧٠) ، ولما كانت الفواصل في موضع آخر بالواو والنون قيل : مُوْسَى وَهَارُوْن (الشعراء : ٤٨).

قال الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفي: وقد تتبعت الأحكام التي وقعت في آخر الآي مراعاة للمناسبة ، فعثرت منها على نيف عن الأربعين حكما.

أحدها : تقديم المعمول : إما على العامل ، نحو : ﴿ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ (سبإ : ٤٠)، قيل : ومنه : ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيْن﴾ (الفاتحة : ٥)، أو على معمول آخر أصله التقديم ، نحو :﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴾ (طه : ٢٣) ، إذا أعربنا (الكبرى) مفعول (نري) ، أو على الفاعل ، نحو : ﴿وَلَقَدْ

جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾ (القمر : ٤١)، ومنه تقديم خبر كان على اسمها ، نحو : وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (الإخلاص : ٤).

الثاني : تقديم ما هو متأخر في الزمان ، نحو :﴿ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴾ (النجم : ٢٥) ، ولولا مراعاة الفواصل لقدمت الأولى كقوله : ﴿ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾(القصص : ٧٠).

الثالث : تقديم الفاضل على الأفضل ، نحو :﴿ بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ (طه : ٧) ، وتقدم ما فيه.

الرابع : تقديم الضمير على ما يفسره ، نحو : ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾ (طه : ٦٧).

الخامس : تقديم الصفة المجملة على الصفة المفردة ، نحو : ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴾ (الإسراء : ١٣).

السادس : حذف ياء المنقوص المعرف ، نحو :﴿ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾(الرعد: ٩) ، ﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾ (غافر : ٣٢).

السابع : حذف ياء الفعل غير المجزوم ، نحو : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ (الفجر:٤).

الثامن : حذف ياء الإضافة ، نحو : فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (القمر : ١٦)، فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ(الرعد : ٣٢).

التاسع : زيادة حرف المد ، نحو : (الظُّنُونَا) (الأحزاب : ١٠) ، و (الرَّسُولَا) (الأحزاب : ٦٦) ، و (السَّبِيلَا) (الأحزاب : ٦٧).

ومنه إبقاؤه مع الجازم ، نحو : ﴿لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ (طه : ٧٧) ، ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ (الأعلى : ٦) ، على القول بأنه نهي.

العاشر : صرف ما لا ينصرف ، نحو : ﴿قَوَارِيرَ قَوَارِيرَ﴾ (الإنسان : ١٥ ، ١٦).

الحادي عشر : إيثار تذكير اسم الجنس كقوله : ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ (القمر : ٢٠).

الثاني عشر : إيثار تأنيثه ، نحو : ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ (الحاقة : ٧) ، وَنَظِيرُ هَذَيْنِ قوله في القمر (٥): ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌو﴾ (الكهف:٤٩) : لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

الثالث عشر : الاقتصار على أحد الوجهين الجائزين اللذين قرئ بهما في السبع في غير ذلك ، كقوله تعالى : ﴿فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ (الجن : ١٤) ، ولم يجئ (رشدا) في السبع ، وكذا :﴿ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ (الكهف : ١٠) ؛ لأن الفواصل في السورتين محركة الوسط ، وقد جاء في : ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ (الأعراف : ١٤٦)، وبهذا يبطل ترجيح الفارسي قراءة التحريك بالإجماع عليه فيما تقدم . ونظير ذلك قراءة : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ (المسد : ١)، بفتح الهاء وسكونها ، ولم يقرأ : ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ (المسد : ٣). إلا بالفتح لمراعاة الفاصلة.

الرابع عشر : إيراد الجملة التي رد بها ما قبلها على غير وجه المطابقة في الاسمية والفعلية كقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة : ٨). ولم يطابق بين قولهم : آمنا وبين ما رد به فيقول (ولم يؤمنوا) أو (ما آمنوا) لذلك.

الخامس عشر : إيراد أحد القسمين غير مطابق للآخر كذلك نحو : ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت : ٣) . ولم يقل : الذين كذبوا.

السادس عشر : إيراد أحد جزأي الجملتين على غير الوجه الذي أورد نظيرها من الجملة الأخرى نحو : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (البقرة : ١٧٧).

السابع عشر : إيثار أغرب اللفظتين نحو : ﴿ قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ (النجم : ٢٢).

ولم يقل : جائرة لينبذن في الحطمة ولم يقل " جهنم " أو " النار".

وقال في المدثر(٢٦). سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وفي سأل (١٥) . إنها لظى وفي القارعة (٩). فأمه هاوية لمراعاة فواصل كل سورة.

الثامن عشر : اختصاص كل من المشركين بموضع نحو : ﴿ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (إبراهيم : ٥٢). ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ (طه : ١٢٨).

التاسع عشر : حذف المفعول نحو : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ (الليل : ٥).

ما ودعك ربك وما قلى ومنه حذف متعلق أفعل التفضيل نحو : ﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ (طه : ٧). ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (الأعلى : ١٧).

العشرون : الاستغناء بالإفراد عن التثنية نحو : ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ (طه : ١١٧).

الحادي والعشرون : الاستغناء به عن الجمع نحو : ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان : ٧٤). ولم يقل : أئمة كما قال ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ ﴾ (الأنبياء : ٧٣). ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ (القمر : ٥٤). أي : أنهار.

الثاني والعشرون : الاستغناء بالتثنية عن الإفراد نحو : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ (الرحمن : ٤٦). قال الفراء : أراد جنة ، كقوله : ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾(النازعات : ٤١). فثنى لأجل الفاصلة ، قال : والقوافي تحتمل من الزيادة والنقصان ما لا يحتمل سائر الكلام.

ونظير ذلك قول الفراء أيضا في قوله تعالى : ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ (الشمس : ١٢). فإنهما رجلان : قدار وآخر معه ، ولم يقل : أشقياها للفاصلة وقد أنكر ذلك ابن قتيبة وأغلظ فيه ، وقال : إنما يجوز في رؤوس الآي زيادة ها السكت أو الألف أو حذف همز أو حرف ، فأما أن يكون الله وعد بجنتين فنجعلهما جنة واحدة لأجل رؤوس الآي معاذ الله ، وكيف هذا وهو يصفها بصفات الاثنين قال ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ ثم قال : " فيهما " (الرحمن : ٤٨ ، ٥٠).

وأما ابن الصائغ : فإنه نقل عن الفراء أنه أراد جنات فأطلق الاثنين على الجمع لأجل الفاصلة ثم قال : وهذا غير بعيد قال : وإنما عاد الضمير بعد ذلك بصيغة التثنية مراعاة للفظ وهذا هو الثالث والعشرون.

الرابع والعشرون : الاستغناء بالجمع عن الإفراد نحو : لا بيع فيه ولا خلال أي : ولا خلة كما في الآية الأخرى وجمع مراعاة للفاصلة.

الخامس والعشرون : إجراء غير العاقل مجرى العاقل نحو :﴿ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ (يوسف : ٤). ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (الأنبياء : ٣٣).

السادس والعشرون : إمالة ما لا يمال كآي " طه " " والنجم".

السابع والعشرون : الإتيان بصيغة المبالغة : كقدير وعليم مع ترك ذلك في نحو ﴿هُوَ الْقَادِرُ ﴾ (الأنعام : ٦٥). و ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ ﴾ (الأنعام : ٧٣). ومنه ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ (مريم : ٦٤).

الثامن والعشرون : إيثار بعض أوصاف المبالغة على بعض نحو :﴿ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ (ص : ٥). أوثر على عجيب لذلك.

التاسع والعشرون : الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه نحو : ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ (طه : ١٢٩).

الثلاثون : إيقاع الظاهر موضع الضمير نحو :﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (الأعراف : ١٧٠). وكذا آية الكهف.

الحادي والثلاثون : وقوع (مفعول) موقع (فاعل) كقوله : ﴿ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾ (الإسراء : ٤٥). ﴿ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴾ (مريم : ٦١). أي : سائرا وآتيا.

الثاني والثلاثون : وقوع فاعل موقع مفعول نحو : ﴿عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ (الحاقة : ٢١). ﴿ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ (الطارق : ٦).

الثالث والثلاثون الفصل بين الموصوف والصفة نحو :﴿ أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴾ (الأعلى : ٤ ، ٥). إن أعرب أحوى صفة المرعى أي : حالا.

الرابع والثلاثون : إيقاع حرف مكان غيره نحو : ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ (الزلزلة : ٥). والأصل إليها.

الخامس والثلاثون : تأخير الوصف الأبلغ عن الأبلغ منه : ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة : ١٢٨). لأن الرأفة أبلغ من الرحمة.

السادس والثلاثون : حذف الفاعل ونيابة المفعول نحو : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴾ (الليل : ١٩).

السابع والثلاثون : إثبات هاء السكت نحو :﴿ مَالِيَهْ ﴾ (الحاقة : ٢٨) . ﴿سُلْطَانِيَهْ ﴾ (الحاقة : ٢٩). ﴿ مَا هِيَهْ ﴾ (القارعة : ١٠).

الثامن والثلاثون : الجمع بين المجرورات نحو : ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ (الإسراء : ٦٩). فإن الأحسن الفصل بينها ، إلا أن مراعاة الفاصلة اقتضت عدمه وتأخير تبيعا.

التاسع والثلاثون : العدول عن صيغة المضي إلى صيغة الاستقبال نحو : ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة : ٨٧). والأصل قتلتم.

الأربعون : تغيير بنية الكلمة نحو : ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ (التين : ٢). والأصل سينا.



الباب الثالث والخمسون

فواتح السور

اعلم أن الله تعالى افتتح سور القرآن بعشرة أنواع من الكلام ، لا يخرج شيء من السور عنها.

١. الثناء عليه تعالى ، والثناء قسمان : إثبات لصفات المدح ، ونفي وتنزيه من صفات النقص ,فالأول : التحميد في خمس سور ، وتبارك في سورتين . والثاني : التسبيح في سبع سور.

٢. حروف التهجي في تسع وعشرين سورة ، وقد مضى الكلام عليها مستوعبا في نوع المتشابه ، ويأتي الإلمام بمناسباتها في نوع المناسبات.

٣. النداء في عشر سور : خمس بنداء الرسول صلى الله عليه وسلم : الأحزاب والطلاق والتحريم والمزمل والمدثر ، وخمس بنداء الأمة : النساء ، والمائدة ، والحج ، والحجرات ، والممتحنة.

٤. الجمل الخبرية نحو : يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ (الأنفال) . بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ (التوبة) .أَتَى أَمْرُ اللَّهِ (النحل). اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ (الأنبياء) . قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (المؤمنون) . سورة أَنْزَلْنَاهَا (النور) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ الَّذِينَ كَفَرُوا (محمد). إِنَّا فَتَحْنَا (الفتح) . اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ (القمر) .الرَّحْمَنُ عَلَّمَ (الرحمن) .قَدْ سَمِعَ اللَّهُ (المجادلة) .الْحَاقَّةُ سَأَلَ سَائِلٌ (المعارج) .إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا (نوح) .لَا أُقْسِمُ فِي مَوْضِعَيْنِ (القيامة ، والبلد) .عَبَسَ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ (القدر) . لَمْ يَكُنِ الْقَارِعَةُ أَلْهَاكُمُ (التكاثر) . إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ (الكوثر) . فتلك ثلاث وعشرون سورة.

٥. القسم في خمس عشرة سورة. سورة أقسم فيها بالملائكة وهي والصافات وسورتان بالأفلاك : البروج والطارق. وست سور بلوازمها : فالنجم قسم بالثريا ، والفجر بمبدأ النهار ، والشمس بآية النهار ، والليل بشطر الزمان ، والضحى بشطر النهار ، والعصر بالشطر الآخر ، أو بجملة الزمان وسورتان بالهواء الذي هو أحد العناصر ، والذاريات ، والمرسلات ، وسورة بالتربة التي هي منها أيضا ، وهي الطور ، وسورة بالنبات ، وهي والتين ، وسورة بالحيوان الناطق ، وهي والنازعات ، وسورة بالبهيم وهي والعاديات.

٦. الشرط في سبع سور : الواقعة والمنافقون والتكوير والانفطار والانشقاق والزلزلة والنصر.

٧. الأمر في ست سور : قل أوحي اقرأ قل يأأيها الكافرون قل هو الله أحد قل أعوذ المعوذتين.

٨. الاستفهام في ست سور : عم يتساءلون هل أتى هل أتاك ألم نشرح ألم تر أرأيت.

٩. الدعاء في ثلاث : ويل للمطففين ويل لكل همزة تبت.

١٠. التعليل في تبت . هكذا جمع أبو شامة قال : وما ذكرناه في الدعاء يجوز أن يذكر مع الخبر ، وكذا الثناء كله خبر إلا سبح فإنه يدخل في قسم الأمر ، وسبحان يحتمل الأمر والخبر.

❁❁❁

الباب الرابع والخمسون

خواتم السور

هي أيضا مثل الفواتح في الحسن لأنها آخر ما يقرع الأسماع فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة مع إيذان السامع بانتهاء الكلام حتى لا يبقى معه للنفوس تشوف إلى ما يذكر بعد ، لأنها بين أدعية ووصايا وفرائض ، وتحميد ، وتهليل ومواعظ ، ووعد ووعيد إلى غير ذلك.

كتفصيل جملة المطلوب في خاتمة الفاتحة ، إذ المطلوب الأعلى : الإيمان المحفوظ من المعاصي المسببة لغضب الله والضلال ، ففصل جملة ذلك بقوله : الذين أنعمت عليهم والمراد المؤمنون ولذلك أطلق الإنعام ولم يقيده ليتناول كل إنعام لأن من أنعم الله عليه بنعمة الإيمان فقد أنعم الله عليه بكل نعمة; لأنها مستتبعة لجميع النعم ، ثم وصفهم بقوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين يعني أنهم جمعوا بين النعم المطلقة وهي نعمة الإيمان وبين السلامة من غضب الله تعالى والضلال المسببين عن معاصيه وتعدي حدوده.

كان في خواتم السور ما تُقرّر في تنزيله, ومنها :

١. الدعاء الذي اشتملت عليه الآيتان من آخر سورة البقرة.
٢. الوصايا التي ختمت بها سورة آل عمران ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا.
٣. الفرائض التي ختمت بها سورة النساء ، وحسن الختم بها لما فيها من أحكام الموت الذي هو آخر أمر كل حي ، ولأنها آخر ما نزل من الأحكام
٤. التبجيل والتعظيم الذي ختمت به المائدة
٥. الوعد والوعيد الذي ختمت به الأنعام
٦. التحريض على العبادة بوصف حال الملائكة الذي ختمت به الأعراف

٧. الحض على الجهاد

٨. صلة الأرحام التي ختم به الأنفال

٩. وصف الرسول ومدحه والتهليل الذي ختمت به براءة

١٠. تسليته عليه الصلاة والسلام الذي ختمت به يونس مثلها خاتمة هود

١١. وصف القرآن ومدحه الذي ختم به يوسف والوعيد والرد على من كذب الرسول الذي ختم به الرعد

١٢. من أوضح ما آذن بالختام خاتمة إبراهيم هذا بلاغ للناس الآية, ومثلها خاتمة الأحقاف ، وكذا خاتمة الحجر بقوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وهو مفسر بالموت فإنها في غاية البراعة.

١٣. كيف بدئت بأهوال القيامة وختمت بها الزلزلة .

١٤. ما فيها من الإشعار بالآخرية المستلزمة بالوفاة كما في آخر آية براءة والنصر.



الباب الخامس والخمسون

مناسبة الآيات والسور

تعريف المناسبة :

المناسبة في اللغة: المشاكلة والمقاربة ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص، عقلي، أو حسي، أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب ، والعلة والمعلول ، والنظيرين والضدين ، ونحوه.

وتعرف اصطلاحاً بأنها: علم تعرف به وجوه ارتباط أجزاء القرآن بعضها ببعض، وقولُنا: (أجزاء القرآن) شامل للآية مع الآية، والحكم مع الحكم، والسورة مع السورة، والقصة مع القصة، وكل جزء من القرآن مع ما قارنه.

أهميته وأقوال العلماء فيه :

لقد أبان العلماء فيما سطروه بجلاءٍ عـن أهمية هذ العلم وعظيم الفائدة بمعرفته حتى قال الفخر الرازي: "أكثر لطائف القرآن مودَعة في الترتيبات والروابط"[٩٠]

وقال الزركشي: "واعلم أن المناسبة علم شريف تحزر به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول".[٩١]

أمـا القاضي أبو بكر بن العربي فقد كشف عن منزلة هذا العلم بقوله: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسعة المعاني، منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله .

---

[٩٠] انظره في: البرهان، للزركشي : ٣٦

[٩١] البرهان: ٣٥.

عز وجل ـ لنا فيه، فلما لم نجد له حَمَلَةً ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه"؟[92]

وقال الرازي: "علم المناسبات علم عظيم أودعت فيه أكثر لطائف القرآن وروائعه، وهو أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول".[93]

وقال في تفسير سورة البقرة : "ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته".[94]

وقال البقاعي مبيناً فائدة جليلة من فوائد معرفة هذا العلم: "وبهذا العلم: يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب؛ وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقتين : إحداهما: نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب.

والثانية: نظمها مع تاليتها بالنظر إلى الترتيب. والأول أقرب تناولاً وأسهل ذوقاً؛ فإن كل من سمع القرآن من ذكي وغبي يهتز لمعانيه وتحصل له عند سماعه روعة بنشاط مع انبساط لا تحصل عند سماع غيره، ثم إذا عبر الفطن من ذلك إلى تأمُّل ربط كل جملة بما تلته وما تلاها خفي عليه وجه ذلك، ورأى أن الجمل متباعدة الأغراض متنائية المقاصد، فظن أنها متنافرة، فحصل له من القبض والكرب أضعاف ما حصل له بالسماع من الهزّ والبسط، ربما شككه ذلك وزلزل إيمانه؛ فإذا استعان بالله وأدام الطرق لباب الفرج بإنعام التأمل وإظهار العجز والوقوف بأنه في الذروة من إحكام الربط كما كان في الأوج من حسن المعنى،

---

[92] البرهان:٣٦

[93] البرهان: ٣٥

[94] نظم الدرر: ٩/١

فانفتح له ذلك الباب، ولاحت له من ورائه بوارق أنوار تلك الأسرار رقص الفكر منه طرباً وشاط لعظمة ذلك جنانه، ورسخ من غير مرية إيمانه". [٩٥]

أسباب المناسبة :

١. التنظير فإن إلحاق النظير بالنظير من شأن العقلاء كقوله : كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، عقب قوله :﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُوْنَ حَقًّا ﴾ (الأنفال : ٤ ، ٥) . فإنه تعالى أمر رسوله أن يمضي لأمره في الغنائم على كره من أصحابه ، كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير أو للقتال وهم له كارهون . والقصد أن كراهتهم لما فعله من قسمة الغنائم ككراهتهم للخروج ، وقد تبين في الخروج الخير من الظفر والنصر والغنيمة وعز الإسلام ، فكذا يكون فيما فعله في القسمة فليطيعوا ما أمروا به ويتركوا هوى أنفسهم.

٢. المضادة كقوله في سورة البقرة : ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ (البقرة : ٦). الآية فإن أول السورة كان حديثا عن القرآن ، وأن من شأنه الهداية للقوم الموصوفين بالإيمان ، فلما أكمل وصف المؤمنين ، عقب بحديث الكافرين فبينهما جامع وهمي بالتضاد من هذا الوجه ، وحكمته التشويق والثبوت على الأول ، كما قيل : وبضدها تتبين الأشياء.

٣. الثالث : الاستطراد كقوله تعالى : ﴿يٰبَنِيْٓ اٰدَمَ قَدْ اَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُّوَارِيْ سَوْءٰتِكُمْ وَرِيْشًا ۗ وَلِبَاسُ التَّقْوٰى ذٰلِكَ خَيْرٌ ۗ﴾ (الأعراف : ٢٦) . قال الزمخشري : هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقب ذكر بدو السوءات

[٩٥] نظم الدرر: ١/١٠١-١٢

، وخصف الورق عليهما إظهارا للمنة في ما خلق من اللباس ، ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة وإشعارا بأن الستر باب عظيم من أبواب التقوى.

قائدة المناسبة

قال بعض المتأخرين : الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن:

١. بنظر إلى الغرض الذي سيقت له السورة.
٢. بنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات.
٣. بنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب.
٤. بنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له.
٥. تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها.



الباب السادس والخمسون

إعجاز القرآن

اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم من المعارضة وهي إما حسية وإما عقلية:

وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم ، وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم ، وكمال أفهامهم ، ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر ، كما قال صلى الله عليه وسلم : ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا.[٩٦]

تعريف الإعجاز وإثباته

الإعجاز :إثبات العجز .والعجز في التعارف :اسم للقصور عن فعل الشيء. وهو ضد القدرة، وإذا ثبت الإعجاز ظهرت قدرة المعجز، والمراد بالإعجاز هنا :إظهار صدق النبي –صلى الله عليه وسلم– في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة –وهي القرآن– وعجز الأجيال بعدهم.

والمعجزة :أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة.

والقرآن الكريم تحدى به النبي –صلى الله عليه وسلم– العرب، وقد عجزوا عن معارضته مع طول باعهم في الفصاحة والبلاغة، ومثل هذا لا يكون إلا معجزًا.

منها الصرفة، لم يكن الكلام معجزًا، وإنما يكون المنع معجزًا، فلا يتضمن الكلام فضلًا على غيره في نفسه."

---

[٩٦] أخرجه البخاري

فقد ثبت أن الرسول -صلى الله عليه وسلم -تحدى العرب بالقرآن على مراحل ثلاث[٩٧]:

١. تحداهم بالقرآن كله في أسلوب عام يتناولهم ويتناول غيرهم من الإنس والجن تحديًّا يظهر على طاقتهم مجتمعين، بقوله تعالى:﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (الإسراء: ٨٨).
٢. ثم تحداهم بعشر سور منه في قوله تعالى :﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ (هود : ١٣,١٤).
٣. ثم تحداهم بسورة واحدة منه في قوله:﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ (يونس : ٣٨)، وكرر هذا التحدي في قوله :﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ﴾ (البقرة : ٢٣).

وجوه الإعجاز القرآن :

قال القاضي عياض في الشفا : اعلم أن القرآن منطو على وجوه من الإعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه :

١. حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ، ووجوه إيجازه ، وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام ، وأرباب هذا الشأن.
٢. صورة نظمه العجيب ، والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ، ومنهاج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ، ووقفت عليه مقاطع آياته ، وانتهت إليه فواصل كلماته ، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له.

---

٩٧ مناع القطان في المباحث : ٢٥٩

٣. ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات وما لم يكن فوجد كما ورد.

٤. ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة ، والأمم البائدة ، والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك ، فيورده صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه ، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب.

وأيًّا كان وجه الإعجاز، أو القدر المعجز .فإن الباحث المنصف الذي يطلب الحق إذا نظر في القرآن من أي النواحي أحب :من ناحية أسلوبه، أو من ناحية علومه، أو من ناحية الأثر الذي أحدثه في العالم وغير به وجه التاريخ، أو من تلك النواحي مجتمعة, وجد الإعجاز واضحًا جليًّا ,ويجدر بنا أن نأتي بكلمة في هذه النواحي الثلاثة من الإعجاز القرآني :ناحية الإعجاز اللغوي، وناحية الإعجاز العلمي، وناحية الإعجاز التشريعي[٩٨].

والإعجاز في القرآن الكريم جاء على وجوه عدة؛ جاء من جهة اللفظ، ومن جهة المعنى، وجاء من جهة الإخبار، ومن جهات أخرى ليس هذا مقام تفصيلها.

ففي جهة الإعجاز البياني والبلاغي نقف على العديد من الآيات التي تبين بلاغة القرآن المبين وبيانه الرفيع وتركيبه المعجز، وقد تحدى الإنس والجن مجتمعين على الإتيان بمثله فعجزوا عن ذلك، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَّىِٕنِ اجْتَمَعَتِ الْاِنْسُ وَالْجِنُّ عَلٰٓى اَنْ يَّأْتُوْا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْاٰنِ لَا يَأْتُوْنَ بِمِثْلِهٖ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيْرًا﴾ (الإسراء:٨٨) وبهذه الآية وأمثالها ثبت التحدي للعرب المعاصرين لنزول

---

[٩٨] مناع القطان : ٢٦٤

القرآن ولمن بعدهم، وقطع كذلك بعجزهم عن الإتيان بمثله، على الرغم من كل ما أوتوه من وجوه الفصاحة والبلاغة والبيان.

ومن وجوه الإعجاز التي جاء بها القرآن الكريم الإخبار عن الغيوب التي لا علم لأحد من المخلوقين بها، يستوي في ذلك غيوب الماضي، كالإخبار عن قصص الأنبياء وأنبائهم، أم غيوب الحاضر, ومنها :

التنبؤ بانتصار الروم على الفرس

قال سبحانه : ﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ ، لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ ، يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللَّهِ ، لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم : ١-٦).

ينقل التاريخ أنّ دولة الروم . وكانت دولة مسيحية . إنهزمت أمام دولة الفرس وهي وَثَنيّة ، بعد حروب طاحنة بينهما سنة ٦١٤ م ، فاغتمّ المسلمون لكونها هزيمة لدولة إلهية أمام دولة وثنية ، وفرح المشركون ، وقالوا للمسلمين بشماتة : إنّ الروم يشهدون أنّهم أهل كتاب وقد غَلَبهم المجوس ، وأنْتُم تزعمون أنّكم ستغلبوننا بالكتاب الذي أُنزل عليكم ، فسنغلبكم كما غلبت الفرس الروم .

فعند ذاك نزلت هذه الآيات الكريمات تنبيء بأنّ هزيمة الروم هذه سيعقبها إنتصار لهم في بضع سنين ، وهي مدّة تتراوح بين ثلاث سنوات وتسع . تنبّأً بذلك ، وكانت المقدمات والأسباب على خلافه ، لأنّ الحروب الطاحنة أنهكت الدولة الرومانية حتى غزيت في عقر دارها ، كما يدلّ عليه قوله : (فِي أَدْنَى الْأَرْضِ) . ولأنّ دولة الفرس كانت دولة قوية ، منيعة ، وزادها الإنتصار الأخير قوة ومنعة .

ولكن الله تعالى أنجز وعده ، وحقّق تنبؤ القرآن ، في بضع سنين ، فانتصر الروم سنة ٦٢٤ م ، الموافقة للسنة الثانية للهجرة .

وفي الآية تنبؤ آخر ، وهو البشارة بأنّ المسلمين سيفرحون في الوقت الذي ينتصر الروم فيه ، وقد صدق الله وعده حيث وقع في ذلك الظرف ظفر المسلمين في غزوة بدر الكبرى ، فتحققت النبوءتان في وقت واحد .

التنبؤ بصيانة النبي عن أذى الناس

قال سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ، بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ، وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة : ٦٧) .

روى الفريقان أنّ الآية نزلت يوم الغدير حينما أُمر النبي بنصب علي عليه السلام إماماً للناس ، وكان على حَذَر منهم في تنصيب إبن عمه وصهره للخلافة ، فأخبر الله سبحانه بأنّه سيعصمه من أذى الناس وشرّهم ، ولا يتمكنون من اغتياله ، وتحقّق نبأ القرآن ، وصدّق الخُبْرُ الخَبَر .

التنبؤ بالقضاء على العدو قبل لقائه

قال سبحانه : ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ، وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ، وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ * لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (الأنفال : ٧-٨) .

نزلت الآيتان قبل لقاء المسلمين العدو في ساحة المعركة ، فأخبر سبحانه عن هزيمة المشركين واستئصال شأفتهم ، ومحق قوتهم ، كما يدلّ عليه قوله : ﴿ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ . . ﴾ (الأنفال : ٧) .

وليس تنبؤ القرآن بالقضاء على مشركي قريش في معركة بدر منحصراً بهذه الآية ، بل تنبَّأَ به في آية أخرى ، وهي قوله سبحانه : ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ * سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ (القمر : ٤٤-٤٥).

فأخبر عن انهزام الكفار وفرارهم عن ساحة الحرب ، وقد تحقق التنبؤ يوم بدر ، وكانت المقدمات والأسباب الطبيعية على خلاف النتيجة ، حيث إنّ المشركين كانوا تامّي العِدّة ووافري العَدَد ، ولم يكن عدد المسلمين يتجاوز ثلثَ عدد المشركين ، لكنّه سبحانه حقّق كلمته وصَدَّق نَبَأَ نبيّه .

التنبؤ بكثرة ذرّية النبي (صلى الله عليه وآله)

قال سبحانه : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ (الكوثر : ١-٣) .

الكوثر هو الخير الكثير ، والمراد هنا ، بقرينة قوله : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ ، كثرة ذُرّيتِه ، ويؤيّده أنّ السورة إنّما نزلت ردّاً على من عابه بعدم الأولاد ، فالمعنى أنّه يعطيه نسلاً يَبْقون على مرّ الزمان .

قال الرازي : « فانظر كم قُتل من أهل البيت ، ثم العالَم ممتلىء منهم ، ولم يبق من بني أُمَيَّة أَحد يعبأُ به ، ثم انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء ، كالباقر ، والصادق ، والكاظم ، والرضا ، والنفس الزكية ، وأمثالهم ».

هذه نماذج من تنبؤات الذكر الحكيم ، أتينا بها ليقف الباحث على معشار ما ورد فيه من التنبؤات الغيبية .

هذا وقد عرفت أنّ بعض العلماء ، خصُّوا إعجاز القرآن بإخباره عن الغيب ، غير أنّه غير ظاهر بخصوصه ، لأنّ القرآن يتحدّى حتى بسورة واحدة من سوره الكثيرة ، ومن المعلوم أنّه ليست كلُّ سورة مشتملة على الأخبار الغيبية .

ومن وجوه الإعجاز كذلك، الإعجاز التشريعي، فقد جاء القرآن هداية للناس أجمعين، واشتمل على أحكام تشريعية تكفل سعادة العباد في الدنيا والآخرة، وتفي باحتياجاتهم الزمانية والمكانية. بخلاف ما عليه حال قوانين البشر وشرائعهم التي ظهر عجزها وما يزال عن معالجة متطلبات البشر، وثبت قصورها عن مسايرة الأوضاع المستجدة بين الحين والآخر، وصدق الله إذ يقول: ﴿ اِنَّ هٰذَا الْقُرْاٰنَ يَهْدِيْ لِلَّتِيْ هِيَ اَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِيْنَ الَّذِيْنَ يَعْمَلُوْنَ الصّٰلِحٰتِ اَنَّ لَهُمْ اَجْرًا كَبِيْرًاۙ ﴾ (الإسراء:٩).

ومن وجوه الإعجاز القرآني الإعجاز العلمي، حيث توصل العلم الحديث اليوم إلى كثير من الحقائق التي أثبتها القرآن الكريم قبل، كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَآءِ فَظَلُّوْا فِيْهِ يَعْرُجُوْنَۙ لَقَالُوْٓا اِنَّمَا سُكِّرَتْ اَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُوْرُوْنَ ﴾ (الحجر:١٤-١٥) وقوله تعالى: ﴿اَوَلَمْ يَرَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْٓا اَنَّ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنٰهُمَاۗ ﴾ (الأنبياء:٣٠) ونحو ذلك من الآيات التي أكدها العلم الحديث وصدقها، كل ذلك تصديقا لقوله تعالى: ﴿سَنُرِيْهِمْ اٰيٰتِنَا فِى الْاٰفَاقِ وَفِيْٓ اَنْفُسِهِمْ حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ اَنَّهُ الْحَقُّۗ ﴾ (فصلت:٥٣) وقد تحقق هذا الوعد الإلهي بما أثبته العلم وما يثبته كل يوم، ورأى الناس آيات الله فيما بثه في كونه وما أودعه في مخلوقاته.

أمثلة الإعجاز العلمي في القرآن :

الماء والحياة

ولقد تضمنت الآية القرآنية أعلاه حقيقة علمية أخرى لا تحتاج إلى توضيح وهي أن سائل الماء شيء مهم وأساسي لوجود الحياة على كوكب الأرض، ولا يوجد حالياً سائل في الأرض يصلح أن يكون وسطاً صالحاً للتفاعلات الحيوية في جسم

الأحياء غير الماء، ولقد اكتشف أحد الباحثين إن بعض الأحياء المجهرية كالبكتريا تستطيع العيش بدون هواء لفترة زمنية ولكنها لا تستطيع الاستغناء عن الماء مطلقاً كما تشير الآية إلى ذلك من قبل أن يعرف البشر هذا، وإن كانت الآية تشير إلى حقيقتين علميتين.وهذا مطابق لقوله تعالى:(وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) الآيه (الأنبياء : ٣٠) .

طبيعة الجبال كالأوتاد في علم الجيولوجيا

الوتد يغرس في الرمل لتثبيت الخيمة، وهكذا الجبال فقد اخترقت بامتداداتها الطبقة اللزجة التي تقع في أسفل الطبقة الصخرية التي تُكوِّن القارات، فأصبحت بالنسبة للقارات كالوتد للخيمة، فالوتد يثبت الخيمة بالجزء الذي يغرس في الصحراء وهكذا الجبال تثبت القارات بالجزء المغروس منها في الطبقة اللزجة التي تقع تحت الطبقة الصخرية التي تتكون منها القارات. ولقد تأكد للعلماء هذه الحقيقة العلمية في علوم الأرض عام ١٩٦٥ وعلموا أنه لولا خلقت الجبال هكذا كالأوتاد لطافت القارات ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ (النبأ:٧)، ومادت الأرض واضطربت من تحت أقدامنا، فالقرآن يذكرنا بهذه الحقيقة بقوله: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (النحل:١٥) إن جعل الجبال كالأوتاد لكي لا تميد الأرض بنا لهو خير دليل على تحركها فلو كانت ثابتة لم يكن للجبال فائدة ثم إن كلمة الرواسي التي تستخدم للسفن مثل المثبت لها حين تكون راسية تقوي هذا المعنى.

الفساد في البيئة

ظهور الفساد الذي يشمل البر والبحر، وقد عبّر القرآن عن ذلك بقوله:﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ

يَرْجِعُونَ ٤١﴾ (الروم:٤١) ووصفها بالماضي لأن القرآن لا ينطق إلا بالحق فالمستقبل بالنسبة لله هو حقيقة واقعة لا مفر منها وكأنها وقعت في الماضي وانتهى الأمر، ولذلك جاء التعبير عن هذه الحقيقة العلمية بالفعل الماضي. وكذلك تحدثت الآية عن المسؤول عن هذا الفساد البيئي وحددّت الفاعل وهو الإنسان، وتحدثت عن إمكانية الرجوع إلى العقل والمنطق وإلى العمل على إعادة التوازن للأرض.

العنكبوت

ورد بالقرآن قوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ٤١﴾ (العنكبوت:٤١) وفيه معاملة العنكبوت معاملة المؤنث مع أن لفظ العنكبوت مذكر في اللغة العربية، واكتشف العلم الحديث أن التي تقوم ببناء بيت العنكبوت هي أنثى العنكبوت فقط من خلال مغزل خاص موجود في نهاية بطنها، ولا يوجد مثله عند الذكر. وأيضا شبه الله الذين يتخذون أولياء غير الله مثل الذين اتخذوا بيت العنكبوت ملجأ، كشف العلم مؤخرا سر ذلك التشبيه، حيث أن بيت العنكبوت هو أبعد البيوت عن صفة البيت بما يلزم البيت من أمان وسكينة وطمأنينة. فالعنكبوت الأنثى هي التي تبني البيت وتغزل خيوطه وهي الحاكمة فيه وتقتل الذكر بعد أن يلقحها وتأكله ولهذا يعمد الذكر إلي الفرار بعد أن يلقح أنثاه ولا يحاول أن يضع قدمه في بيتها، والأبناء يأكل بعضهم بعضا بعد الخروج من البيض، وتغزل أنثى العنكبوت بيتها ليكون فخاً وكميناً ومقتلاً للحشرات، وكل من يدخل البيت من زوار وضيوف يُقتل ويُلتهم، فهو أوهن البيوت لمن يحاول أن يتخذ منه ملجأ.

الباب السابع والخمسون
العلوم المستنبطة من القرآن

قال تعالى : ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام : ٣٨), وقال : وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ (النحل : ٨٩). وقال صلى الله عليه وسلم : ستكون فتن قيل : وما المخرج منها ؟ قال : كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم أخرجه الترمذي وغيره[٩٩]. وأخرج سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال : (من أراد العلم فعليه بالقرآن ، فإن فيه خبر الأولين والآخرين). قال البيهقي : يعني أصول العلم[١٠٠].

وحكى ابن سراقة في كتاب الإعجاز عن أبي بكر بن مجاهد أنه قال يوما : ما من شيء في العالم إلا وهو في كتاب الله فقيل له : فأين ذكر الخانات فيه فقال : في قوله ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾ (النور : ٢٩) . فهي الخانات.

وقال ابن برجان : ما قال النبي صلى الله عليه وسلم من شيء فهو في القرآن أو فيه أصله ، قرب أو بعد ، فهمه من فهمه ، وعمه عنه من عمه ، وكذا كل ما حكم به أو قضى به وإنما يدرك الطالب من ذلك بقدر اجتهاده وبذل وسعه ومقدار فهمه.

---

[٩٩] رواه الترمذي (٢٩٠٦).

[١٠٠] رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٨٠٨).

وقال غيره : ما من شيء إلا يمكن استخراجه من القرآن لمن فهمه الله ، حتى إن بعضهم استنبط عمر النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين سنة من قوله في سورة المنافقين : ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ (المنافقون : ١١). فإنها رأس ثلاث وستين سورة ، وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن في فقده.

وقال ابن أبي الفضل المرسي في تفسيره : جمع القرآن علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحط بها علما حقيقة إلا المتكلم بها، ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا ما استأثر به سبحانه وتعالى، ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم، مثل الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس حتى قال : لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله تعالى، ثم ورث عنهم التابعون بإحسان، ثم تقاصرت الهمم، وفترت العزائم، وتضاءل أهل العلم ، وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه، فنوعوا علومه، وقامت كل طائفة بفن من فنونه فاعتنى قوم بضبط لغاته، وتحرير كلماته، ومعرفة مخارج حروفه وعددها وعدد كلماته وآياته، وسوره وأحزابه، وأنصافه وأرباعه، وعدد سجداته والتعليم عند كل عشر آيات إلى غير ذلك من حصر الكلمات المتشابهة، والآيات المتماثلة من غير تعرض لمعانيه، ولا تدبر لما أودع فيه، فسموا القراء.

واعتنى النحاة بالمعرب منه والمبني من الأسماء والأفعال والحروف العاملة وغيرها، وأوسعوا الكلام في الأسماء وتوابعها وضروب الأفعال، واللازم والمتعدي ورسوم خط الكلمات، وجميع ما يتعلق به حتى إن بعضهم أعرب مشكله، وبعضهم أعربه كلمة كلمة، واعتنى المفسرون بألفاظه فوجدوا منه لفظا يدل على معنى واحد، ولفظا يدل على معنيين، ولفظا يدل على أكثر، فأجروا الأول على حكمه

، وأوضحوا معنى الخفي منه ، وخاضوا في ترجيح أحد محتملات ذي المعنيين والمعاني ، وأعمل كل منهم فكره ، وقال بما اقتضاه نظره.

واعتنى الأصوليون بما فيه من الأدلة العقلية والشواهد الأصلية والنظرية مثل قوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء : ٢٢). إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة فاستنبطوا منه أدلة على وحدانية الله ووجوده وبقائه وقدمه وقدرته وعلمه وتنزيهه عما لا يليق به ، وسموا هذا العلم بأصول الدين.

وتأملت طائفة منهم معاني خطابه فرأت منها ما يقتضي العموم ومنها ما يقتضي الخصوص إلى غير ذلك فاستنبطوا منه أحكام اللغة من الحقيقة والمجاز، وتكلموا في التخصيص، والإخبار، والنص، والظاهر، والمجمل، والمحكم والمتشابه، والأمر والنهي والنسخ إلى غير ذلك من أنواع الأقيسة واستصحاب الحال والاستقراء وسموا هذا الفن أصول الفقه.

وأحكمت طائفة صحيح النظر وصادق النظر فيما فيه من الحلال والحرام وسائر الأحكام ، فأسسوا أصوله ، وفرعوا فروعه وبسطوا القول في ذلك بسطا حسنا ، وسموه بعلم الفروع وبالفقه أيضا.

وتلمحت طائفة ما فيه من قصص القرون السالفة والأمم الخالية ونقلوا أخبارهم ، ودونوا آثارهم ووقائعهم حتى ذكروا بدء الدنيا وأول الأشياء وسموا ذلك بالتاريخ والقصص.

وتنبه آخرون لما فيه من الحكم والأمثال والمواعظ التي تقلقل قلوب الرجال وتكاد تدكدك الجبال فاستنبطوا مما فيه من الوعد والوعيد ، والتحذير والتبشير ، وذكر

الموت والمعاد ، والنشر والحشر ، والحساب والعقاب ، والجنة والنار فصولا من المواعظ ، وأصولا من الزواجر فسموا بذلك الخطباء والوعاظ.

وقد احتوى القرآن على علوم أخرى من علوم الأوائل، مثل: الطب، والجدل، والهيئة، والهندسة، والجبر والمقابلة، والنجامة وغير ذلك.

أما الطب فمداره على حفظ نظام الصحة واستحكام القوة ، وذلك إنما يكون باعتدال المزاج بتفاعل الكيفيات المتضادة ، وقد جمع ذلك في آية واحدة وهي قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (الفرقان : ٦٧). وعرفنا فيه بما يفيد نظام الصحة بعد اختلاله وحدوث الشفاء للبدن بعد اعتلاله في قوله تعالى : ﴿شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ (النحل : ٦٩). ثم زاد على طب الأجسام بطب القلوب وشفاء الصدور.

وأما الهيئة ففي تضاعيف سوره من الآيات التي ذكر فيها ملكوت السماوات والأرض وما بث في العالم العلوي والسفلي من المخلوقات. وأما الهندسة ففي قوله : ﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ (المرسلات :٣٠), الآية. وأما الجدل فقد حوت آياته من البراهين والمقدمات والنتائج والقول بالموجب والمعارضة، وغير ذلك شيئا كثيرا ، ومناظرة إبراهيم نمروذ ومحاجته قومه أصل في ذلك عظيم. وأما الجبر والمقابلة ، فقد قيل : إن أوائل السور فيها ذكر مدد وأعوام وأيام لتواريخ أمم سالفة ، وإن فيها تاريخ بقاء هذه الأمة، وتاريخ مدة أيام الدنيا ، وما مضى وما بقي مضروب بعضها في بعض. وأما النجامة ففي قوله ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ (الأحقاف : ٤). فقد فسره بذلك ابن عباس وفيه أصول الصنائع وأسماء الآلات التي تدعو الضرورة إليها.كالخياطة في قوله : ﴿وَطَفِقَا

يَخْصِفَانِ﴾ (الأعراف : ٢٢). والحدادة ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ (الكهف : ٩٦) . ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ (سبأ : ١٠), الآية.

وأماالإقتصادي كقوله : ﴿وَابْتَغِ فِيْمَآ اٰتٰكَ اللّٰهُ الدَّارَ الْاٰخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (القصص:٧٧), الآية.

قال السيوطي: قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء ، أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها ، وفيه عجائب المخلوقات ، وملكوت السماوات والأرض ، وما في الأفق الأعلى وتحت الثرى ، وبدء الخلق وأسماء مشاهير الرسل والملائكة ، وعيون أخبار الأمم السالفة ، كقصة آدم مع إبليس في إخراجه من الجنة ، وفي الولد الذي سماه عبد الحارث ، ورفع إدريس ، وغرق قوم نوح ، وقصة عاد الأولى والثانية ، وثمود والناقة ، وقوم يونس ، وقوم شعيب ، والأولين والآخرين ، وقوم لوط ، وقوم تبع ، وأصحاب الرس ، وقصة إبراهيم في مجادلته قومه ومناظرته نمروذ ، ووضعه إسماعيل مع أمه بمكة ، وبنائه البيت ، وقصة الذبيح ، وقصة يوسف وما أبسطها ، وقصة موسى في ولادته وإلقائه في اليم ، وقتل القبطي ، ومسيره إلى مدين وتزوجه بنت شعيب ، وكلامه تعالى بجانب الطور ومجيئه إلى فرعون ، وخروجه وإغراق عدوه ، وقصة العجل والقوم الذين خرج بهم فأخذتهم الصعقة ، وقصة القتيل ، وذبح البقرة ، وقصته مع الخضر ، وقصته في قتال الجبارين ، وقصة القوم الذين ساروا في سرب في الأرض إلى الصين ، وقصة طالوت وداود مع جالوت وفتنته ، وقصة سليمان وخبره مع ملكة سبأ وفتنته ، وقصة القوم الذين خرجوا فرارا من الطاعون فأماتهم الله ثم أحياهم ، وقصة ذي القرنين ومسيره إلى مغرب الشمس ومطلعها وبنائه

السد ، وقصة أيوب وذي الكفل وإلياس ، وقصة مريم وولادتها وعيسى وإرساله ، ورفعه ، وقصة زكريا وابنه يحيى ، وقصة أصحاب الكهف ، وقصة أصحاب الرقيم ، وقصة بختنصر ، وقصة الرجلين اللذين لأحدهما الجنة ، وقصة أصحاب الجنة ، وقصة مؤمن آل يس ، وقصة أصحاب الفيل.

وفيه من شأن النبي صلى الله عليه وسلم دعوة إبراهيم به ، وبشارة عيسى ، وبعثه وهجرته ، ومن غزواته سرية ابن الحضرمي في البقرة ، وغزوة بدر في سورة الأنفال ، وأحد في آل عمران ، وبدر الصغرى فيها ، والخندق في الأحزاب ، والحديبية في الفتح ، والنضير في الحشر ، وحنين وتبوك في " براءة " ، وحجة الوداع في المائدة ، ونكاحه زينب بنت جحش ، وتحريم سريته ، وتظاهر أزواجه عليه ، وقصة الإفك ، وقصة الإسراء ، وانشقاق القمر ، وسحر اليهود إياه.

وفيه بدء خلق الإنسان إلى موته ، وكيفية الموت ، وقبض الروح وما يفعل بها بعد ، وصعودها إلى السماء ، وفتح الباب للمؤمنة وإلقاء الكافرة ، وعذاب القبر والسؤال فيه ، ومقر الأرواح ، وأشراط الساعة الكبرى ، وهي : نزول عيسى ، وخروج الدجال ، ويأجوج ومأجوج ، والدابة ، والدخان ، ورفع القرآن ، والخسف ، وطلوع الشمس من مغربها ، وغلق باب التوبة ، وأحوال البعث من النفخات الثلاث : نفخة الفزع ، ونفخة الصعق ، ونفخة القيام ، والحشر والنشر ، وأهوال الموقف ، وشدة حر الشمس ، وظل العرش ، والميزان والحوض ، والصراط ، والحساب لقوم ونجاة آخرين منه ، وشهادة الأعضاء ، وإيتاء الكتب بالأيمان والشمائل ، وخلف الظهر والشفاعة ، والمقام المحمود ، والجنة وأبوابها وما فيها من الأنهار والأشجار والثمار والحلي والأواني والدرجات ورؤيته تعالى ، والنار

وأبوابها وما فيها من الأودية ، وأنواع العقاب ، وألوان العذاب ، والزقوم والحميم وفيه جميع أسمائه تعالى الحسنى ، كما ورد في حديث ، ومن أسمائه مطلقا ألف اسم ، ومن أسماء النبي صلى الله عليه وسلم جملة ، وفيه شعب الإيمان البضع والسبعون ، وشرائع الإسلام الثلاثمائة وخمسة عشر.

وفيه أنواع الكبائر وكثير من الصغائر ، وفيه تصديق كل حديث ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم إلى غير ذلك مما يحتاج شرحه إلى مجلدات.



الباب الثامن والخمسون
الأمثال في القرآن

أذكر الله في كتابه العزيز أنه يضرب الأمثال : وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ، وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ، ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون ، وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال : "إن الله أنزل القرآن آمرا وزاجرا ، وسنة خالية ، ومثلا مضروبا".

تعريف المثل :

والأمثال : جمع مثل ، والمثل والمثل والمثيل : كالشبه والشبه والشبيه لفظا ومعنى. وأمثال القرآن: هي أسلوبٌ بلاغيٌّ يُستعمل في توصيل المطلوب إلى السامع وإبراز المعنى في صورة رائعة موجزة لها وقعها في النفس، سواءً أكانت تشبيهًا أو قولًا مرسلًا.

أمثال القرآن قسمان :

١. ظاهر مصرح به ، كقوله تعالى : ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ (البقرة : ١٧ – ٢٠). الآيات ضرب فيها للمنافقين مثلين : مثلا بالنار ومثلا بالمطر.
٢. كامن لا ذكر للمثل فيه، فهل تجد في كتاب الله (من جهل شيئا عاداه) قال : نعم في موضعين ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ﴾ (يونس : ٣٩). و ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ (الأحقاف : ١١).

أنواع الأمثال في القرآن

الأمثال في القرآن ثلاثة أنواع [101]:

١. الأمثال المصرحة : وهي ما صرح فيها بلفظ المثل ، أو ما يدل على التشبيه ، وهي كثيرة في القرآن، منها:

كقوله تعالى في حق المنافقين : مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق إلى قوله : إن الله على كل شيء قدير.

ففي هذه الآيات ضرب الله للمنافقين مثلين : مثلا ناريا في قوله : ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ لما في النار من مادة النور ، ومثلا مائيا في قوله : (أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ) لما في الماء من مادة الحياة ، وقد نزل الوحي من السماء متضمنا لاستنارة القلوب وحياتها. وذكر الله حظ المنافقين في الحالين. فهم بمنزلة من استوقد نارا للإضاءة والنفع حيث انتفعوا ماديا بالدخول في الإسلام، ولكن لم يكن له أثر نوري في قلوبهم ، فذهب الله به في النار من الإضاءة : ذهب الله بنورهم وأبقى ما فيها من الإحراق ، وهذا مثلهم الناري.

[101] مناع القطان في المباحث (٢٧٨)

٢. الأمثال الكامنة – وهي التي لم يصرح فيها بلفظ التمثيل ، ولكنها تدل على معان رائعة في إيجاز : يكون لها وقعها إذا نقلت إلى ما يشبهها ، ويمثلون لهذا النوع بأمثلة منها :

ما في معنى قولهم : "خير الأمور الوسط"

أ- قوله تعالى في البقرة : ﴿لاَ فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ (البقرة : ٦٨).

ب- قوله تعالى في النفقة : "والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما".

ج- قوله تعالى في الصلاة : "ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا".

د- قوله تعالى في الإنفاق : "ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط".

٣. الأمثال المرسلة في القرآن : وهي جمل أرسلت إرسالا من غير تصريح بلفظ التشبيه . فهي آيات جارية مجرى الأمثال. ومن أمثلة ذلك : كقوله تعالى "لكل نبإ مستقر"، "أليس الصبح بقريب".



الباب التاسع والخمسون

أقسام القرآن

تعريف القَسَم وصيغته:

والأقسام :جمع قَسَم – بفتح السين– بمعنى الحلف واليمين, والصيغة الأصلية للقسم أن يؤتى بالفعل "أقسم "أو "أحلف "متعديًا بالباء إلى المقسم به. ثم يأتي المقسم عليه، وهو المسمى بجواب القسم، كقوله تعالى:﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ (النحل : ٣٨).

فأجزاء صيغة القسم ثلاثة:

١ –الفعل الذي يتعدى بالباء.

٢ –والمقسم به.

٣ –والمقسم عليه.

ولما كان القسم يكثر في الكلام، اختصر فصار فعل القسم يحذف ويكتفى بالباء١ ثم عُوِّض عن الباء بالواو في الأسماء الظاهرة كقوله تعالى :﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ (الليل : ١), وبالتاء في لفظ الجلالة كقوله:﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾(الأنبياء : ٥٧) وهذا قليل، أما الواو فكثيرة.

قال السيوطي أن القرآن نزل بلغة العرب ، ومن عادتها القسم إذا أرادت أن تؤكد أمرا. وقال أبو القاسم القشيري بأن الله ذكر القسم لكمال الحجة وتأكيدها ، وذلك أن الحكم يفصل باثنين : إما بالشهادة وإما بالقسم ، فذكر تعالى في كتابه النوعين حتى لا يبقى لهم حجة فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ (آل عمران : ١٨). وقال ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ (يونس : ٥٣)وعن بعض الأعراب أنه لما سمع قوله: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ

وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾(الذاريات : ٢٢ ، ٢٣). صرخ وقال : من ذا الذي أغضب الجليل حتى ألجأه إلى اليمين.

ولا يكون القسم إلا باسم معظم وقد أقسم الله تعالى بنفسه في القرآن في سبعة مواضع :الآية المذكورة بقوله: ﴿ قُلْ إِي وَرَبِّي ﴾ (يونس : ٥٣). ﴿ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾ (التغابن :٧) ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾ (مريم : ٦٨) ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الحجر : ٩٢) ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (النساء : ٦٥) ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾ (المعارج : ٤).﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ (السبأ : ٣).

والباقي كله قسم بمخلوقاته كقوله تعالى:

والتين والزيتون والصافات والشمس والليل والضحى فلا أقسم بالخنس (التكوير : ١٥).

أنواع القسم

القسم إما ظاهر، وإما مضمر.

١. فالظاهر :هو ما صُرح فيه بفعل القسم, وصرح فيه بالمقسم به، ومنه ما حذف فيه فعل القسم كما هو الغائب اكتفاء بالجار من الياء أو الواو أو التاء.

وقد أدخلت "لا "النافية على فعل القسم في بعض المواضع .كقوله تعالى :﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ، الْقِيَامَةِ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (القيامة: ١-٢) فقيل" :لا "في الموضعين نافية لمحذوف يناسب المقام، والتقدير مثلًا :لا صحة لما تزعمون أنه لا حساب ولا عقاب، ثم استأنف فقال :أقسم بيوم القيامة، وبالنفس اللوامة، أنكم ستبعثون .وقيل" :لا "لنفي القسم كأنه

قال: لا أقسم عليك بذلك اليوم وتلك النفس، ولكني أسألك غير مقسِم، أتحسب أنَّا لا نجمع عظامك إذا تفرقت بالموت؟ إن الأمر من الظهور بحيث لا يحتاج إلى قسم .وقيل" :لا "زائدة – وجواب القسم في الآية المذكورة محذوف دل عليه قوله بعد:﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ ... إلخ، والتقدير :لتبعثن ولتحاسبن.

٢. والقسم المضمر هو ما لم يصرّح فيه بفعل القسم، ولا بالمقسَم به، وإنما تدل عليه اللام المؤكدة التي تدخل على جواب القسم كقوله تعالى :﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ (آل عمران : ١٨٩) ,أي والله لتبلون.



الباب الستون

جدل القرآن

تعريف الجدل

الجدال :المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم، أصله من جدلت الحبل :أي أحكمت فتله، فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه.

وقد ذكره الله في القرآن على أنه من طبيعة الإنسان في قوله :﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ (الكهف : ٥٤) ,أي خصومة ومنازعة.

وأمر رسول الله –صلى الله عليه وسلم –أن يجادل المشركين بالطريقة الحسنة التي تلين عريكتهم في قوله :﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل : ١٢٥).

أنواع المصطلح في علم الجدل :

١. السبر والتقسيم.

ومن أمثلته في القرآن قوله تعالى: ﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ ﴾ (الأنعام : ١٤٣). الآيتين فإن الكفار لما حرموا ذكور الأنعام تارة ، وإناثها أخرى رد تعالى ذلك عليهم بطريق السبر والتقسيم ، فقال : إن الخلق لله تعالى خلق من كل زوج مما ذكر ذكرا وأنثى ، فمم جاء تحريم ما ذكرتم أي : ما علته لا يخلو إما أن يكون من جهة الذكورة أو الأنوثة أو اشتمال الرحم الشامل لهما ، أو لا يدري له علة ، وهو التعبدي بأن أخذ ذلك عن الله تعالى والأخذ عن الله تعالى إما بوحي وإرسال رسول أو سماع كلامه ،

ومشاهدة تلقي ذلك عنه وهو معنى قوله ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا ﴾ (الأنعام : ١٤٤). فهذه وجوه التحريم لا تخرج عن واحد منها.

١. القول بالموجب, قال ابن أبي الإصبع :وحقيقته رد كلام الخصم من فحوى كلامه.

٢. التسليم ، وهو أن يفرض المحال إما منفيا أو مشروطا بحرف الامتناع ، لكون المذكور ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شرطه ، ثم يسلم وقوع ذلك تسليما جدليا ، ويدل على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه ، كقوله تعالى :﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (المؤمنون : ٩) . المعنى : ليس مع الله من إله ، ولو سلم أن معه سبحانه وتعالى إلها لزم من ذلك التسليم ذهاب كل إله من الاثنين بما خلق ، وعلو بعضهم على بعض ، فلا يتم في العالم أمر ، ولا ينفذ حكم ولا تنتظم أحواله ، والواقع خلاف ذلك ، ففرض إلهين فصاعدا محال لما يلزم منه المحال.

٣. الإسجال وهو الإتيان بألفاظ تسجل على المخاطب وقوع ما خوطب به نحو: ﴿ رَبَّنَا وَاٰتِنَا مَا وَعَدْتَّنَا عَلٰى رُسُلِكَ ﴾ (آل عمران :١٩٤) . ﴿رَبَّنَا وَاَدْخِلْهُمْ جَنّٰتِ عَدْنِ ِالَّتِيْ وَعَدْتَّهُمْ﴾ (غافر : ٨). فإن في ذلك إسجالا بالإيتاء والإدخال ، حيث وصفا بالوعد من الله الذي لا يخلف وعده.

٤. الانتقال وهو أن ينتقل المستدل إلى استدلال غير الذي كان آخذا فيه ، لكون الخصم لم يفهم وجه الدلالة من الأول ، كما جاء في مناظرة الخليل الجبار لما قال له : ﴿رَبِّيَ الَّذِيْ يُحْيِي وَيُمِيْتُۙ﴾ (البقرة : ٢٥٨). فقال الجبار

: أنا أحيي وأميت ثم دعا بمن وجب عليه القتل فأعتقه ، ومن لا يجب عليه فقتله ، فعلم الخليل أنه لم يفهم معنى الإحياء والإماتة ، أو علم ذلك وغالط بهذا الفعل ، فانتقل عليه السلام إلى استدلال لا يجد الجبار له وجها يتخلص به منه ، فقال :﴿فَاِنَّ اللّٰهَ يَأْتِيْ بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ (البقرة : ٢٥٨). فانقطع الجبار وبهت ولم يمكنه أن يقول أنا الآتي بها من المشرق لأن من هو أسن منه يكذبه.

٥. المناقضة وهي تعليق أمر على مستحيل ، إشارة إلى استحالة وقوعه كقوله تعالى : ﴿وَلَا يَدْخُلُوْنَ الْجَنَّةَ حَتّٰى يَلِجَ الْجَمَلُ فِيْ سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ (الأعراف: ٤٠).

٦. مجاراة الخصم ليعثر بأن يسلم بعض مقدماته ، حيث يراد تبكيته وإلزامه ، كقوله تعالى : ﴿ قَالُوْٓا اِنْ اَنْتُمْ اِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَاۗ تُرِيْدُوْنَ اَنْ تَصُدُّوْنَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ اٰبَآؤُنَا فَأْتُوْنَا بِسُلْطٰنٍ مُّبِيْنٍ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ اِنْ نَّحْنُ اِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ (إبراهيم : ١٠ ، ١١). الآية فقولهم : إن نحن إلا بشر مثلكم الآية . . فيه اعتراف الرسل بكونهم مقصورين على البشرية ، فكأنهم سلموا انتفاء الرسالة عنهم ، وليس مرادا بل هو من مجاراة الخصم ليعثر ، فكأنهم قالوا : ما ادعيتم من كوننا بشرا حق لا ننكره ولكن هذا لا ينافي أن يمن الله تعالى علينا بالرسالة.



الباب الحادي والستون

المبهمات

مبهمات القرآن هي أحد علوم القرآن و يُعنى ببيان ما خفي اسمه أو رسمه أو وصفه أو زمانه أو مكانه، ونحو ذلك مما خفيت آثاره، أو جُهلِت أحوالُه لسبب من الأسباب الجلية أو الخفية، سواءً احتاج المكلفون إلى معرفته، بالبحث عن الوسائل التي تزيل خفاءه، وتدفع إشكاله، أم لم يحتاجوا إلى ذلك.[١٠٢]

اسباب مبهمات في القرآن

وللإبهام في القرآن أسباب :

١. الاستغناء ببيانه في موضع آخر كقوله : ﴿صِرَاطَ الَّذِيْنَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ (الفاتحة : ٧). فإنه مبين في قوله: ﴿ مَعَ الَّذِيْنَ اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيّٖنَ وَالصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاۤءِ وَالصّٰلِحِيْنَ ﴾ (النساء : ٦٩).
٢. أن يتعين لاشتهاره كقوله : ﴿وَقُلْنَا يٰٓاٰدَمُ اسْكُنْ اَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (البقرة : ٣٥). ولم يقل : حواء لأنه ليس له غيرها ﴿اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِيْ حَاۤجَّ اِبْرٰهٖمَ فِيْ رَبِّه﴾ (البقرة : ٢٥٨) . والمراد نمروذ لشهرة ذلك لأنه المرسل إليه.
٣. قصد الستر عليه ليكون أبلغ من استعطافه نحو : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُّعْجِبُكَ قَوْلُه فِى الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾ (البقرة : ٢٠٤). الآية هو الأخنس بن شريق وقد أسلم بعد وحسن إسلامه.
٤. أن لا يكون في تعيينه كبير فائدة نحو : ﴿اَوْ كَالَّذِيْ مَرَّ عَلٰى قَرْيَةٍ﴾ (البقرة: ٢٥٩). ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ (الأعراف : ١٦٣).

[١٠٢] إبراهم محمد في معجم علوم القرآن (ص : ٢٣٨).

٥. التنبيه على العموم وأنه لو عين غير خاص بخلاف ما نحو: ﴿ وَمَنْ يَّخْرُجْ مِنْۢ بَيْتِه مُهَاجِرًا﴾ (النساء : ١٠٠).

٦. تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم نحو : ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ﴾ (النور : ٢٢) . ﴿وَالَّذِيْ جَآءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِه ﴾ (الزمر : ٣٣) . ﴿إِذْ يَقُوْلُ لِصَاحِبِه﴾ (التوبة : ٤٠). والمراد الصديق في الكل.

***

الباب الثاني والستون

في مرسوم الخط وآداب كتابته

القاعدة العربية أن اللفظ يكتب بحروف هجائية مع مراعاة الابتداء به والوقف عليه ، وقد مهد النحاة أصولا وقواعد، وقد خالفها في بعض الحروف خط الْمصحف الإمامِ.

قال السيوطي : وسنحصر أمر الرسم في : الْحذف ، والزيادة، والهمز، والبدل، والْوصل، والفصل، وما فيه قراءتان فكتب على إحداهما.

القاعدة الْخَطِّ في القرآن الكريم

القاعدة الأولى : في الحذف, وامثالها تحذف الألف من ياء النداء نحو : يا أيها الناس ، يا آدم ، يا رب ، يا عبادي . وهاء التنبيه نحو : هؤلاء ، ها أنتم . و(نا) مع ضمير نحو أنجيناكم آتيناه.

القاعدة الثانية : في الزيادة, ومثلها زيدت ألف بعد الواو آخر اسم مجموع نحو :بَنُو إِسْرَائِيلَ ، مُلَاقُو رَبِّهِمْ (البقرة : ٤٦). أُولُو الْأَلْبَابِ (آل عمران : ٧). بخلاف المفرد ، نحو لَذُو عِلْمٍ (يوسف : ٦٨). إِلَّا الرِّبَا (البقرة : ٢٧٥). و إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ (النساء : ١٧٦) وآخر فعل مفرد أو جمع ، مرفوع أو منصوب إِلَّا جَاءُوكَ (آل عمران : ١٨٤). و وَبَاءُوا (البقرة : ٦١). حيث وقعا ، و وَعَتَوْا عُتُوًّا (الفرقان : ٢١). فَإِنْ فَاءُوا (البقرة : ٢٢٦). وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ (الحشر : ٩) . عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ (النساء :٩٩) سَعَوْا فِي آيَاتِنَا (سبأ :٥).

القاعدة الثالثة : في الهمز, وامثاله يكتب الساكن بحرف حركة ما قبله ، أولا أو وسطا أو آخرا نحو : ائْذَنْ (التوبة : ٤٩). و اؤْتُمِنَ (البقرة : ٢٨٣).

و الْبَأْسَاءِ (البقرة :١٧٧). و اقرأ و جِئْنَاكَ (الحجر : ٦٣) .وَهَيِّئْ (الكهف : ١٠). و وَالْمُؤْتُونَ (النساء : ١٦٢). و تَسُؤْهُمْ (آل عمران : ١٢٠). إلا : فَادَّارَأْتُمْ (البقرة : ٧٢) . و وَرِئْيًا (مريم : ٧٤). و لِلرُّؤْيَا (يوسف : ٤٣) . و شَطْأَهُ (الفتح : ٢٩). فحذف فيها . وكذا أول الأمر بعد فاء ، نحو :فَأْتُوا (البقرة :٢٣). أو واو نحو: وَأْتَمِرُوا (الطلاق : ٦). والمتحرك إن كان أولا أو اتصل به حرف زائد بالألف مطلقا أي : سواء كان فتحا أو كسرا نحو : وَأَيُّوبَ إِذَا أُولُوا الْقُرْبَى سَأَصْرِفُ (الأعراف : ١٤٦). فبأي سَأُنْزِلُ (الأنعام : ٩٣). إلا مواضع: أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ (الأنعام : ١٩) أئنكم لتكفرون أئنكم لتأتون في النمل (٥٥) . أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ (النمل :٦٧) أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا (الصافات : ٣٦ أَئِنَّ لَنَا (الشعراء:٤١) أَئِذَا مِتْنَا (المؤمنون : ٨٢) .أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ (يس : ١٩) . أَئِفْكًا (الصافات : ٨٦) أَئِمَّةَ (التوبة : ١٢). لئلا لئن يومئذ حينئذ فتكتب فيها بالياء ، قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ (آل عمران : ١٥). و هؤلاء فتكتب بالواو.

القاعدة الرابعة : في البدل, وامثاله تكتب بالواو للتفخيم : ألف الصلاة و الزكاة و الحياة و الربا غير مضافات، والغداة، ومشكاة، و النجاة (غافر : ٤١). و وَمَنَاةَ (النجم : ٢٠). وبالياء كل ألف منقلبة عنها نحو : يَتَوَفَّاكُمْ (يونس : ١٠٤). في اسم أو فعل، اتصل به ضمير أم لا ، لقي ساكنا أم لا ، ومنه :يَاحَسْرَتَا(الزمر : ٥٦). يَاأَسَفَى (يوسف : ٨٤). إِلَّا تَتْرَى (المؤمنون : ٤٤). و كِلْتَا (الكهف : ٣٣). و هَدَانِي (الأنعام : ١٦١). و وَمَنْ عَصَانِي (إبراهيم : ٣٦). و الْأَقْصَى (الإسراء : ١). و أَقْصَى الْمَدِينَةِ (القصص : ٢٠). و مَنْ تَوَلَّاهُ (الحج : ٤). و طَغَى الْمَاءُ (الحاقة : ١١). و سِيمَاهُمْ (الفتح : ٢٩).

وإلا ما قبلها ياء ، كالدنيا و الْحَوَايَا (الأنعام : ١٤٦). إلا ويحيى اسما وفعلا.
ويكتب بها إلى، وعلى، وأنى بمعنى كيف، ومتى وبلى، وحتى، إِلَّا لَدَى الْبَابِ (يوسف : ٢٥).

القاعدة الخامسة في الوصل والفصل, وامثالهما توصل (ألا) بالفتح إلا عشرة : أن لا أقول أن لا يقولوا في الأعراف . أن لا ملجأ في هود : أَنْ لَا إِلَهَ (هود : ١٤) . أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّيَ أَخَافُ في الأحقاف (٢١) أَنْ لَا تُشْرِكْفي الحج (٢٦) أَنْ لَا تَعْبُدُوا في يس (٦٠) وَأَنْ لَا تَعْلُوا في الدخان : (١٩) .أَنْ لَا يُشْرِكْنَ في الممتحنة (١٢) أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا في ن (٢٤).

و (مما) إلا : فَمِنْ مَا مَلَكَتْ (النساء :٢٥). و(الروم : ٢٨) مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ (المنافقين: ١٠).

و (ممن) مطلقا.

و (عما) إلا : عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ (الأعراف : ١٦٦).

و (إما) بالكسر ، إلا : وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ في الرعد (٤٠). و (أما) بالفتح مطلقا.

و (عمن) إلا: ﴿ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ ﴾ (النور :٤٣) عَنْ مَنْ تَوَلَّى في النجم (٢٩).

و (أمّن) إلا : أَمْ مَنْ يَكُونُ في النساء : (١٠٩) أَمْ مَنْ أَسَّسَ (التوبة : ١٠٩) أَمْ مَنْ خَلَقْنَا في الصافات : (١١) أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا (فصلت : ٤٠)

و (إلم) بالكسر إلا : فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا فِي القصص : (٥٠).

و (فيما) إلا أحد عشر : فِيمَا فَعَلْنَ الثاني في البقرة: (٢٠٤). لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا في المائدة : (٤٨). والأنعام : (١٦٥). قُلْ لَا أَجِدُ (الأنعام : ١٤٥) فِي مَا اشْتَهَتْ في الأنبياء : (١٠٢). فِي مَا أَفَضْتُمْ (النور : ١٤).فِي مَا هَاهُنَا في

الشعراء : (١٤٦). فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ في الروم : (٢٨). فِي مَا هُمْ فِيهِ فِي مَا كَانُوا فِيهِ كلاهما في الزمر : (٣-٤٦). وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ في الواقعة : (٦١).

و (إنما) إلا : إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ في الأنعام : (١٣٤).

و (أنما) بالفتح إلا : وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ في الحج : (٦٢). ولقمان : (٣٠).

و (كلما) إلا : كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ (النساء : ٩١) .مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ (إبراهيم : ٣٤).

و (بئسما) إلا مع اللام.

و (نعما) و (مهما) و (ربما) و (كأنما) و (ويكأن)

وتقطع (حيث ما) و (أن لم) بالفتح ، و (أن لن) إلا في الكهف والقيامة

و (أين ما) إلا : فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا (البقرة : ١١٥). أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ (النحل : ٧٦).

القاعدة السادسة : فيما فيه قراءتان فكتب على إحداهما .ومرادنا غير الشاذ من ذلك : مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ يُخَادِعُونَ (لبقرة : ٩ ، والنساء ١٤٢). و وَاعَدْنَا (البقرة : ٥١ ، والأعراف : ١٤٢). و الصَّاعِقَةُ (البقرة :٥٥). و الرِّيَاحِ (البقرة : ١٦٤). و تُفَادُوهُمْ (البقرة : ٨٥). و تَظَاهَرُونَ (البقرة : ٨٥ ، والأحزاب : ٤) . وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ (البقرة : ١٩١). ونحوها. وَلَوْلَا دَفْعُ فَرِهَانٌ (البقرة : ٢٨٣) . طَيْرًا في آل عمران : (٤٩). والمائدة : مُضَاعَفَةً (آل عمران : ١٣٠) . ونحوه.

عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ (النساء : ٣٣) . الْأَوْلَيَانِ (المائدة : ١٠٧) .لَامَسْتُمُ (النساء : ٢٤٣ ، والمائدة : ٦) . قَاسِيَةً (المائدة : ٢١٣ ، والحج : ٥٣ ، والزمر : ٢٢) . قِيَامًا النساء : (٥) خطيئاتكم في الأعراف : (١٦١).

طَائِفٌ (الأعراف : ٢٠١ ، والقلم : ١٩) . حَاشَ لِلَّهِ (يوسف : ٣١). وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ (الرعد : ٤٢).تَزَاوَرُ (الكهف : ١٧) . ززَكِيَّةً (الكهف : ٧٤) .فَلَا تُصَاحِبْنِي(الكهف : ٧٦). لَاتَّخَذْتَ (الكهف : ٧٧). مِهَادًا (طه : ٥٣ ، والزخرف : ١٠). وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ (الأنبياء : ٩٥) . إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ (الحج : ٣٨). سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى (الحج : ٢). الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ (المؤمنون : ١٤). سِرَاجًا بَلِ ادَّارَكَ (النمل : ٦٦). وَلَا تُصَعِّرْ (لقمان : ١٨) . رَبَّنَا بَاعِدْ (سبأ : ١٩). أَسْوِرَةٌ (الزخرف : ٥٣).

بلا ألف في الكل ، وقد قرئت بها وبحذفها.

في آداب كتابته

يستحب كتابة المصحف، وتحسين كتابته وتبيينها وإيضاحها، وتحقيق الخط دون مشقة وتعليقه فيكره، وكذا كتابته في الشيء الصغير, أخرج أبو عبيد في فضائله، عن عمر أنه وجد مع رجل مصحفا قد كتبه بقلم دقيق، فكره ذلك وضربه، وقال : عظموا كتاب الله. وكان عمر إذا رأى مصحفا عظيما سر به .

وأخرج عن ابن سيرين :أنه كان يكره أن تمد الباء إلى الميم حتى تكتب السين.

وأخرج ابن أبي داود في المصاحف[١٠٣] عن ابن سيرين :أنه كره أن يكتب المصحف مشقا قيل : لم ؟ قال : لأن فيه نقصا.

وتحرم كتابته بشيء نجس : وأما بالذهب فهو حسن ، كما قاله الغزالي.

وهل تجوز كتابته بقلم غير العربي ؟ قال الزركشي :لم أر فيه كلاما لأحد من العلماء.

قال : ويحتمل الجواز; لأنه قد يحسنه من يقرؤه بالعربية والأقرب المنع كما تحرم

---

[١٠٣] المصاحف لابن أبي داود (٣٩٧).

قراءته بغير لسان العرب ، ولقولهم : القلم أحد اللسانين ، والعرب لا تعرف قلما غير العربي ، وقد قال الله تعالى : ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِيْنٍ ﴾ (الشعراء :١٩٥).



الباب الثالث والستون

في معرفة تفسيره وتأويله وبيان شرفه والحاجة إليه

تعريف التفسير والتأويل

التفسير : تفعيل من الفسر وهو البيان والكشف . ويقال هو مقلوب السفر . تقول : أسفر الصبح : إذا أضاء.

وقيل : مأخوذ من التفسرة وهي اسم لما يعرف به الطبيب المرض. والتأويل : أصله من الأول وهو الرجوع ، فكأنه صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني . وقيل : من الإيالة ، وهي السياسة كأن المؤول للكلام ساس الكلام ، ووضع المعنى فيه موضعه.

وشرف علم التفسير

وأما شرفه فلا يخفى، قال تعالى: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة : ٢٦٩).

أخرج ابن أبي حاتم وغيره ، من طريق ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله تعالى : يؤتي الحكمة قال : المعرفة بالقرآن، ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله.[١٠٤]

وأخرج ابن مردويه ، من طريق جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، مرفوعا :يؤتي الحكمة قال : القرآن .

قال ابن عباس :يعني تفسيره ، فإنه قد قرأه البر والفاجر.

---

[١٠٤] تفسير ابن حاتم : (٥٣١/٢).

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء :يؤتي الحكمة قال : قراءة القرآن والفكرة فيه.[105]

وأخرج ابن جرير مثله ، عن مجاهد ، وأبي العالية ، وقتادة.

وقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ (العنكبوت : ٤٣). أخرج ابن أبي حاتم ، عن عمرو بن مرة ، قال : ما مررت بآية في كتاب الله لا أعرفها إلا أحزنتني ، لأني سمعت الله يقول : وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون .

وأخرج أبو عبيد ، عن الحسن قال : ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن تعلم فيم أنزلت وما أراد بها.

قال الأصبهاني :أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن .بيان ذلك أن شرف الصناعة إما بشرف موضوعها مثل الصياغة ، فإنها أشرف من الدباغة ، لأن موضوع الصياغة الذهب والفضة ، وهما أشرف من موضوع الدباغة الذي هو جلد الميتة . وإما بشرف غرضها مثل صناعة الطب ، فإنها أشرف من صناعة الكناسة ، لأن غرض الطب إفادة الصحة ، وغرض الكناسة تنظيف المستراح.

وإما لشدة الحاجة إليها كالفقه ، فإن الحاجة إليه أشد من الحاجة إلى الطب ، إذ ما من واقعة في الكون في أحد من الخلق إلا وهي مفتقرة إلى الفقه ، لأن به انتظام صلاح أحوال الدنيا والدين ، بخلاف الطب فإنه يحتاج إليه بعض الناس في بعض الأوقات.

---

[105] تفسير ابن حاتم (٥٣٣/٢).

في الحاجة إلى التفسير

اعلم أن من المعلوم أن الله إنما خاطب خلقه بما يفهمونه ، ولذلك أرسل كل رسول بلسان قومه ، وأنزل كتابه على لغتهم . وإنما احتيج إلى التفسير لما سيذكر بعد تقرير قاعدة ، وهي أن كل من وضع من البشر كتابا فإنما وضعه ليفهم بذاته من غير شرح ، وإنما احتيج إلى الشروح لأمور ثلاثة :

١. كمال فضيلة المصنف ، فإنه لقوته العلمية يجمع المعاني الدقيقة في اللفظ الوجيز ، فربما عسر فهم مراده ، فقصد بالشرح ظهور تلك المعاني الخفية ، ومن هنا كان شرح بعض الأئمة تصنيفه أدل على المراد من شرح غيره له.
٢. إغفاله بعض تتمات المسألة أو شروط لها اعتمادا على وضوحها أو لأنها من علم آخر فيحتاج الشارح لبيان المحذوف ومراتبه.
٣. احتمال اللفظ لمعان كما في المجاز والاشتراك ، ودلالة الالتزام ، فيحتاج الشارح إلى بيان غرض المصنف وترجيحه . وقد يقع في التصانيف ما لا يخلو عنه بشر من السهو والغلط أو تكرار الشيء ، أو حذف المبهم ، وغير ذلك ، فيحتاج الشارح للتنبيه على ذلك.

ولذلك فقال السيوطي : إن القرآن إنما نزل بلسان عربي في زمن أفصح العرب وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه.

أما دقائق باطنه : فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر مع سؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم في الأكثر ، كسؤالهم لما نزل قوله: ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ (الأنعام : ٨٢). فقالوا : وأينا لم يظلم نفسه. ففسره النبي صلى الله عليه وسلم ، واستدل عليه بقوله:﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان : ١٣).

وكسؤال عائشة عن الحساب اليسير ، فقال : ذلك العرض . وكقصة عدي بن حاتم في الخيط الأبيض والأسود ، وغير ذلك مما سألوا عن آحاد منه ، ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه ، وزيادة على ذلك مما لم يحتاجوا إليه من أحكام الظواهر ، لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم ، فنحن أشد الناس احتياجا إلى التفسير.

ومعلوم أن تفسير بعضه يكون من قبل الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها ، وبعضه من قبل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض.



الباب الرابع والستون

معرفة شروط المفسر وآدابه

وقال بعضهم : اختلف الناس في تفسير القرآن : هل يجوز لكل أحد الخوض فيه ؟ فقال قوم : لا يجوز لأحد أن يتعاطى تفسير شيء من القرآن ، وإن كان عالما أديبا متسعا في معرفة الأدلة والفقه والنحو والأخبار والآثار ، وليس له إلا أن ينتهي إلى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك.

يحتاج المفسر جامع العلوم وهي خمسة عشر علما :

أحدها : اللغة لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع.

الثاني : النحو لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب فلا بد من اعتباره.

أخرج أبو عبيد عن الحسن أنه سئل عن الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ويقيم بها قراءته.

الثالث : التصريف لأن به تعرف الأبنية والصيغ . قال ابن فارس :ومن فاته علمه فاته المعظم لأن (وجد) مثلا كلمة مبهمة فإذا صرفناها اتضحت بمصادرها.

الرابع : الاشتقاق لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما كالمسيح هل هو من السياحة أو المسح.

الْخامس والسّادس والسابعُ: المعاني والبيان والبديع : لأنه يعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى ، وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها ، وبالثالث وجوه تحسين الكلام ، وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة وهي من أعظم أركان المفسر; لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز وإنما يدرك بهذه العلوم.

الثامنُ: علم القراءات : لأنه به يعرف كيفية النطق بالقرآن ، وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض

التاسعُ: أصول الدين بما في القرآن من الآيات الدالة بظاهرها على ما لا يجوز على الله تعالى ، فالأصولي يئول ذلك ، ويستدل على ما يستحيل وما يجب وما يجوز.

العاشر : أصول الفقه : إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط

الحادي عشر : أسباب النزول والقصص : إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه.

الثاني عشر : الناسخ والمنسوخ ليعلم المحكم من غيره.

الثالث عشر : الفقه.

الرابع عشر : الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم.

الخامس عشر : علم الموهبة : وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم ، وإليه الإشارة بحديث : ((من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم))[١٠٦] قال ابن أبي الدنيا :وعلوم القرآن وما يستنبطه منه بحر لا ساحل له.

قال العلماء : يجب على المفسر أن يتحرى في التفسير مطابقة المفسر ، وأن يتحرز في ذلك من نقص عما يحتاج إليه في إيضاح المعنى ، أو زيادة لا تليق بالغرض ، ومن كون المفسر فيه زيغ عن المعنى ، وعدول عن طريقه . وعليه بمراعاة المعنى الحقيقي والمجازي ومراعاة التأليف ، والغرض الذي سيق له الكلام ، وأن يؤاخي بين المفردات.

---

[١٠٦] ضعيف : رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠/١٥).

ويجب عليه البداءة بالعلوم اللفظية ، وأول ما يجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة فيتكلم عليها من جهة اللغة ، ثم التصريف، ثم الاشتقاق، ثم يتكلم عليها بحسب التركيب، فيبدأ بالإعراب، ثم بما يتعلق بالمعاني، ثم البيان، ثم البديع، ثم يبين المعنى المراد، ثم الاستنباط، ثم الإشارة.

وعلى المفسر أن يتجنب ادعاء التكرار ما أمكنه . قال بعضهم : مما يدفع توهم التكرار في عطف المترادفين نحو: ﴿ لَا تُبْقِيْ وَلَا تَذَرُ ﴾ (المدثر : ٢٨) و﴿ صَلَوٰتٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ (البقرة :١٥٧). وأشباه ذلك : أن يعتقد أن مجموع المترادفين يحصل معنى لا يوجد عند انفراد أحدهما ، فإن التركيب يحدث معنى زائدا ، وإذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة المعنى ، فكذلك كثرة الألفاظ.



الباب الخامس والستون

غرائب التفسير

ألف فيه محمود بن حمزة الكرماني كتابا في مجلدين ، سماه " العجائب والغرائب " ضمنه أقوالا ذكرت في معاني الآيات منكرة ، لا يحل الاعتماد عليها ، ولا ذكرها إلا للتحذير منها.

من ذلك من قال في : حم عسق إن الحاء حرب علي ومعاوية ، والميم ولاية المروانية ، والعين ولاية العباسية ، والسين ولاية السفيانية ، والقاف قدوة مهدي. حكاه أبو مسلم .ثم قال : أردت بذلك أن يعلم أن فيمن يدعي العلم حمقى

.ومن ذلك قول من قال في : الم معنى ألف : ألف الله محمدا فبعثه نبيا ، ومعنى لام : لامه الجاحدون وأنكروه ، ومعنى ميم : ميم الجاحدون المنكرون ، من الموم وهو البرسام.

ومن ذلك قول من قال في: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (البقرة : ١٧٩). إنه قصص القرآن ، واستدل بقراءة أبي الجوزاء :(ولكم في القصص) وهو بعيد ، بل هذه القراءة أفادت معنى غير معنى القراءة المشهورة ، وذلك من وجوه إعجاز القرآن كما بينته في أسرار التنزيل.

ومن ذلك ما ذكره ابن فورك في تفسيره في قوله ﴿ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ (البقرة : ٢٦٠). إن إبراهيم كان له صديق وصفه بأنه قلبه أي : ليسكن هذا الصديق إلى هذه المشاهدة إذا رآها عيانا.

قال الكرماني :وهذا بعيد جدا.

ومن ذلك قول من قال في: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ (البقرة : ٢٨٦). إنه الحب والعشق وقد حكاه الكواشي في تفسيره.

ومن ذلك قول من قال في : ﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ (الفلق : ٣) . إنه الذكر إذا انتصب.

ومن ذلك قول أبي معاذ النحوي في قوله تعالى : الذي جعل لكم من الشجر الأخضر يعني إبراهيم نارا أي : نورا وهو محمد صلى الله عليه وسلم فإذا أنتم منه توقدون (يس : ٨٠). تقتبسون الدين.



الباب السادس والستون

طبقات المفسرين

اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة : الخلفاء الأربعة ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري ، وعبد الله بن الزبير .
طبقة التابعين : قال ابن تيمية :أعلم الناس بالتفسير أهل مكة ;لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد ، وعطاء بن أبي رباح ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وطاوس وغيرهم.
وكذلك في الكوفة أصحاب ابن مسعود ، وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم ، الذي أخذ عنه ابنه عبد الرحمن بن زيد ، ومالك بن أنس.
المفسرون الذين جاءوا بعدهم.
ثم بعد هذه الطبقة ألفت تفاسير تجمع أقوال الصحابة والتابعين ، كتفسير سفيان بن عيينة ، ووكيع بن الجراح ، وشعبة بن الحجاج، ويزيد بن هارون ، وعبد الرزاق ، وآدم بن أبي إياس، وإسحاق بن راهويه، وروح بن عبادة، وعبد بن حميد، وسنيد، وأبي بكر بن أبي شيبة، وآخرين.
وبعدهم ابن جرير الطبري، وكتابه أجل التفاسير وأعظمها، ثم ابن أبي حاتم، وابن ماجه، والحاكم، وابن مردويه، وأبو الشيخ ابن حيان، وابن المنذر في آخرين، وكلها مسندة إلى الصحابة والتابعين وأتباعهم، وليس فيها غير ذلك إلا ابن جرير ، فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض ، والإعراب والاستنباط فهو يفوقها بذلك.
ثم ألف في التفسير خلائق فاختصروا الأسانيد ، ونقلوا الأقوال بترا فدخل من هنا الدخيل ، والتبس الصحيح بالعليل ، ثم صار كل من يسنح له قول يورده ،

ومن يخطر بباله شيء يعتمده ، ثم ينقل ذلك عنه من يجيء بعده ، ظانا أن له أصلا غير ملتفت إلى تحرير ما ورد عن السلف الصالح ، ومن يرجع إليهم في التفسير.

ثم صنف بعد ذلك قوم برعوا في علوم ، فكان كل منهم يقتصر في تفسيره على الفن الذي يغلب عليه .

فالنحوي تراه ليس له هم إلا الإعراب ، وتكثير الأوجه المحتملة فيه ، ونقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته، كالزجاج، والواحدي في البسيط، وأبي حيان في البحر والنهر.

والإخباري ليس له شغل إلا القصص واستيفاءها ، والإخبار عمن سلف ، سواء كانت صحيحة أو باطلة كالثعلبي .

والفقيه يكاد يسرد فيه الفقه من باب الطهارة إلى أمهات الأولاد، وربما استطرد إلى إقامة أدلة الفروع الفقهية التي لا تعلق لها بالآية، والجواب عن أدلة المخالفين كالقرطبي .

وصاحب العلوم العقلية خصوصا الإمام فخر الدين قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وشبهها، وخرج من شيء إلى شيء حتى يقضي الناظر العجب من عدم مطابقة المورد للآية.

قال أبو حيان في البحر : جمع الإمام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير، ولذلك قال بعض العلماء : فيه كل شيء إلا التفسير

❁❁❁

خاتمة

هذا كتاب الذي خلصنا من كتاب "الإتقان في علوم القرآن" للسيوطي من أفضل كتب علوم القرآن, لكي يتمكن شباب هذا العصر الإستفادة منه. نحمد ونضرع إلى الله جل جلاله حتى انتهينا إلى هذه الغاية ونستغفره ونتوب إليه من كل خطأ ونسأله القبول والمزيد والتعجيل بتفريج الكروب وأن يصلح الحال والمآل لنا وللمسلمين جميعا في مشارق الأرض ومغاربها، ونسأله أن يجعلنا من أمة رسوله المحبوبين.

وصلى الله على من لا نبي بعده ، سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.



{فهرس موضوعات الجزء الثاني}

الباب السابع والثلاثون: في المحكم والمتشابه ١١٨

الباب الثامن والثلاثون: في مقدمه ومؤخره ١٢٢

الباب التاسع والثلاثون: العام والخاص ١٢٥

الباب الأربعون: في مجمله ومبينه ١٢٩

الباب الحادي والأربعون: في ناسخه ومنسوخه. ١٣٢

الباب الثاني والأربعون: في مشكله وموهم الإختلاف والتناقض ١٣٨

الباب الثالث والأربعون: في المطلق و المقيد في القرآن. ١٤٣

الباب الرابع والأربعون: في المنطوق و المفهوم ١٤٧

الباب الخامس والأربعون: وجوه الخطاب في القرآن ١٥٠

الباب السادس والأربعون: في معرفة الحقيقة والمجاز في القرآن ١٥٨

الباب السابع والأربعون: في التشبيه والإستعارة ١٦٣

الباب الثامن والأربعون: في كنايات القرآن وتعريضه ١٦٩

الباب التاسع والأربعون: في الحصر والإختصاص ١٧٣

الباب الخمسون: في الإيجاز والإطناب ١٧٦

الباب الحادي والخمسون: في بدائع القرآن ١٨٥

الباب الثاني والخمسون: في فواصل الآي ١٨٩

الباب الثالث والخمسون: فواتح السور ١٩٧

الباب الرابع والخمسون: خواتم السور ١٩٩

الباب الخامس والخمسون: مناسبة الأيات والسور ٢٠١

الباب السادس والخمسون: إعجاز القرآن ٢٠٥

الباب السابع والخمسون: العلوم المستنبطة من القرآن ٢١٤

الباب الثامن والخمسون: الأمثال في القرآن ٢٢١

الباب التاسع والخمسون: أقسام القرآن ٢٢٤

الباب الستون: جدل القرآن ٢٢٧

الباب الحادي والستون: المبهمات ٢٣٠

الباب الثاني والستون: في مرسوم الخط وآداب كتابته ٢٣٢

الباب الثالث والستون: في معرفة تفسيره وتأويله وبيان شرفه والحاجة اليه ٢٣٨

الباب الرابع والستون: معرفة شروط المفسر وآدابه ٢٤٢

الباب الخامس والستون: غرائب التفسير ٢٤٥

الباب السادس والستون: طبقات المفسرين ٢٤٧

ختيمة ٢٤٩

فهرس الموضوعات ٢٥٠